المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

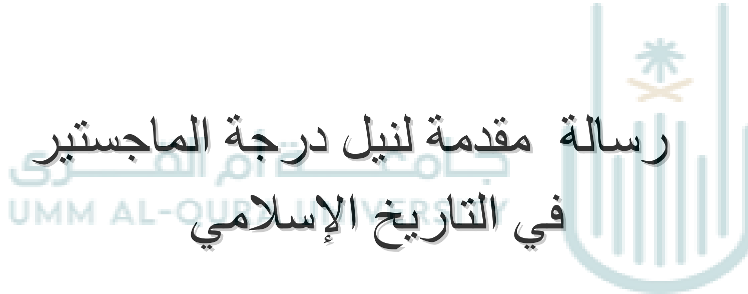
قسم التاريخ



العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي

من بداية القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري

"دراسة تاريخية حضارية"



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في التاريخ الإسلامي

إعداد :

منى بنت سعود الحربي

إشراف الأستاذ الدكتور :

سعد بن عبد الله البشري

العام الدراسي

١٤٣٣هـ/٢٠١٢م


بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا
وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ
ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ ﴾[1]



(١) سورة آل عمران، الآيات: ٩٦- ٩٧.

لأم القُرى يهفُو الفُـؤادُ ويُولَـعُ ... ويُؤتَى لها مـن كُـلِّ فـجٍّ ويُسْـرَعُ

أحَــبُّ بِــلادِ اللـَّهِ للَّـهِ مَـكَّــة ... بِهَا الكَعبَة الفيحَاءُ للخيْر مَجْمَـعُ

فَأُمُّ القُرَى تزهُو وتسْمُو مكانَــة ... وعمَّنْ يريدُ الشرَّ تعْلـُو وتُمْـنَــعُ

لهَا رايةٌ بالحقِّ تسمُو إلَى العُلا ... بها دعْوةُ التوحيدِ والسيفُ مُشرَعُ

ومِن أرضِها شَعَّتْ حضارتنا هدًى ... ونورًا عَلَى الدنيا وبالحَقّ تَصدَعُ

وباقرأ أتَى جبْريلُ والوحيُ مُوجِـلُ ... فعمَّ البرايـا ، وهْــوَ نُورٌ يسطــع

وَعِلْم ، وتَوحيد جناحا رسَالـة ... أتانَـا بهـا خير الأنـام يُشَرِّعُ

وَمِن قلبِهَا أمَّ القُرى شعَّ نورها ... فَعَمَّ رُبُوعَ الأرْضِ يَهدِي ، ويَرْدَعُ[1]

---

(١) شعر/ عبد الناصر بدري أمين، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث بجامعة أم القرى.

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وعلى آله أجمعين. أما بعد:

تناولت هذه الرسالة موضوع: "العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي "من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري"، وقد اشتملت على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة : بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، كما تحدثت عن الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع ، وأهم الصعوبات التي واجهتني، وتلى ذلك عرض مختصر لأهم المصادر التي استخدمت في البحث.

التمهيد: أشتمل على مسميات مكة ، تلي ذلك جغرافية مكة، وحرمة مكة وفضائلها، ثم دراسة العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي.

الفصل الأول: سلط الضوء على الأحوال العامة في مكة خلال فترة البحث. وتندرج تحته أربعة مباحث وهي الأحوال الدينية ، والسياسية ، والاقتصادية، والاجتماعية.

الفصل الثاني: ناقشت فيه مظاهر الازدهار العلمي في مكة خلال فترة الدراسة. واحتوى على مبحثين: الأول، وكان عن عوامل تطور الحركة العلمية والتي شملت (الحج – الجوار والمجاورون– المسجد الحرام– التجارة)، أما المبحث الثاني، فتم فيه دراسة العلوم والآداب التي انتشرت بمكة فترة الدراسة.

الفصل الثالث: شمل الحديث عن العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي، وذلك من خلال أربع مباحث، كانت كالتالي: المبحث الأول: العراق، المبحث الثاني: بلاد فارس، المبحث الثالث: خراسان والري وإقليم الجبال، المبحث الرابع: ما وراء النهر.

الفصل الرابع: جاء تتويجاً لهذه الدراسة وذلك من خلال دراسة أثر العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي على الحركة العلمية، وتناولته في أربعة مباحث على التوالي، حيث تناول المبحث الأول الرحلة في طلب العلم، أما المبحث الثاني فكان عن تطور الحركة العلمية وانتشار العلم ، وفي المبحث الثالث الإجازات العلمية، وفي المبحث الرابع تمت دراسة المراكز العلمية بمكة.

الخاتمة: وقد أنهيت الدراسة بخاتمة بينت فيها أهم نتائج البحث.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

اسم الباحثة:	المشرف على الرسالة:	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية:
منى سعود الحربي	أ . د سعد بن عبد الله البشري	د . غازي بن مرشد العتيبي

Abstract

Praise be to Allah , peace and blessings be upon prophets and messengers of our Prophet Muhammad , upon his family , companions , his family and companions either:

Title this Thesis: "scientific relations between Makkah and the Islamic East "from the second century to the fourth century AH" it included introduction, preface , four chapters and Conclusion.

Introduction: Showed the importance of the subject and why has chosen, also talked about previous studies on the subject, and the most important difficulties that I faced, the subsequent brief overview of the most important sources and referances used in the search.

Preface : Included the names of Makkah , followed by the geography of Makkah , the sanctity of Makkah and virtues, then the scientific study of the relations between Makkah and the Islamic East

Chapter I: Highlighted public statms in Makkah during the research period, ranging beneath four topics a religious statms, and political, economic, and social development.

Chapter II: Discussed manifestations of prosperity scientific in Makkah during the study period, and included two sections: the first, and was all factors evolution scientific movement, which included (Hajj - neighborliness and Majaoron – Holy Mosque - Business) The second section, and was the study of science and literature that has spread Makkah study period.

Chapter III: Included talk about scientific relations between Makkah , Islamic Mashreq, and through four sections, were as follows: **Section I**: Iraq, the second topic: Fars Country , **Section III**: Khorasan, irrigation and County mountains, **Section IV**: Beyond the river.

Chapter IV: The culmination of this study , by studying the impact of scientific relations between Makkah and the Orient Islamic scientific movement, and contained in four sections, respectively, where addressed the first research trip to seek knowledge, but the second part was about the development of the scientific movement and spread of science, in Section III Scientific vacation , In the fourth section has been studied science centers in Makkah .

Conclusion: The study was terminated conclusion showed the most important search results.

And thank God that His grace is righteous

Researcher Name	***Thesis Supervisor***	***Dean of the Faculty of Sharia and Islamic Studies***
Mona Saud Al-Harbi	***A. Dr. Saad bin Abdullah Albeshri***	***Dr. Atiq bin Murshid Al-Otaibi***

الإهداء

إلى قدوتي ونبراسي الذي ينير دربي .. إلى من علمني أن أصمد أمام أمواج البحر الثائرة ، إلى من أعطاني ولم يزل يعطيني بلا حدود .. إلى من رفعت رأسي عالياً افتخاراً به ،،،،،،، والدي.

إلى قمراً يضيء سمائي .. إلى من أوجب المولى برها والإحسان إليها.. يا من جعل الله جنان الخلد تحت قدميها ،،،،،، والدتي.

إلى صاحبة القلب الحنون .. إلى من تحلو معها جلستي.. إلى من تعطي بلا مقابل ،،،،، جدتي .

إلى كل الذين تهفوا أفئدتهم صوب مكة المكرمة ، محبة لساكنها، وإيماناً برسالته العظيمة الخالدة .

الشكر والتقدير

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[النمل: ١٩]....

وبعد ؛ فإني أتوجه بالشكر لله تعالى على ما أولاني من عظيم نعمه، وكبير آلائه ، فلله الحمد أولاً وأخراً ، وحيث أنه: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"، فإنه يسرني ويشرفني وقد وفقني الله ﷻ لانجاز هذا العمل أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل سعادة الأستاذ الدكتور / سعد بن عبد الله البشري، الذي كان لي بمثابة النور الذي أضاء لي طريق العلم، والبحر الذي نهلت من علمه بلا ملال، والكتاب الذي وجدت بين طياته أثمن علوم المعرفة، فلم يبخل علي بوقته وجهده وعلمه، وكان لي نعم المعين ، ونعم المرشد والموجه منذ أن كان هذا البحث مجرد فكرة إلى أن اكتمل بصورته أرجو من المولى تعالى أن تكون موفقة، وأسأل الله أن يديم عليه نعمة الصحة والعافية، فله مني جزيل الشكر والامتنان، وجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر إلى جامعة أم القرى، التي منحتني هذه الفرصة الثمينة، والشكر إلى قسم التاريخ ممثلة في رئيسها سعادة الدكتور/ طلال بن شرف البركاتي على رحابة صدره وسمو خلقه وآرائه السديدة، حيث مد لي يد العون، ولم يبخل علي بوقته وجهده، فله مني جزيل الشكر.

والشكر موصول إلى عمادة كلية الشريعة ممثلة في عميدها سعادة الدكتور/ غازي العتيبي، وكذلك إلى وكيلة قسم التاريخ سعادة الدكتورة/ آمنة جلال، فقد كانت لي نعم المعين، فجزاها الله عني خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتها.

والشكر للمكتبة المركزية بجامعة أم القرى، والتي وجدت بها العديد من المصادر والمراجع التي أفادتني كثيراً، كما أشكر دارة الملك عبد العزيز، على ما توليه من عناية لتاريخ هذه البلاد المباركة، وما تقدمه من خدمات لطلبة العلم في هذا الشأن، فإن البحث ولله الحمد قد فاز بمنحة سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود لدراسات شبه الجزيرة العربية والتي تشرف عليها وتنظمها الدارة في دورته لعام ١٤٢٩هـ – ١٤٣هـ.

كما الشكر موصول لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وجامعة الملك سعود، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الحرم المكي الشريف لما قدموه لي من خدمات، ومد يد العون لي، وإفادتي بكل ما يخص موضوع بحثي، فلهم مني عظيم الشكر والعرفان.

وأودُّ أن أشكر "والديَّ" اللذين أفنيا زهرة شبابهما من أجلي، وتعبا كثيراً إلى أن وصلت لما وصلت إليه اليوم، ولم يبخلا علي بالوقت والجهد والمال، والشكر موصول "لإخواني وأخواتي" لما بذلوه من جهد من أجلي، فقد حملا معي هموم البحث وهوَّنا علي مصاعبه، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

وإذا كان الفضل يجب أن يُنسب إلى أهله، وإذا كان الاعتراف بالجميل واجباً في الأعناق يجب أن يذكر لذويه، فمن الواجب في هذا المقام أن أتقدم بخالص الشكر إلى سعادة الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز السنيدي، لما أمدني به من معلومات، ولم يبخل علي بوقته وجهده وعلمه، فله مني كل الشكر والعرفان.

كما أتقدم بالشكر إلى سعادة الأستاذة الدكتورة / أميرة مداح، وكيلة عمادة الدراسات العليا سابقاً على ما قدمته وتقدمه لطلاب العلم عامة وطالبات قسم التاريخ خاصة من توجيهات ومن جهدها ووقتها، فجزاها الله خير الجزاء.

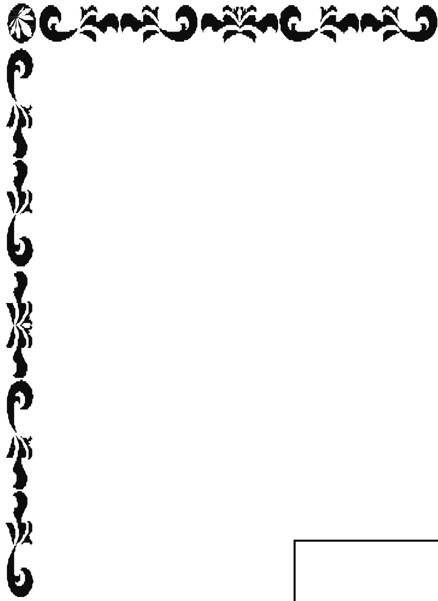
كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى سكرتير الدراسات العليا الأستاذ / تركي المحمادي على سمو خلقه وحسن تعامله ، فلم يبخل علي بوقته ولا جهده، فله مني وافر الشكر وعظيم الامتنان، وأسأل الله العلي القدير أن يجزل له المثوبة.

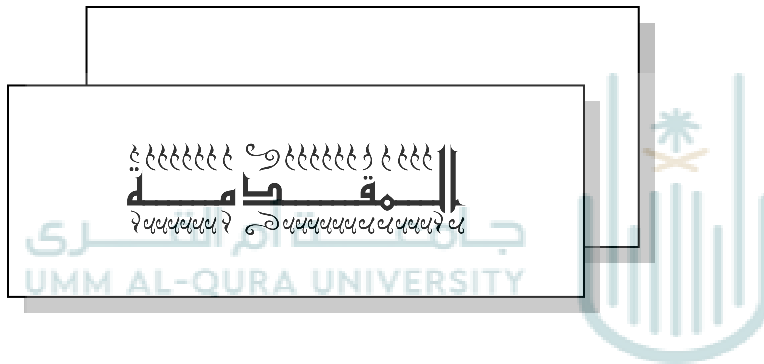
كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى لجنة المناقشة المكونة من سعادة الدكتور/ حسين عبد العزيز الشافعي، وسعادة الدكتور/ آمنة حسين جلال على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، رغم مشاغلهما المتعددة، ولا شك أن ما سوف يتحفاني به من توجيهات وملاحظات قيمة سيكون لها المردود الإيجابي على هذا العمل. فجزاهما الله خير الجزاء.

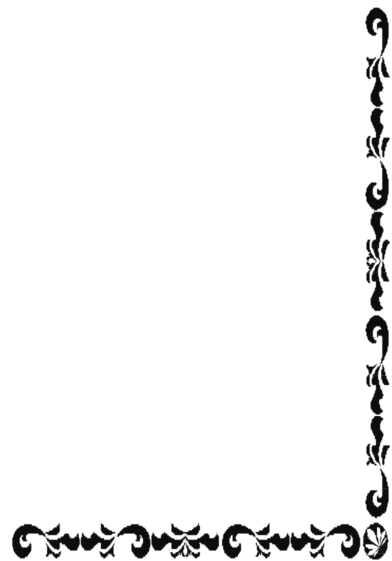
والشكر لكل من مد لي يد العون والمساعدة، وكان سبباً في إطلاعي على كل ما هو جديد ونافع في بحثي ، راجية من المولى ﷻ أن أكون قد وفقت في تقديم ما يليق بهذا البلد الطاهر، وإيفاء الموضوع حقه، كما أتمنى أن أكون قد أسهمت في تقديم خدمة متواضعة للباحثين والمهتمين بتاريخ مكة المكرمة.

هذا والشكر لله أولاً وأخيراً .. هو نعم المولى ونعم النصير ..

منى حربي




المقدمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بعقيدة الإيمان ، وهدانا إلى شريعة الإسلام؛ ليوصلنا إلى سبل السلام، وأعالي الجنان، وأصلي وأسلم على نبينا محمد الهادي للبشرية، ومنقذ الإنسانية من الضلالة ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد..

فإن مكة المكرمة قد حظيت بمكانة عالية، ومنزلة شريفة، وخصها الله بمزايا التكريم الإلهية العظيمة، وإليها تهفو قلوب المسلمين في كل أرجاء المعمورة ، فمنذ نداء الخليل عليه السلام، واستجابته لدعوة ربه: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧]، غدت مكة مقصداً دينياً وعلمياً وثقافياً لطالبي العلم من شتى أقطار العالم الإسلامي، فهذا الملتقى الإسلامي الكبير يحمل من الخير العميم ما تُزكى به النفوس وتسمو به الأرواح، ففيه يلتقي العلماء من كافة أقطار العالم الإسلامي، يتباحثون ويتدارسون فيما بينهم الكثير من المسائل الفقهية والعلمية، فيأخذ بعضهم عن بعض الحديث والتفسير والفقه وشتى أنواع المعرفة.

ولقد حظيت مكة(خلال فترة البحث) بمكانة دينية وعلمية عظيمة في قلوب المسلمين ، خاصة من بلدان الخلافة الواقعة في مشرق العالم الإسلامي ، فالكثير من طلاب العلم في هذه البلدان وفدوا على مكة بقصد الحج وطلب العلم على أيدي شيوخها الأجلاء ، ليعودوا إلى

بلدانهم بهذا العلم المبارك وينشرونه بين الناس، لتعم الفائدة ويحصل الأجر العظيم، كذلك حمل الكثير من علماء بلدان وأقاليم المشرق الإسلامي كالعراق، وبلاد الشام وأقاليم فارس وخراسان وما وراء النهر، الكثير من العلم، ونقلوه معهم إلى مكة، خاصة أيام الحج، فاستفاد من علمهم الكثير من أبناء مكة والعالم الإسلامي.

ومن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار موضوع " **العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي من القرن الثاني إلى القرن الرابع الهجري**". خلو مكتبات التاريخ الإسلامى من وجود عمل علمي متكامل ومتخصص يتناول العلاقة العلمية بين مكة وبلدان المشرق الإسلامي منذ القرن الثاني وحتى الرابع الهجري. لذا تتأتى أهمية هذه الدراسة فى الوقوف على معرفة تاريخ وحضارة مكة خلال هذه الفترة، مع إبراز دورها العلمي الرائد في المشرق الإسلامي، وإلقاء الضوء على العلاقات العلمية بينها وبين بلدان مشرق الدولة الإسلامية.

- حدود الدراسة:

أولاً: الحدود الموضوعية:

هي البحث في "العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي"

ثانياً: الحدود الزمانية:

تبدأ دراسة هذا الموضوع من بداية القرن الثاني إلى نهاية القرن الرابع الهجري.

ثالثاً: الحدود المكانية:

تشمل أقطار المشرق الإسلامي.

۞ - الدراسات السابقة للموضوع:

لم أحصل على دراسة متكاملة للموضوع، لكنه ثمة دراسات يمكن أن تتناول جانباً من الموضوع فحسب، ومنها:

- الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين ، لعبد العزيز بن راشد السنيدي.

- الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، لخيرية آل سنة.

- الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين، لعبد الرحمن أحمد المصنف.

- الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، لخالد الجابري.

ويتضح مما سردناه عن الدراسات السابقة أن موضوع البحث لم يحظ بدراسة مفصلة مستقلة تستقصي وتستوفي جميع جوانبه خصوصاً في مدة الدراسة.

۞ - <u>الصعوبات التي واجهتني في البحث :</u>

لقد واجهتني عدد من الصعوبات في هذا البحث، ولعل من أبرزها:

- قلة المادة العلمية في بعض مطالب البحث، بل ندرتها.

- قلة المراجع المتخصصة في هذا الجانب، فإنَّ جل هذه المادة إنما يستقى من كتب التراجم والأنساب والطبقات ، مع تحليلها وتوظيف معلوماتها، وقد استلزم مني بذل المزيد من الجهد والكثير من العناء.

ومما يجدر بي قوله أن هذه الصعوبات لم تقف يوماً حائلاً أمامي، ولم تثبط من عزيمتي أو تضعفها، بل كلما زادت الصعوبات أمامي ، كلما ازداد حماسي وتمسكي بهذا الموضوع والبحث في أغواره والإطلاع والقراءة أكثر، ودائماً ما كان يلوح أمام عيني بيت الشعر القائل:

لا تحسبن المجد تمراً أنت آكله

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

حينها أشعر أن هذه الصعاب ما هي إلا سحابة سوداء، ولا بد أن تنجلي، إلى أن تمكنت بفضل الله – سبحانه وتعالى – وبعد إطلاعي على عدد كبير من المصادر التاريخية المتعلقة بمباحث الرسالة وكذلك والمراجع والرسائل والدوريات العلمية التي تناولت شيء من موضوعات البحث ، قمت بالقيام بجمع المادة العلمية، ثم عكفت على دراستها ومناقشة ما فيها من معلومات، وتنقيح ما حوته من أخبار، ومن ثم صياغتها في بحث متكامل، وفق الشروط والقواعد المتبعة في كتابة البحوث والرسائل العلمية، والتي أرشدني إليها أستاذي الفاضل، حيث كان لي نعم الموجه منذ أن كان هذا الموضوع فكرة للنقاش إلى أن أصبح بحثاً كاملاً متناسقاً.

- **وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة**، تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها بالبحث، وكذلك مجموعة من الملاحق والصور.

المقدمة: أوضحت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة والصعوبات التى واجهتنى والمنهج المتبع وتقسيم البحث ثم الاعتراف بفضل من قدم لي يد العون وساهم فى إفادتى وثقل بحثى .

التمهيد: اشتمل على مسميات مكة، تلي ذلك التعرف على جغرافيتها، وحرمتها وفضائلها، ثم إلقاء الضوء على طبيعة العلاقات العلمية بينها وبين بلدان المشرق الإسلامي قبيل فترة الدراسة.

الفصل الأول: سلط الضوء على الأحوال العامة في مكة خلال فترة البحث. وتندرج تحته أربعة مباحث وهي الأحوال الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

الفصل الثاني: ناقشت فيه مظاهر الازدهار العلمي في مكة خلال فترة الدراسة. واحتوى على مبحثين: الأول، وكان عن عوامل تطور الحركة العلمية والتي شملت (الحج – الجوار والمجاورون– المسجد الحرام– التجارة)، أما المبحث الثاني، فقمت فيه بدراسة العلوم والآداب التي ازدهرت بمكة فترة الدراسة.

الفصل الثالث: أفردته للحديث عن العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي، وذلك من خلال اربعة مباحث، كانت كالتالي: المبحث الأول: العراق، المبحث الثاني: بلاد فارس، المبحث الثالث: خراسان والري وإقليم الجبال، المبحث الرابع: ما وراء النهر. وقد

توصلت في هذا الفصل والذي يعد قلادة في عقد رسالتي إلى قوة العلاقات العلمية بين مكة وبلاد المشرق الإسلامي، والتي عزز من مكانتها موسم الحج والعمرة، حيث حرص علماء المشرق وطلاب العلم فيه على الوفود إلى مكة، والالتقاء بالعلماء الموجودين فيها، والاستفادة من علمهم، ومن ثم العودة إلى بلدانهم لنشر ما حملوه من علم، خاصة الفقه، والتفسير، والحديث، والعربية.

الفصل الرابع: اختتمت به فصول الدراسة وجاء بعنوان اثر العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي على الحركة العلمية، وتناولته في أربعة مباحث على التوالي، حيث تناول المبحث الأول الرحلة في طلب العلم، أما المبحث الثاني فكان عن تطور الحركة العلمية وانتشار العلم، وفي المبحث الثالث الإجازات العلمية، وفي المبحث الرابع تمت دراسة المراكز العلمية بمكة.

الخاتمة: استعرضت فيها بصورة موجزة أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الملاحق: احتوت على بعض الخرائط التوضيحية التى تخدم موضوع البحث.

ثم قائمة المصادر والمراجع، وقائمة الموضوعات .

- المنهج المتبع للدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي والاستقرائي، والقائم على جمع المادة العلمية المتفرقة في المصادر والمراجع العلمية، ومن ثم

العكوف على دراستها وتحليلها، لاستنباط فرائضها واستخلاص نتائجها، دون إفراط أو تفريط بما يخدم مباحث الدراسة.

وقد اعتبرت سنة الوفاة إطاراً حددت من خلاله مشاركة هذا العالم أو ذاك، وتحاشياً للتكرار فقد اكتفيت بتراجم موجزة لكل شخصية ترد في الدراسة، وتركت بقية المعلومات المتعلقة بالشخصية لترد تباعاً في محلها من فصول البحث مما يعطي القيمة العلمية والفائدة المرجوة من الدراسة.

وقد اضطر إلى تناول قضية ما أو حادثة معينة في أكثر من موضع، في هذه الحالة يكون الحديث عنها موسعاً في مكانها المناسب من البحث، ثم يشار إليها باقتضاب في أماكن أخرى.

وأما بالنسبة للمنهج في عرض المصادر والمراجع فإن عرضت المصدر لأول مرة ضمنته كاملاً باسم المؤلف ثم المصدر ومحققه إن كان محققاً، وسنة الطبع واسم دار النشر ومكانها، ثم تاريخ النشر، بقدر الإمكان، حتى إذ ذكرته بعد ذلك اكتفيت باسم المؤلف والمصدر والجزء، والصفحة، مؤكدةً على إبراز كافة التفاصيل بعد ذلك في قائمة المصادر والمراجع.

كما حرصت على تدوين التاريخ الميلادي بجوار التاريخ الهجري، وقد اعتمدت في ذلك على (موقع الباحث الإسلامي على الشبكة العنكبوتية).

- وفيما يلي دراسة لأهم مصادر البحث ومراجعه :

لا شك أن لكل عمل علمي مصادره التاريخية التي تمليها طبيعة ذلك العمل، وفي سبيل جمع المادة العلمية المتفرقة في بطون هذه المصادر قمت بالعديد من الرحلات العلمية داخل البلاد وخارجها، وزرت خلالها كثيراً من مكتبات الجامعات والمكتبات العامة والخاصة سعياً لجمع المعلومات الخاصة بالدراسة، فمن هذه المكتبات مكتبة الإسكندرية بمصر، وقد استفدت من مقتنياتها الشيء الكثير، كما قمت بزيارة لعاصمة البلاد الرياض ، فاستفدت من مقتنيات مكتبة جامعة الملك سعود، ومكتبة دارة الملك عبد العزيز، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومركز الملك فيصل للبحوث ، ومن جدة استفدت من مكتبة جامعة الملك عبد العزيز ، ومن مكة الحبيبة، مهبط الوحي، استفدت من مكتبة الطالبات ومكتبة الملك عبد الله والتابعتين لجامعة أم القرى، ومكتبة الحرم المكي الشريف.

وقد حتّمت طبيعة الدراسة وارتباطها الوشيج بمعظم العلوم والفنون البحث والتنقيب في أمهات الكتب والمصادر، إضافة إلى المراجع الحديثة والأبحاث والدوريات العلمية التي خدمت البحث، ويأتي في مقدمتها:

أولاً: المصادر المكية:

لقد استفاد البحث من كتاب "أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه" لمحمد بن إسحاق الفاكهي (ت ٣٥٣هـ/٩٦٤م)، ويعدُّ أقدم كتاب عن تاريخ مكة وتتسم أخباره ومواضيعه بالدقة، وقد استفاد منه البحث في الكثير من مواضيع خاصة ما يتعلق بالمسجد الحرام ودوره في المجتمع المكي، وكذلك استفاد البحث من كتاب "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" لأبي الوليد محمد الأزرقي (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م)، فهو كتاب غني في معلوماته حيث حوى بين طياته نصوصاً لا يمكن العثور عليها في موضع آخر، ولها أهمية

كبيرة ومكانة معتبرة، ولا يستغني عنها الباحثون في تاريخ مكّة، كما استفاد البحث من كتاب "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين"، لمؤلفه تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي(ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م) من أهم المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها في البحث، وذلك لوفرة المعلومات به واتساعها، فقد تناول الكتاب أخبار مكة، وما يخص تاريخها وآثارها منذ فجر الإسلام، ثم ضم أخبار المسجد الحرام، والكعبة المشرفة وغيرها من الأحداث المهمة في تاريخ مكة المكرمة، أعقبها بتراجم لأهم الشخصيات من العلماء والقضاة والأئمة سواء من المجاورين أو من أبناء مكة المكرمة، ويقع هذا الكتاب في ثمانية أجزاء، وقد رُتِّب حسب الأحرف الأبجدية ما عدا المحمدين والأحمدين فقد قدمهما لفضل الاسمين، وقد استفدت منه في معرفة بعض العلماء المجاورين لمكة، إضافة إلى ترجمة بعض الشخصيات المكية من الأئمة والقضاة وغيرهم، ويعد كتابه هذا موسوعة علمية شاملة تضم بين طياتها العديد من المعلومات العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية، كما يعد هذا الكتاب من أهم كتب التراجم في تاريخ البلد الأمين.

كما استفاد البحث من كتاب "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام"، لتقي الدين الفاسي (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، إذ يعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة في تاريخ مكة المكرمة ، ولا يقل أهمية عن العقد الثمين؛ وذلك لاتساع المعلومات به وغزارتها، ويتألف هذا الكتاب من جزأين، ويضم العديد من المعلومات القيمة عن النواحي الدينية، والثقافية، والعمرانية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية بمكة المكرمة منذ عصر ما قبل الإسلام حتى أوائل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، كما احتوى على كم هائل من المعلومات التي تخص المسجد الحرام، وما احتوى عليه من الداخل والخارج من منائر وأبواب وتوسعة وترميم وإصلاح، وقد أفادني في

معرفة علماء مكة، كما استفدت منه في تغطية العديد من الجوانب المتعلقة بموضوع الدراسة.

أما كتاب "إتحاف الورى بأخبار أم القرى"، للنجم عمر بن فهد (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م) فيُعتبر مصدراً تاريخياً مهماً لما احتوى عليه من حوادث تاريخية مهمة مرتبة ترتيباً زمنياً، ابتداء بمولد الرسول ﷺ إلى وفاة المؤلف. ويتألف الكتاب من خمسة أجزاء، وقد استفدت منه في معرفة العديد من الحوادث التاريخية الخاصة بتاريخ المسجد الحرام، إضافة إلى معرفة تراجم أشهر العلماء، والعديد من المعلومات التاريخية القيمة التي دعمت هذا البحث، وأضافت إليه الشيء الكثير.

كذلك اعتمد البحث على كتاب"الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين"، للنجم عمر بن فهد (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م). ويتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء، وقد حفل بعدد كبير من تراجم أشراف مكة، إضافة إلى العلماء والشيوخ الذين كان لهم دور في تنشيط الحياة العلمية به عبر عصور متتالية من تاريخها، كما أفادني الكتاب في ترجمة بعض الشخصيات التي اعتلت الوظائف التعليمية في المسجد الحرام، كذلك أفادني بمعلومات قيمة كانت تقع ضمن سياق العديد من التراجم التي حواها الكتاب، كما تكمن أهمية هذا الكتاب في ذكر العديد من تراجم شخصياتٍ غفل عن ذكرها الفاسي في كتابه العقد الثمين.

كما اعتمد البحث على كتاب "بلوغ المرام في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى" ، لعز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد (ت٩٢٢هـ/ ١٥١٦م). ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء، وقد رتب حسب الشهور والسنين، ويُعد مصدراً تاريخياً مهماً وقيماً، حافلاً بالعديد من المعلومات

القيمة عن تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام، وقد أفادني في معرفة بعض الحوادث التاريخية المتعلقة بموضوع هذه الدراسة.

ثانياً: كتب التاريخ العام:

من أبرز المصادر التاريخية التي أفادت البحث وكانت من مصادر المهمة، كتاب "تاريخ الرسل والملوك" لابن جرير الطبري (٣١٠هـ/٩٢٣م)، وهو تاريخ مطول كتب على منهج الحوليات، واحتوى على تفاصيل دقيقة للكثير من الأحداث التاريخية التي شهدتها مكة وكذلك بلدان مشرق العالم الإسلامي فترة الدراسة.

كما استفاد البحث من كتاب "البداية والنهاية" للحافظ ابن كثير (ت٧٧٤ هـ /١٣٧٣ م)، وهو من كتب الحوليات التي أفادت البحث في كثير من جوانبه، خاصة ما يتعلق بالأحداث التاريخية، وكذلك وفيات المشاهير وتراجم الأعلام البارزين.

ثالثاً: كتب الرحلات:

تعد كتب الرحلات من الكتب المهمة في تدوين التاريخ، حيث إن مؤلفيها شهود عيان لما دونوه ووضعوه ، بل ما يميز العديد من كتاباتهم الدقة في وصف المدن، والطرق، والأحداث التاريخية، ومظاهر الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية.

وتعتبر "رحلة ابن جبير"، لأبي الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)، من أهم مصادر الرحلات التي اعتمد عليها البحث، فهذه الرحلة تعد من المصادر المهمة في التاريخ ، فهي أشبه بمذكرات يومية سجل فيها المؤلف ملاحظاته ومشاهداته، وضمت العديد من المعلومات القيمة عن تاريخ مكة، فقد تحدث عن المسجد الحرام، كما ذكر

عادات أهل مكة في كيفية استقبالهم للأشهر، وخاصة شهر رمضان، واستفدت منه الكثير من المعلومات المتعلقة بالبحث.

كما استفادت الدراسة من رحلة "تحفة النظار في غرائب الأمصار" وهي رحلة ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م). فقد احتوت على الكثير من المعلومات المفيدة للبحث خاصة ما يتعلق بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية لمكة.

كما استفاد البحث من رحلة أبي القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م) والمسماة : "مستفاد الرحلة والاغتراب"، فقد أعطانا معلومات وافرة عن الحياة العلمية والعادات الاجتماعية في مكة فترة الدراسة.

رابعاً: كتب التراجم والطبقات:

وهي تشكل القسم الأكبر من المصادر، لأنها حوت في بطونها معلومات قيمة عن جميع جزيئات البحث ومفرداته. فمن كتب التراجم التي أفاد منها البحث كتاب "طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها"، لعبد الله بن حيان (ت٣٦٩هـ/٩٧٩ م). وكتاب "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، لأحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، وكتاب "الإرشاد في معرفة علماء الحديث" للخليل بن عبدالله القزويني (ت٤٤٦هـ/١٠٥٤م)، وكتاب " أسد الغابة في معرفة الصحابة" لعلي بن محمد ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، و"طبقات الفقهاء" لإبراهيم الشيرازي (ت٤٧٦ هـ /١٠٨٣م)، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لابن خلكان، (ت٦٨١هـ /١٢٨٢م)، كذلك استفاد البحث من كتب محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ /١٣٤٨م)، والتي منها:" تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير"، "تذكرة الحفاظ، "سير أعلام النبلاء"، "العبر في خبر من غبر"، "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار"، كما استفاد البحث من كتاب "طبقات الشافعية الكبرى" لتاج الدين بن علي السبكي

(ت٧٧١ هـ/١٣٧٠م) حيث حوى على الكثير من معلومات قيمة عن أعلام مكة والمشرق الإسلامي، كما استفاد البحث من كتاب "الإصابة في تميز الصحابة" لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).كذلك استفادت الدراسة من كتب جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥ م) وخاصة تلك المتعلقة بتراجم العلماء والمشاهير ككتاب "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، وكتاب "طبقات الحفاظ".

خامساً: كتب معاجم اللغة.

اعتمد البحث على العديد من كتب المعاجم اللغوية، وذلك في الرجوع إلى أصول المفردات، وشرح الغامض منها، فمن هذه المعاجم كتاب: "لسان العرب" لابن منظور جمال الدين (ت٧١١ هـ /١٣١١ م)، "القاموس المحيط" لمجد الدين الفيرزو آبادي (٨١٧ هـ /١٤١٥ م)، "تاج العروس من جواهر القاموس" لمحمد الزبيدي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠ م).

سادساً: كتب المعالم الجغرافية:

اعتمد البحث على الكثير من الكتب الجغرافية والتي أفادت في التعريف بالمواقع والبلدان، ومنها: كتاب "البلدان" لأحمد بن جعفر اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ/٩٠٥م)، و"المسالك والممالك" لإبراهيم بن خزداذبة (ت نحو٢٨٠هـ/٨٩٣ م)، و"صورة الأرض" لمحمد بن حوقل (ت بعد ٣٦٧هـ /٩٧٧ م)، و"معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ /١٢٢٩م).

سابعاً: المراجع الحديثة:

لقد استفاد البحث من مجموعة كبيرة من المراجع التاريخية الحديثة والتي خدمت البحث بصورة إيجابية، منها: "النشاط العلمي في مكة والمدينة خلال مواسم الحج في العصر الأموي" لإبراهيم الجميح، "مكة وعلاقاتها الخارجية " لأحمد الزيلعي، "دور الحج في إثراء الحركة العلمية في الحرمين

الشريفين في عهد الراشدين والأمويين" لحجازي حسن طراوه، "الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين" لعبد الرحمن أحمد المصنف، "الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي" حسين عبد العزيز شافعي، "الحياة الأدبية في مكة في القرن الأول الهجري" لزكى عابدين غريب، "الحركة العلمية بمكة في العصر الأموي" لعبد العزيز الهلابي، "الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين" لعبد العزيز بن راشد السنيدي

كما استفاد البحث من "موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة" فقد حوت على معلومات قيمة تتعلق بمكة فترة الدراسة.

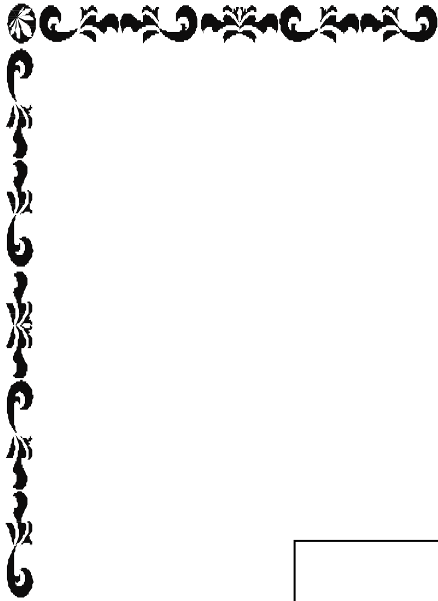
وبجانب ذلك اعتمد البحث على عدد كبير من المصادر والمراجع والرسائل والدوريات العلمية، والتي أسهمت مجتمعة في بناء البحث بالشكل الذي ظهر فيه، وجميعها مثبتة في حواشي الرسالة وثبت المصادر والمراجع.

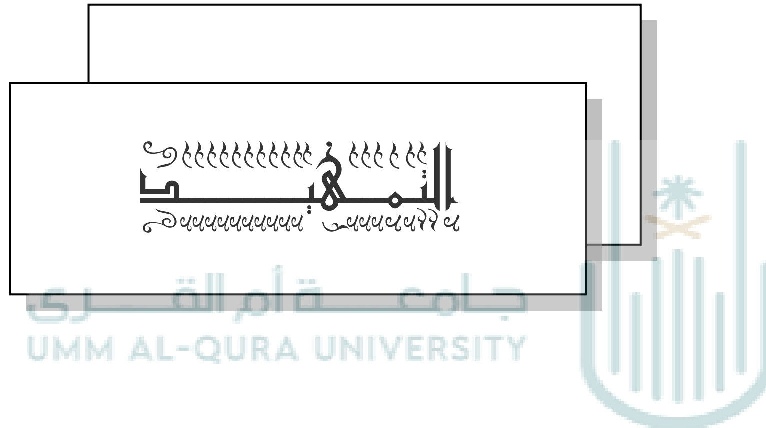
هذا ونسأل الله أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير. وهو الموفق للصواب، وإليه المرجع و المآب، والحمد لله رب العالمين .

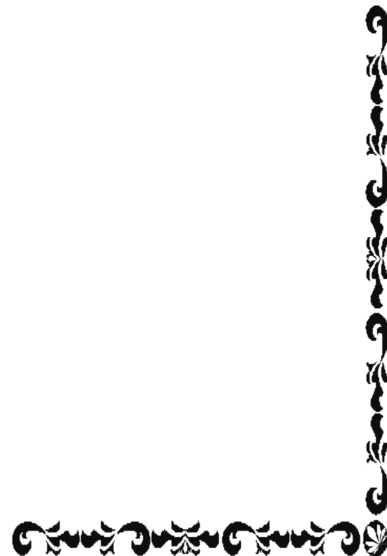
منى بنت سعود الحربي

مكة المكرمة






التمهيد



التمهيد

العلاقات العلمية بين مكة وبلاد المشرق الإسلامي

قبل فترة البحث، ويشتمل على ما يلي:

- مسميات مكة.
- جغرافية مكة.
- حرمة مكة وفضائلها.
- مكة وعلاقاته العلمية بأقاليم المشرق الإسلامي خلال القرن (١هـ /٧م).



۞ مسميات مكة:

لمكة أسماء كثيرة تدل على شرف المسمى، وليس ذلك بعجيب، فهي أرفع بلاد الله شأنا وأطهرها بقعة، عرفتها الحضارات القديمة، فورد اسمها بالسريانية (مكرابو)، وبالسبأية (مكرابا)، وبالأشورية (مكا)، وتعني في جميعها "البيت المقدس"(١).

ومن أسماء مكة: مكة وهو أشهرها(٢)، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾(٣)، وسماها الله سبحانه كذلك بكة(٤) في قوله: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٥)، وسماها أم القرى(٦)، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ

---

(١) مكة المكرمة مركز الأرض (مجلة الفيصل، س١،ع١، ١٣٩٨/١٩٧٧م)، ص٤١.

(٢) وقيل إن أهلها يمتكون الماء أي: يستخرجونه، أو لأنها تمك من ظلم وألحد فتهلكه، ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، (بيروت، دار صادر: ١٩٦٨م)، مادة مكة؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله : معجم البلدان، (بيروت: ١٩٥٧م)، ج٢، ص٨٢؛ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، (القاهرة، ١٩٥٦م)،ج١، ص٤٨.

(٣) سورة الفتح، آية: ٢٤.

(٤) وذلك لأنها تبك الجبارين، أي تدق أعناقهم، أو لأن الناس يتزاحمون فيها من كل موضع، وقيل: بكة موضع البيت ، ومكة سائر ما حوله. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، (القاهرة، مكتبة دار التراث)، ج١، ص٣٧٣؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٩٦.

(٦) لأنها أشرف وأفضل من سائر البلاد وأحبها إلى الله ورسوله. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج١، ص١٠٧.

ﭐلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾[(١)]، ووصفها بالبلد الأمين[(٢)]، قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾[(٣)]، ونعتها بالوادي: قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾[(٤)] ، والحرم الآمن: قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾[(٥)]، وأقسم بها فقال: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾[(٦)]، وأعلى شأنها على لسان الخليل حيث دعا ربه فقال: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ

---

(١) سورة الشورى، آية: ٧.

(٢) وذلك لأمن مكة على ساكنيها واللائذين بها أو الزائرين لها ، فتحفظ أرواحهم وأموالهم دون جميع أطرافها. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة ، ط٢،١٤٢٠هـ /١٩٩٩ م)، ج١، ص٣٨٣؛ بكر بن عبد الله أبو زيد : خصائص جزيرة العرب ، (جدة، دار ابن الجوزي: ١٤١٢ هـ) ، ص٤١ .

(٣) سورة التين، آية : ٣.

(٤) سورة إبراهيم، آية ٣٧.

(٥) سورة القصص، آية: ٥٧، وقد نسب إلى مكة أسماء عديدة قال بها المفسرون واللغويون واللغويون والمؤرخون ومنها: "أم زحم، والناسة، والناشة، والباسة، وصلاح، والعرش، والمقدسة، والمعطشة، والنابية، والحاطمة،والعروض، وطيبة، والرأس وغير ذلك، أحمد الحضراوي: العقد الثمين في فضائل البلد الأمين، (بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية)، ص١٦٣؛ إسماعيل حافظ: أسماء مكة (مجلة الدارة، س٤، ع٤، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م)، ص١٤٥.

(٦) سورة البلد، آية: ١.

ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [(١)]، وقال الخليل أيضاً: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[(٢)].

ومن أسمائها: معاد، والوادي، والنساسة، والناسة، وكوثى، والحرم، والمسجد الحرام، ومعطش، والعذراء، والسلام، والبيت العتيق، وأم رُحم ، وأم روح، وغيرها[(٣)]، وقد ذكرت لها بعض المصادر ما يقارب ثلاثين اسما[(٤)].

ويدل هذا التعدد في الأسماء على علو مكانتها وشرفها، فقد ذكر العلماء أن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى وشرفه، قال الإمام النووي: (اعلم أن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى، كما في أسماء

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٠. ٣٧.

(٢) سورة البقرة، أية: ١٢٩.

(٣) الأزرقي، أبي الوليد محمد بن عبد العزيز أحمد: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، (تحقيق: رشدي الصالح، ط٥، دار الثقافة، مكة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص٢٨٢؛ الفاكهي، محمد بن إسحاق : أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، (تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط٢، دار خضر، بيروت، ١٤١٤هـ)، ج٢، ص ٢٨٠، ٢٨١؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد: مثير الغرام الساكن إلى أشرف المساكن، (تحقيق: مرزوق إبراهيم، الرياض، ط١، دار الراية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج١، ص ٣٢٣؛ الفاسي: شفاء الغرام، (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٧٥، ٧٦؛ السنجاري، علي بن تاج الدين: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، (تحقيق: جميل عبد الله المصري وآخرين، ط١، مركز إحياء التراث الإسلامي،جامعة أم القرى،١٤١٩هـ /١٩٩٩م)، ج١، ص٢١٣، ٢١٤.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٧٥، ٧٦، السنجاري: منائح الكرم، ج١، ص٢١٤.

الله وأسماء رسوله ﷺ ، ولا يعرف بلد من البلاد أكثر أسماء من مكة والمدينة، لكونهما أشرف الأرض"[١].



(١) النووي، يحيى بن شرف: الإيضاح في مناسك الحج والعمرة، (مكتبة انس بن مالك، مكة المكرمة، ط٤ ، ١٤١٧هـ /١٩٩٦ م)، ص٤٣٧.

۞ جغرافية مكة:

وصف الجغرافيون المسلمون مكة بأنها بلدة قديمة، تقع بين جبال عظام، في واد منبسط من أودية جبال السروات، وتشرق الشمس عليها من جبل أبى قبيس الواقع في الجنوب الشرقي من المسجد الحرام، كما وصفوها بأنها بلدة معمورة، مقصودة من جميع أنحاء الأرض[1].

ويمكن تحديد مكة جغرافياً ضمن المنطقة الغربية من الجزيرة العربية، أي داخل النطاق المعروف حالياً بالدرع العربي، وبتحديد فهي تقع على السفوح الدنيا لجبال السروات، بحيث تمثل نقطة التقاء بين تهامة وتلك الجبال[2].

أما فلكياً فتقع مكة على دائرة عرض ٩١، ٥٢، ١٢ شمالاً، وعلى خط طول ٤٦، ٤٩، ٣٩ شرقاً [3].

---

(١) اليعقوبي، أحمد بن واضح: البلدان، (تحقيق: محمد أمين حناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م)، ص ١٥٣؛ الإدريسي، محمد بن على: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة)، ج١، ص ١٣٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، (دار صادر، بيروت،١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م)، ج٥، ص ٨.

(٢) عبد الله بن صالح الرقيبة: الحج إلى مكة المكرمة- دراسة جغرافية، لمنطقة الحج وأعداد الحجاج، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ)، ص٧-١٢؛ سليمان بن صالح القرعاوي: مكة المكرمة إعجاز موقعها وحرمتها و منزلتها وتوسعتها، (المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، عدد خاص بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م)، ص ٤.

(٣) انظر: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش: الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به، دراسة تاريخية ميدانية، (مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص٣٥.

ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر مابين ٢٨٠ إلي ٣٠٠ متر تقريباً[١].

وتقع مكة ضمن المنطقة المدارية الشمالية، وعلى الرغم من قربها من ساحل البحر الأحمر جغرافياً إلا أن تأثيره المناخي عليها لا يكاد يذكر إلا بنسبة ضئيلة، حيث تتجاذبها تأثيرات مناخ البحر المتوسط، وتأثيرات المناخ الموسمي؛ لذا ترتفع درجة الحرارة بمكة صيفاً، حيث تتراوح بين ٣٠-٤٥ درجة مئوية، وقد تزيد على ذلك، أما في فصل الشتاء يتميز جوها بالدفْء نوعاً ما[٢].

أما الأمطار فيغلب عليها عدم الانتظام، فقد تسقط بغزارة في عام واحد، وتنقطع لعدة أعوام متتالية، كما أنها تتساقط فجأة، وعلى فترات متباعدة، ثم تتوقف لفترة طويلة. وقد يسقط في اليوم الواحد وخلال ساعات محدودة أكثر من مجموع كمية المطر المتساقطة خلال أيام، مما يؤدى إلى حدوث سيول جارفة وفيضانات ينتج عنها حدوث كوارث مدمرة[٣].

---

(١) سليمان صالح القرعاوي: مكة المكرمة، ص٤؛ ناصر بن علي الحارثي: الآثار الإسلامية في مكة المكرمة، (الرياض، ط١، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م)، ص١٨ - ١٩.

(٢) أحمد بن محمد السباعي: تاريخ مكة "دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران"، (الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م)، جـ١، ص٢١؛ هاني ماجد فيروزي: ملامح من تاريخ مكة المكرمة، (دار العلم، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ص ٣٢.

(٣) لمزيد من المعلومات حول ما تؤدى إليه السيول من كوارث في مكة، انظر: عبد العزيز بن راشد السنيدي: أثر الأوضاع البيئية على الحياة الاجتماعية في مكة منذ بداية القرن ⇦

وتبعد مكة عن مدينة جدة الساحلية بنحو (٧٥) كيلو متر[١]. مما سهل وصول البضائع البحرية لها، حيث تنتهي كثير من بضائع وسلع المراكب التجارية إلى أسواقها[٢].

أما القوافل التجارية القادمة عن طريق البر فقد جعلت من مكة محطة لها أثناء تنقلاتها بين الشام واليمن، فأصبحت مكة بالنسبة لتلك القوافل مقصداً للراحة، وفرصة للتبادل التجاري مع أهلها، فنمت بذلك تجارتها، وأصبحت بهذا مركزاً تجارياً مهماً على طريق القوافل التجارية في الجزيرة العربية[٣]. وقد وصف لنا ابن جبير شيئاً من ذلك بقوله: (والطريق إليها ملتقى الصادر والوارد ممن بلغته الدعوة المباركة، والثمرات تجبى إليها من كل مكان، فهي أكثر البلاد نعماً وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر)[٤].

السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري "دراسة تاريخية حضارية"، (مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٩، العدد ٤٠، ربيع الأول ١٤٢٨ هـ).

(١) عبد الله الرقيبة: الحج إلى مكة، ص٧-١٢؛ سليمان القرعاوي: مكة المكرمة، ص ٤.

(٢) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (شرحه وعلق عليه: محمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م)، ج٤، ص ٢٥٨.

(٣) على بن حسين السليمان: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢،١٤٠٠هـ /١٩٨٠م)، ص٩٩.

(٤) ابن جبير، محمد الأندلسي: رحلة ابن جبير "تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار"، (دار صادر، بيروت ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩ م)، ص ٩٦ - ٩٧.

ولقد خط المكيون منازلهم حول الكعبة في بطن الوادي المحاط بالشعاب والجبال المختلفة[١].

ولقد تعددت طوابق المنازل بعد أن كان البناء فيها لا يعلو على الكعبة[٢].

أما مواد البناء في مكة فكانت من الحجارة والآجر، وأما الأسقف فمن الخشب الساج، فقد وصفها لنا المقدسي بقوله: (بأنها حجارة ملساء سوداء يعلوها الآجر، وأعمدتها كما في الغالب من الخشب الساج)[٣].

أما عن تحصينات مكة فقد تعهد الله بحفظها من غارات الأعداء وهجماتهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾[٤]. كما أنه سبحانه قد حفظها بالجبال الراسيات والتي أحيطت بها من عدة جهات، يذكر ابن جبير في رحلته أن مكة قد أحاطها الله بالجبال من سائر الجهات مما لا يحتاج معها إلى سور. وأن ما بها من سور فهو متهدم ولا يبقى منه سوى آثار[٥].

---

(١) أحمد السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص ٣٨.

(٢) المقدسي، محمد البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (تحقيق: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٧م) ، ص٧٥ ؛ صالح أحمد العلي: المعالم العمرانية في مكة المكرمة، ص ١٣-١٥ ؛ ناصر الحارثي: الآثار الإسلامية، ص٣٦.

(٣) أحسن التقاسيم: ص ٧٥.

(٤) سورة الفيل ، الآيات : ١ – ٥.

(٥) رحلة ابن جبير، ص ٨١.

۞ حرمة مكة وفضائلها:

حبا الله ﷻ مكة بفضائل عظيمة وأحكام شرعية جليلة اختصت بها وميزتها عن غيرها من سائر المدن والبلدان ؛ لتكون أفضل وأطهر بقعة على وجه الأرض، ففيها البيت الحرام الذي بناه إبراهيم بمساعدة ابنه إسماعيل عليهما السلام، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١] والذي قال عنه الحق تبارك وتعالى ذاكراً دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٢].

ولمَّا كانت مكة وادياً لا زرع فيه ولا ماء، وليس فيه من المقومات ما يغري بسكنه كما جاء بيانه في الآية السابقة، طلب إبراهيم الخليل عليه السلام من ربه أن يجعل هذا المكان مهوى لأفئدة الناس، وأن يرزقهم من الثمرات الكافية لشكرهم، قال القرطبي: (فاستجاب الله دعاءه، وأنبت لهم بالطائف سائر الأشجار، وبما يجلب إليهم من الأمصار)[٣].

(١) سورة البقرة: آية ١٢٧.

(٢) سورة إبراهيم: آية ٣٧.

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القران العظيم "تفسير القرطبي"، (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ج٩، ص ٣٧٣.

ولقد بيّنت نصوص الكتاب والسنة حُرمة مكة وفضائلها، ففي القرآن الكريم قال سبحانه وتعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾[١].

وفي السنة ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: "إن هذا البلد حرام، حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وما أحل لأحد فيه القتل غيري، ولا تحل لأحدٍ بعدى فيه حتى تقوم الساعة، وما أحلَّ لي منه إلا ساعة من نهار، فهو حرمة الله ﷻ إلى أن تقوم الساعة، لا يعضد شوكه، ولا يختلى خلاه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطه إلا لمعرف، قال: فقال العباس وكان من أهل البلد قد علم الذي لا بد لهم منه إلا الإذخر[٢] يا رسول الله فإنه لابد لهم منه، فإنه للقبور والبيوت، فقال رسول الله ﷺ: "إلا الإذخر"[٣].

ومما جاء أيضاً في تحريم مكة أيضاً عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن إبراهيم حرم مكة، ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم

(١) سورة المائدة، آية ٩٧.

(٢) الإذخر : نبات طيب الريح ، يسقف به البيوت فوق الخشب، كما أنه يطحن فيدخل في الطيب . انظر : الزَّبيدي، محمّد بن محمّد الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، (تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية)، ج ١١ ، ص٣٦٤.

(٣) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري ، (دار الشعب، القاهرة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م)، كتاب بدء الوحي، باب كتابة العلم ، ج١ ، ص ٣٩، ح (١١٢).

إبراهيم مكة، ودعوت لها في مُدِّها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة"(١).

وقد جعل الله الحرم أماناً للناس، فحرم الله سبحانه وتعالى القتال وسفك الدماء في مكة والاعتداء على أهلها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(٢)، وقوله تبارك و تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾(٣).

ومن فضل مكة المكرمة أنها أحب بلاد الله إليه فقد روى عبد الله بن عدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مخاطباً مكة: "إنك خير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت"(٤).

ولفضل مكة وعلو منزلتها أقسم الله تعالى بها في كتابه فقال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾(٥).

---

(١) البخاري: الصحيح. كتاب بدء الوحي، باب (٥٢) ما يستحب من الكيل، ج٣، ص٨٨، ح(٢١٢٩). وأخرجه مسلم في الحج باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة (٩٩١/٢ . ح١٣٦٠).

(٢) سورة البقرة: آية ١٢٥.

(٣) سورة العنكبوت: آية ٦٧.

(٤) الترمذي، محمد بن عيسى: الجامع الصحيح سنن الترمذي، (تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت)، ج٥، ص ٧٢٢، ح (٣٩٢٥)؛ ابن ماجه، محمد القزويني: سنن ابن ماجه، (كتب حواشيه: محمود خليل، مكتبة أبي المعاطي، القاهرة)، كتاب المناسك، (١٠٣) باب فضل مكة، ج٤، ص ٢٨٩، ح (٣١٠٨).

(٥) سورة التين: آية ١ . ٣.

والقسم بالشيء دلالة على عظمة المقسم به، وبيان لعلو منزلته، وإيضاح لمكانته عند الله سبحانه وتعالى، فهذا يدل على عظيم شأن البلد الحرام، وفي ضمن القسم أشار الله باسم الإشارة "هذا" الذي يدل على القرب لينبه على قرب مكانته عند الله ﷻ، ثم وصفها بـ"الأمين" وهو فعيل بمعنى فاعل: أي آمن"[١].

كما أقسم الله ﷻ بمكة أيضاً في قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[٢]. قال ابن كثير: (هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَّةَ أُمِّ الْقُرَى فِي حَالِ كَوْنِ السَّاكِنِ فِيهَا حَالًا- أي مقيم-؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى عَظَمَةِ قَدْرِهَا فِي حَالِ إِحْرَامِ أَهْلِهَا)[٣]. ومن المزايا العظيمة التي ميّز بها الله سبحانه وتعالى البيت الحرام أن جعله أول بيت وضع للعبادة على وجه الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٤]. وقد وورد عن أبى ذر ﷺ قال: "قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول، قال: المسجد الحرام قال قلت ثم أي، قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما، قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فَصَلِّه فإن الفضل فيه"[٥].

---

(١) البلد الحرام فضائل وأحكام، (كلية الدعوة وأصول الدين "جامعة أم القرى"، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ)، ص٢٤.

(٢) سورة البلد: آية ١، ٢.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٨ ، ص ٤٠٢.

(٤) سورة آل عمران: آية ٩٦.

(٥) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوحي، باب (٩) يزفون النسلان في المشي، ج٤، ص ١٧٧، ح (٣٣٦٦).

وأضفى الله سبحانه وتعالى على أهل مكة ميزة ليست لأحد غيرهم فهم أهل الله ﷻ؛ يدل على ذلك ما رواه عتاب بن أسيد[١] أن النبي ﷺ قال له لما استعمله على مكة فقال له: (أتدري إلى أين أبعثك؟ إلى أهل الله وهم أهل مكة، فانههم عن أربع: عن بيع وسلف، وعن شرطين في بيع، وربح ما لم يضمن، وبيع ما ليس عندك)[٢].

قال ابن أبى مليكة[٣]: (كان أهل مكة فيما مضى يُلْقَون، فيقال: يا أهل الله، وهذا من أهل الله)[٤].

---

(١) عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي، ولاه الرسول ﷺ مكة بعد فتحها في السنة الثامنة، واستمر في ولايتها حتى وفاته سنة ١٣ هـ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم: أسد الغابة في معرفة الصحابة، (دار الفكر، بيروت)، ص٣.

(٢) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، (ط١، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ١٣٤٤ هـ)، باب النهي عن بيع ما لم يقبض، ج٥، ص٣١٣، ح(١٠٩٩٤). والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٢١٢).

(٣) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبى ملكيه التيمي، أحد العلماء التابعين الحفاظ في مكة، وروى عن ابن عباس وعائشة وعبد الله بن عمر وغيرهم، وكان ثقة كثير الحديث، فقيه، حجة، تولى قضاء مكة والطائف في عهد بن الزبير، وتوفي بمكة سنة (١١٧هـ/ ٧٣٥م). انظر: ابن حبان، محمد البستي: مشاهير علماء الأمصار، (عنى بتصحيحه فلايشهر، دار الكتب العلمية، بيروت)، ص٨٣ ؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان: تذكرة الحفاظ، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ج١، ص ١٠١ – ١٠٢.

(٤) الأزرقي، أبو الوليد محمد: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، (تحقيق رشدي الصالح ملحس، بيروت، دار الأندلس، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ج١، ص ١٥١؛ ابن الجوزي: مثير الغرام ، ص ٣٣٥.

ومن مزايا البيت الحرام انجذاب القلوب إليه، واشتياق الأرواح له، ورغبتها في التردد إليه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[١]، وقد جعله الله بذلك مرجعاً للناس لا يروون غليلهم منه، فما إن يفارقونه حتى يتوقون الرجوع إليه مرة أخرى[٢].

كما ضاعف الله سبحانه وتعالى الصلاة في البيت الحرام فجعلها بمائة ألف صلاة، فقد روى جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه"[٣].

واختلف أهل العلم في مضاعفة الصلاة في مكة كلها، فمنهم من خصص هذه المضاعفة بالمسجد المحيط بالكعبة فقط، ومنهم من عمم هذا الفضل في الحرم كله، إلا أن كثيراً من العلماء رجحوا الرأي الأخير معتبرين أن الحرم كله مسجد[٤].

إضافة إلى ذلك فقد فضل الله سبحانه مكة فجعل المسجد الحرام ضمن منظومة ثلاثة مساجد معظمة الشأن ومشرفة، تشد إليها الرحالة

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢٥.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص١١٠.

(٣) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، (١٩٥) باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ، ج٢، ص ٤١٢، ح (١٤٠٦).

(٤) البلد الحرام فضائل وأحكام، ص ٣٠.

بنية العبادة والتقرب إليه[1]؛ فعن أبى هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"[2].



(١) خليل إبراهيم ملا خاطر: مكانة الحرمين الشريفين عند المسلمين، (جدة، دار القبلة الإسلامية، ط١، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص ٥٩ . ٦٠ .

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، (١) باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ج٢، ص ٧٦، ح (١١٨٩).

۞ مكة وعلاقاتها العلمية بأقاليم المشرق الإسلامي خلال القرن (١هـ / ٧م).

لقد كان لظهور الإسلام أثر عميق في حياة العرب، فكان نزول القرآن الكريم وظهور الدعوة الإسلامية حدثاً فاصلاً في تاريخ العرب وتطورهم الفكري، فجاءت الأوامر الربانية تحض على العلم والمعرفة وتذكر بأهميتهما، ودعا الوحيُ الإنسانَ إلى التأمل والتفكير فيما حوله والاستفادة من تجارب وخبرات من سبقه(١)، فقد كانت أول آية نزلت على قلب النبي ﷺ تأمر بالعلم والمعرفة وتؤذن ببدء عهد الإيمان(٢)، قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٣).

وحرص النبي ﷺ على الاهتمام بالعلم والتعليم، وشجع المسلمين على الاستزادة منه مما من شأنه تنمية مداركهم، وتزكية نفوسهم، وصلاح أمرهم في الدنيا والآخرة.

وفي غزوة بدر وقع كثير من أهل مكة في الأسر، ففادى رسول الله بهم على قدر أموالهم، ومن لا مال له فكان يفدي نفسه بتعليم غلمان المدينة القراءة والكتابة، وفي ذلك يقول ابن سعد: (أسر رسول ﷺ

---

(١) عارف عبد الغني: نظم التعليم عند المسلمين، (دار كتان، دمشق،١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص١٩.

(٢) سعد مرسي أحمد : تاريخ التربية والتعليم، (عالم الكتب، القاهرة ، ١٩٧٨ م)، ص ١٠٧.

(٣) سورة العلق: آية ١ – ٥.

يوم بدر سبعين أسيراً، وكان يفادى بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم فإذا احترفوا فهو فداؤه)[١].

وعند نشوء الدولة الإسلامية، كانت الحاجة ملحة للترجمة، فأمر النبي ﷺ بتعلم ما احتيج له، قال زيد بن ثابت: "أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلماتٍ من كتاب يهود، وقال: إني والله ما آمن يهود على كتابي، قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى اليهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم"[٢].

وهكذا فإن الرسول ﷺ أمر المسلمين بتعلم كل ما يفيدهم في أمور دينهم ودنياهم، فوضع أسسَ نهضة علمية قوية، تؤدى إلى سعادة الدارين، فمن غايات الإسلام النبيلة تهذيب النفس، وردها إلى طريق الخير والصواب في سائر مجالات الحياة الإنسانية[٣].

ولم يكن التعليم في الإسلام مقتصراً على علوم محدودة؛ بل كل معرفة يحتاجها الإنسان في دينه ودنياه فالأمة مأمورة بتعلمها، وفي القرآن الكريم والسنة نصوص كثيرة تحض على التعليم، وتبين فضل

---

(١) ابن سعد، محمد الزهري: الطبقات الكبرى، (ط٥، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧ م)، ج٢، ص ٢٢.

(٢) الترمذي: السنن، باب تعلم السريانية، ج٥، ص ٦٧، ح (٢٧١٥).

(٣) حسين الكساسبة: معلمو الكتاتيب في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري "مكانتهم الاجتماعية"، (مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد(١)، مجلد ٢٤، شباط/ ١٩٩٧م، شوال/ ١٤١٧هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية)، ص ٧٣.

العلم والعلماء، وتهدي إلى طريق تربيتهم وتعليمهم، وقد خص القرآن العلم والعلماء بالتمجيد في آيات عديدة[١] مثل قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[٥]، فالآيات السابقة توضح عظم قدر العلم والعلماء عند الله سبحانه وتعالى، وهي عامة، ومقصودها الأسمى هو العلم الذي يوصل إلى الله والدار الآخرة.

وأكدت السنةُ النبوية الشريفة ما قرره القرآنَ الكريم في بيان فضل العلم وأهميته؛ فعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً سلك الله له به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى بطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً؛ إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر"[٦].

(١) حسين الكساسبة: معلمو الكتاتيب، ص٧٣ .

(٢) سورة آل عمران: آية ١٨.

(٣) سورة النحل: آية ٤٣.

(٤) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٥) سورة فاطر: آية ٢٧.

(٦) الترمذي: السنن، باب فضل الفقه على العبادة، ج ٥، ص ٤٨، ح (٢٦٨٢).

وحسب العلماء هذه الدرجة مجداً وفخراً، وبهذه الرتبة شرفاً وذكراً، فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف إرث هذه الرتبة[١]، وورد عن أبى هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً، ثم يعلمه أخاه المسلم"[٢].

فمن هنا يتضح مدى أهمية العلم في حياة المسلم ومجتمعه، ومن هذا المنطلق؛ نشأت العلاقات العلمية بين العلماء عند تلاقيهم، وأخذهم عن بعضهم البعض ونقاشهم وتدارسهم لكتب العلم، وكان هذا في كل بقعة توجد فيها المعارف، في أي مصر من أمصار العالم الإسلامي، ومما لا شك فيه أن مكة كانت في مقدمة ذلك كله، فقد بدأت الحركة العلمية الفعلية بمكة بعد الفتح عندما عَهِدَ الرسول ﷺ إلى معاذ ابن جبل الأنصاري ﷺ (ت١٨هـ/٦٣٩م) بتعليم أهل مكة القرآن الكريم، والفقه في الدين[٣]، ومن وقتها انتشر العلم بها، وبرز العلماء المكيون في كل العصور، وزادت معارفهم العلمية بالتواصل مع من قدم مكة من علماء العالم الإسلامي للحج أو للعمرة أو لزيارة الأقارب.

كما رحل المكيون إلى العديد من عواصم العالم الإسلامي طلباً للعلم والمعرفة، فمنهم من رحل إلى المدينة للاستفادة من علم صحابة

---

(١) ابن جماعة، بدر الدين بن أبى إسحاق إبراهيم بن أبى الفضل: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، (تحقيق: السيد محمد الندوي، رمادي للنشر)،ص ٢٩.

(٢) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، (٢٠) باب ثواب معلم الناس الخير، ج١، ص ١٦٤، ح(٢٤٣)؛ وضعفه الألباني في الترغيب والترهيب، (مكتبة المعارف، الرياض)،ج١، ص١٥، ح (٥٧).

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص ١٣٧.

رسول الله ﷺ، ومنهم من اتسعت رحلته إلى غيرها من أقطار العالم الإسلامي.

وكذلك قدم مكة العديد من طلبة العلم للاستفادة من فقهاء الصحابة، فكان يجلس إليهم المكيون يتعلمون منهم، فعلى سبيل المثال يُعد الصحابي الجليل عبد الله بن عباس[١] – رضي الله عنهما– (ت٦٨هـ /٦٨٧م)، أبرز من نزل بمكة من فقهاء الصحابة، وعليه تتلمذ جل علماء المكيين في القرن الأول.

وابن عباس رضي الله عنه كان فقيها برز في فهم علوم القرآن الكريم وتعاليمه، فهو ترجمان القرآن الكريم، ويعد رائدَ مدرسة التفسير في مكة[٢].

وكان ينشر علمه أثناء الحج أيضاً، فربما خطب بالحجاج خلال

---

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، حبر الأمة، صحب الرسول ﷺ وروي الكثير من الحديث عنه، وهو من فقهاء الدين. انظر ترجمته ابن سعد: الطبقات الكبرى، (تحقيق: محمد بن صامل السلمي، ط١، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤١٤هـ/١٩٩٣ م)، ج٢، ص ٢٧٨ . ٢٨٤؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت)، ٦١. ٨٠، ص ١٨٤. ١٦١؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص ٣٤١.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص ١٤٩ – ١٥٣؛ البلاذري، أحمد بن يحيى: كتاب جمل من أنساب الأشراف، (تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، ط١، دار الفكر، بيروت،١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ج٤، ص٤٣؛ حميدان بن عبد الله الحيدان: المراكز العلمية ومشاهير الفقهاء خلال عصر التابعين "الحجاز"، (مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المجلد الخامس، ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥م)، ص ٢٨.

الموسم، فيقرأ القرآن الكريم ويفسره[1]، وبذلك كان علمه مقصداً للحجاج خلال مواسم الحج لسؤاله عن تفسير آيات عديدة من القرآن، وتتلمذ عليه من الآفاق الكثيرون من علماء التابعين، فسعيد بن جبير الكوفي (ت ٩٤هـ /٧١٣ م)[2]، وأبو العالية البصري[3]، وطاووس اليماني[4]، من أبرز تلامذته، وهم من أجّل علماء عصر التابعين.

كما حرص طلبة العلم على الالتقاء بعبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما–(ت ٧٤هـ /٦٩٣ م)[5]، فكان الثقة

(١) محمد بن عبد الله الخضيري: تفسير التابعين "عرض ودراسة مقارنة" ، (ط١، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج١،ص ٣٧٢.

(٢) هو أبو عبد الله سعيد بن جبير، مولى لبني والبة بن الحارث من أسد، كان فقيهاً عابداً، وروى عن الكثير من الصحابة، خرج على الأمويين، وشارك في حركة عبد الرحمن بن الأشعث، فقتله عامل بني أمية وقائدهم الحجاج بن يوسف الثقفي . ابن حيان : مشاهير علماء الأمصار، ص ٨٢، ابن سعد: الطبقات، ج ٦، ص٢٥٦ – ٢٦٧ ؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، (مجموعة من المحققين، إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ج٥، ص ١٩.

(٣) أبو العالية: هو رفيع بن مهران الرياحي مولاهم البصري أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر. قال ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم عنه: ثقة، وقال اللالكائي مجمع على ثقته وقال قتادة عنه قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم بعشر سنين. انظر : ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني: تهذيب التهذيب، (حيدر أباد، ١٩٠٨م) ،ج٣، ص ٢٨٤.

(٤) تأخرت وفاة طاوس إلى (١٠٦هـ)، فهو داخل بهذا الاعتبار في فترة البحث.

(٥) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير، وهاجر معه إلى المدينة، روى عن الرسول ﷺ، وعن أبيه. ابن سعد: الطبقات، ج ٤، ⇦

الفاضل عمر بن حبشي[1] يسأله إذا نزل مكة عن أمور الحج وتفسير القرآن[2].

كما وفد على مكة العديد من طلبة العلم من كافة أنحاء العالم الإسلامي، وكان الكثير منهم يطيب له المقام بها، فيجاور البلد الحرام، متنقل بين أروقة المسجد الحرام طلباً لتلقي العلوم الشرعية، والسماع على المشايخ، ونيل الإجازة.

فمن علماء العراق الذين جاوروا بمكة طلباً للعلم أبو الجوزاء أوس بن خالد البصري (ت ٨٣هـ / ٧٠٢م)[3]، فقد لازم عبد الله بن العباس، وأخذ عنه تفسير القرآن الكريم، يقول أبو الجوزاء: (جاورت ابن عباس في داره اثنتي عشرة سنة ما في القرآن من آية إلا وقد سألته عنها)[4].

وربما عقدت الدروس لهؤلاء التلاميذ الآفاقيين في مكة بعد عصر الصحابة، فقد كانت هناك الكثير من الحلقات العلمية الفقهية المشهورة

ص ١٤٢ . ١٨١؛ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤١٧هـ)، ج١، ص٢٩٢-٣١٤.

(١) هو عمر بن حبشي الزبيدي الكوفي، ثقة، روى عن بعض الصحابة. البخاري: التاريخ الكبير، (بيروت، دار الكتب العلمية)،ج٦، ص ٣٢٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير: تهذيب الآثار، (دار المأمون للتراث ، دمشق، ١٤١٦هـ)، ج٥، ص ٣٠١.

(٣) هو تابعي ثقة وعابد فاضل، خرج على الأمويين، وشارك في حركة عبد الرحمن بن الأشعث، فقتل في موقعة دير الجماجم سنة ٨٣ هـ/٧٠٢ م. انظر ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٢٣ -٢٢٤؛ الأصبهانى:حلية الأولياء،ج٣، ص٧٨-٨٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٢٤ ؛ الأصبهاني: حلية الأولياء، ج٣، ص٧٩.

في المسجد الحرام منها حلقة الإمام سعيد بن جبير، الذي نشر علمه وأفتى في مكة.

وقد انصبت الاهتمامات العلمية في هذا القرن – الأول – على دراسة القرآن وعلومه، والحديث، والفقه، وما يتعلق بها من علوم شرعية، مع اهتمام ملموس بالعلوم الأخرى(١).

وأما الحياة الأدبية فلم تخلُ مكة من مشاركات في هذه الحقبة، وإن كانت بصورة أقل لانصراف الكثير من الناس إلى تعلم الفقه في الدين وعلم الفرائض والجهاد ومتابعة الفتوحات الإسلامية(٢).

وبرز على الساحة الأدبية الكثير من الشعراء المجيدين أمثال : ابن أبي رَبِيَعة (ت٩٣ هـ /٧١٢ م) (٣).

كما اشتهرت القصة في الأندية الأدبية والمجالس، فضلاً عن ذلك اتجاهها لخدمة الدين، وأثر ذلك على ظهور القصاص في المسجد الحرام(٤).

---

(١) عبد الودود مسلم الرحيلي: مكة المكرمة في العصر الأموي "٤١-١٣٢هـ /٦٦١-٧٥٠م"، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، تموز/٢٠٠٥ م)، ص ١٤٤.

(٢) زكى عابدين غريب: الحياة الأدبية في مكة في القرن الأول الهجري، (ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م)، ج١، ص ٤٤٠.

(٣) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب: أرق شعراء عصره، قيل: لم يكن في قريش أشعر منه. له ديوان شعر مطبوع. انظر: شوقي ضيف: الشعر والغناء في المدينة ومكة لعمر بني أمية، (ط٤، دار المعارف، القاهرة)، ص ٢١٣؛ الزركلي: خير الدين محمود بن محمد: الأعلام (دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٥، ٢٠٠٢م) ، ج٥، ص ٥٢.

(٤) زكى عابدين غريب: الحياة الأدبية في مكة، ج١، ص ٤٥٠.

وكانت السيدة عائشة –رضي الله عنها– توصي عبيد بن عمير الليثي أن يقصص يوماً ويدع يوماً لكي لا يمل الناس[١]،وهذا فضلاً عن الخطابة التي كانت تعبر عن مختلف الموضوعات بما فيها الأحداث السياسية السائدة آنذاك[٢].

ومن خلال ما تم سرده يمكن القول بأن العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي كانت متميزة عن غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى البعيدة، وذلك لقربهما من بعضهما، كما كانت المواسم الدينية بمكة مناسبة في غاية الأهمية لكثير من العلماء الوافدين من جميع الأقطار في التنافس لنشر علومهم في مكة، فكانت مركز إشعاع ديني في هذا الزمان، يقول الذهبي: (كان العلم بها يسيراً في زمن الصحابة وكذلك في أيام التابعين....)، إلى أن قال: (ثم في أثناء المائة الثالثة تناقص على الحرمين وكثر بعدهما...)[٣].

ونشاط الحركة العلمية بمكة أو فتورها الذي يشير إليه الذهبي مرجعه إلى حركة العلماء، ونزولهم بمكة أو استقرارهم بها ومجاورتهم لفترة زمنية، ثم انتقالهم إلى بلد آخر طلباً للعلم، والأخذ عن العلماء في

---

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي: شعب الإيمان ، (تحقيق: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ج ٢ / ص ٣٤١، ح (١٠٢٠)؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص٣٣٩.

(٢) زكى عابدين غريب: الحياة الأدبية، ج١، ص ٤٥٩.

(٣) الذهبي: الأمصار ذوات الآثار، (تحقيق : محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص١٥٩.

شتى الأمصار الإسلامية، فكانت تنشط الحركة العلمية في مكة، بكثرة الوافدين عليها من علماء المسلمين لأداء الحج أو العمرة.

ومع ذلك لم تتوقف الحركة العلمية في أي عصر من العصور الإسلامية، وإنما ظلت مستمرة بفضل الله ﷻ من القرن الأول الهجري حتى اليوم، فمكة المكرمة، كانت ولا زالت نقطة التقاء ومركز تجمع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، ولهذا كانت من أقوى مراكز نشر الثقافة الإسلامية والتواصل العلمي الثقافي بين مختلف الأمصار الإسلامية.

فالفتور في بعض السنوات هو فتور نسبي، ولم تخلُ مكة قط من إسهامات العلماء في شتى العلوم. وكان العلماء في العصور الأولى يقصدونها من مختلف أقطار العالم الإسلامي ليؤدوا ركناً من أركان دينهم الحنيف، وليضيفوا على ذلك أموراً أخرى، من أهمها: التزود بزاد التقوى، والعمل الصالح، والعلم، والمعرفة، ويؤكد ذلك انتساب بعض علماء المشرق الإسلامي خلال إقامتهم لمكة لفترة من الزمن تعلماً أو تعليمياً فأصبحت لهم ألقاب متنوعة يعرفون بها ويتميزون شرفاً بها مثل: "إمام الحرمين"، أو "جار الله" ، أو "المكي"، وهي شواهد صادقة عبر التاريخ على الدور العلمي لمكة في شتى المجالات العلمية والفكرية والثقافية للأفراد خاصة والأمة الإسلامية عامة(١).

(١) عبد الوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف الجامع والجامعة، (نادي مكة الثقافي الأدبي)، ص ٦-٧ .

ومما تقدم نستخلص عدة أمور لعل أهمها:

- التأكيد على حرمة مكة وهو موضع إجماع بين العلماء، وفضلها كبير فقد جعل الله الحرم أماناً للناس، ومكة المكرمة أحب بلاد الله إليه، أقسم الله تعالى بها في كتابه، وبها أول بيت وضع للعبادة على وجه الأرض، وأهل مكة هم أهل الله ﷻ؛ كما ضاعف الله سبحانه وتعالى الصلاة في البيت الحرام فهي بمائة ألف صلاة.

وعند نشوء الدولة الإسلامية، كان العلم أساساً من أسسها ومن هذا المنطلق؛ نشأت العلاقات العلمية بين العلماء عند تلاقيهم، وأخذهم عن بعضهم البعض ونقاشهم وتدارسهم لكتب العلم، وبدأت الحركة العلمية بمكة بعد الفتح عندما عَهِدَ الرسول ﷺ إلى معاذ ابن جبل الأنصاري ﵁ وبرز العلماء المكيون في كل العصور، وزادت معارفهم العلمية بالتواصل مع من قدم مكة من علماء العالم الإسلامي للحج أو للعمرة أو لزيارة الأقارب. ورحلوا كذلك في طلب العلم أيضاً، ومع قدوم فقهاء الصحابة إلى مكة كان يجلس إليهم المكيون يتعلمون منهم، وفي مقدمتهم الصحابي الجليل عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- وعليه تتلمذ جل علماء المكيين في القرن الأول.

- وأما الحياة الأدبية فلم تخلُ مكة من مشاركات في هذه الحقبة، وإن كانت بصورة أقل لانصراف الكثير من الناس إلى تعلم الفقه في الدين وعلم الفرائض والجهاد ومتابعة الفتوحات الإسلامية.



الفصل الأول

الأحوال العامة في مكة خلال فترة البحث

وفيه أربعة مباحث:

۞ **المبحث الأول:** الأحوال الدينية.

۞ **المبحث الثاني:** الأحوال السياسية.

۞ **المبحث الثالث:** الأحوال الاقتصادية.

۞ **المبحث الرابع:** الأحوال الاجتماعية.



المبحث الأول : الأحوال الدينية

الحياة الدينية في مكة هي أساس الحياة العامة في المجتمع، فإن الدين هو الأساس الذي تقوم عليه حياة البشر في كل المجتمعات، إلا أن مكة لها تميزها الخاص الذي يجعل الحديث عن الحياة الدينية مهيمناً على الحديث فيما يخص غيرها من الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فتأثير الحرم المكي على الناس كان ولا يزال هو الأساس في توجيه العادات والتقاليد والعلوم والثقافات وغير ذلك.

والبحث في الحياة الدينية لمكة يقتضي عرض شرائح المجتمع من ناحية تدينهم وعقيدتهم ومذاهبهم الفقهية، كما يقتضي معرفة توجيه الناس فيما يتعلق بالدين من احتساب وقضاء، وهو ما أتناوله بالدراسة في هذا المبحث(١).

القضاء هو: الفصل في المنازعات، وهو أمر أجمع على مشروعيته الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾(٢)، وقال رسول الله ﷺ: "إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ"(٣).

---

(١) ويدخل في الحياة الدينية أيضاً: دروس الوعظ والخطابة والتدريس الشرعي جملة، لكن رأيت بحث هذه عند تناول الحديث عن المسجد الحرام والمراكز العلمية.

(٢) سورة المائدة، آية: ٤٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ج ٩، ص ١٠٨ ، ح (٧٣٥٢) ؛ وأخرجه مسلم في الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، ج٣ ، ص١٣٤٢ ، ح (١٧١٦).

وأجمع المسلمون على مشروعية نصب القضاء والحكم بين الناس وأنه من فروض الكفايات؛ لأن أمر الناس لا يستقيم بدونه، فكان واجباً عليهم كالإمامة، وفضله عظيم لمن قوي على القيام به ؛ لأن فيه أداء الحق والأمر بالمعروف ونصرة المظلوم، وهذه كلها من أبواب القربات، ولذلك تولاه النبي ﷺ والأنبياء قبله، فكانوا يحكمون لأممهم[1]، قال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2].

والقضاء له تأثير كبير على الحركة العلمية، وذلك لأن العلماء ذكروا أنه يشترط في القاضي الكمال أي: كمال الأحكام وكمال الخلقة[3]، والعدالة، وأن يكون من أهل الاجتهاد في الدين وهذا يلزم أن يكون عالماً بالكتاب والسنة والإجماع والاختلاف والقياس ولسان العرب[4]، وبذلك يكون تأثيره كبيراً على الحركة العلمية.

لقد كان القضاء في عهد الخلفاء الراشدين مستقلاً، وكان القاضي يُختار من العلماء العالمين بالقضاء، لكن لم يكن ثمة تسجيل للأحكام؛ لسرعة تنفيذ الحكم، والذي يشرف عليه القاضي ومساعدوه.

وكان المسجد هو مكان الفصل بين المتقاضين حتى اتخذ مكاناً

(١) انظر في ذلك كله: ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد المقدسي : المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، (بيروت، ط١ ، دار الفكر ، ١٤٠٥هـ)، ج١٤، ص٥،٦.

(٢) سورة ص، آية: ٢٦.

(٣) كمال الأحكام: أن يكون بالغاً عاقلاً حراً ذكراً، وكمال الخلقة: بأن يكون متكلماً سميعاً بصيراً، وفي بعض ذلك خلاف وقيود، انظر: ابن قدامة: المغني ، ج١٤، ص١٢، ١٣.

(٤) ابن قدامة: المغني ، ج١٤، ص١٥.

خاصاً للقضاء أو دار خاصة (دار القضاء) في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه[١].

وأئمة القضاء الذين نحن بصدد الكلام عنهم أدركوا القرون المفضلة، المشهود لها بأنها خير القرون، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[٢].

وقد ولي القضاء بمكة بعد عهد الصحابة جماعة من القضاة الفضلاء، منهم:

. عبيد بْن حنين ، مولى لبابة بنت أبي لبابة[٣]؛ ولي قضاء مكة؛ كان عالماً فقيهاً، حمل عنه العلم الكثير من الناس، توفي بالمدينة سنة (١٠٥هـ/٧٢٣م)[٤].

. ابن أبي مليكة عبد اللهِ بن زهير (ت١١٧هـ/٧٣٥هـ) ، كان عالماً مفتياً محدثاً ، تولى قضاء مكة ثم الطائف[٥].

(١) محمد سلام مدكور: القضاء في الإسلام،(دار النهضة العربية،القاهرة، ١٣٨٤هـ)، ص ٢٦.

(٢) البخاري: الصحيح ، كتاب بدء الوحي، باب (١) فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ج ٥، ص٣، ح (٣٦٥٠). وقال ابن الأثير في "خيركم قرني، ثم الذين يلونهم" : "يعني الصحابة ثم التابعين، والقرن أهل كل زمان، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران وكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم، وأحوالهم". انظر: ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد: النهاية في غريب الأثر، (تحقيق : طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)،ج٤، ص٥١.

(٣) هي لبابة بنت أبي لبابة الأنصارية، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ ، تزوجت زيد بن الخطاب ، ومات عنها شهيداً في اليمامة. ابن سعد: الطبقات الكبرى،ج ٨، ص ٣٤٧.

(٤) خليفة بن خياط، أبو عمرو: الطبقات ، (تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت)، ص ٤٣٤؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٤ ، ص ٦٠٥.

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص٨٩.

. كما تولى قضاء مكة القاضي عمار بْن أبي مالك الخشني (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، والقاضي الزبير بْن بكار (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)(١).

. كذلك تولى قضاء مكة العالم المقرئ مُحَمَّد بْن عَبْد الرحمن المخزومي (ت ٢٩١هـ/٩٠٣م)(٢).

. كما تولى قضاء مكة عبد الرحمن بن يزيد بن حنظلة، من علماء مكة في القرن (٣هـ/١٠م)(٣).

أما الحسبة:

فهي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وهي وظيفة دينية تتعلق بالنظام العام والآداب وفي الجنايات أحياناً إذا احتاج الأمر إلى سرعة الفصل وأساسها قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ (٤).

وللحسبة مراتب في الإنكار تبدأ بالقول الحسن، ثم القول الخشن ،

(١) وكيع ، أبو بكر محمد بن خلف البغداي: أخبار القضاة ، (تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية ، مصر، ط١، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م)، ج١، ص ٢٦٩.

(٢) ابن العماد الحنبلي، أبي الفرج عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دمشق، دار بن كثير ، ١٤٠٦هـ، وطبعة مكتبة القدسي للطباعة والنشر، القاهرة)، ج ٢ ، ص ٢٠٨.

(٣) الفاكهي : أخبار مكة، ج٣ ، ص ١٨٦.

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٤. وانظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن أحمد: الأحكام السلطانية، (القاهرة)، ص٢٤٠. ٢٤٩؛ الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله : نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة)، ص٦.

ثم بالتوبيخ، ثم التهديد، ثم الضرب ، ثم المقاتلة ما لم تثر فتنة، وليس للمحتسب استخدام السيف ، وكل ذلك على حسب الحاجة(١).

وقد حدد ابن خلدون اختصاصات المحتسب بقوله: "إنه يبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقات في الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط لهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على المارة وغير ذلك"(٢).

وقد عُني خلفاء الدولة الإسلامية بأمر الحسبة في مكة فقد ولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حسبة السوق لسليمان بن أبي حثمة بن غانم بن عامر القرشي البدري(٣). كما ولى عمر بن الخطاب ﷺ أمر السوق امرأة من قومه تدعى "الشفاء"(٤)، قال عنها ابن حجر:

(١) ابن الإخوة ، محمد بن محمد بن أحمد : معالم القربة في طلب الحسبة ، (دار المعارف، القاهرة)، ص ٢٥٦.

(٢) ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد الحضرمي: المقدمة، (طبعة دار الشعب، القاهرة، والمكتبة العصرية، بيروت)، ص٥٧٦.

(٣) هاجر صغيرا مع أمه الشفاء إلى المدينة، كان من فضلاء المسلمين وصالحيهم، استعمله عمر على السوق، وجمع عليه وعلى أبي بن كعب الناس ليصليا بهم في شهر رمضان، وهو معدود في كبار التابعين . انظر ترجمته : ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني : الإصابة في تميز الصحابة ، (تحقيق : علي محمد البجاوي ، بيروت، دار الجيل ، ١٤١٢هـ)، ج ٣ ، ص ٢٤٢.

(٤) هي الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن عدي بن كعب القرشية العدوية ، أسلمت قبل الهجرة، وهي من المهاجرات الأول، وبايعت النبي ﷺ، كانت من عقلاء النساء وفضلائهن، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيل عندها في بيتها، وكانت قد اتخذت له فراشا وإزارا ينام فيه، وقال لها رسول الله ﷺ : "علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة". انظر: ابن ⇦

"كانت من عقلاء النساء وفضلائهن، كان عمر يقدمها في الرأي ويرعاها ويفضلها ، وربما ولاها شيئا من أمر السوق" (١).

واستمر أمر تولية المحتسبين على مكة في القرون التي تلت عهد الراشدين، فعلى سبيل المثال تولى أمر الحسبة في مكة من بلاد المشرق الإسلامي الحافظ البزار الأصفهاني (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م) (٢).

المذهبية الفقهية:

خلف رسول الله ﷺ في مكة بعد فتحها معاذا رضي الله عنه يفقه أهلها، ويعلمهم الحلال والحرام، ويقرئهم القرآن، وهو من أفضل فقهاء الأنصار، علما وخلقا، واعتبر معلم مكة في عهده.

حنبل: المسند، ج ٤٤، ص ٤٤؛ ابن حجر: الإصابة ، ج ٧، ص ٧٢٧؛ علي محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، (ط١، مكتبة الصحابة ، الشارقة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ١٧٨.

(١) الإصابة : ج ٨، ص ١٦٣. وقد أنكر ابن العربي ذلك وقال: وقد روي أن عمر قدم امرأة على حسبة السوق، ولم يصح؛ فلا تلتفتوا إليه؛ فإنما هو من دسائس المبتدعة في الأحاديث . ابن العربي، محمد بن عبد الله الأندلسي : أحكام القرآن، (تحقيق : محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية)، ج٣ ، ص ٤٨٢. وروى هذه القصة: ابن أبي عاصم بإسناد ضعيف. انظر: الشيباني ، أحمد بن عمرو: الآحاد والمثاني، (تحقيق: باسم فيصل الجوابرة ، ط١، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ج ٦، ص ٤، ح (٣١٧٩).

(٢) كان أحد حفاظ الدنيا لحديث رسول الله ، حكي أنه لم يكن بعد علي بن المديني أعلم بالحديث منه، اجتمع عليه حفاظ أهل بغداد فبركوا بين يديه فكتبوا عنه، وبقي بمكة أشهرا ، فولي الحسبة فيها، ثم خرج ومات بالرملة . انظر: أبو الشيخ ، عبد الله بن حيان : طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها ، (تحقيق : عبد الغفار البندري و سيد كروي حسن، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٩م)، ج٣ ، ص٣٨٦.

وكانت الفتيا تؤخذ في عصر الصحابة والتابعين قبل ظهور المذاهب الفقهية عن القراء ؛ فهم الحاملون لكتاب الله العارفون بدلائله؛ فلما انقضى عصرهم، وخلفهم التابعون، اتبع أهل كل مصرٍ فتيا من كان عندهم من الصحابة، لا يعتدونها إلا في اليسير مما بلغهم عن غيرهم؛ فاتبع أهل المدينة في الأكثر فتاوى عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وأهل الكوفة فتاوى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأهل مكة فتاوى عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وأهل مصر فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه[1].

فكان عبد الله بن عباس رضي الله عنه يجلس في البيت الحرام، ويُعلّم الناس التفسير، والحديث، والفقه والأدب، وأشهر من تخرج على يديه من التابعين مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وطاووس بن كيسان، وثلاثتهم من الموالي، وقد عد الذهبي وابن سعد طاووسا من علماء اليمن، وعده ابن القيم من فقهاء مكة ومفتيها، لأن هذا كان آخر أمره[2].

وأتى بعد التابعين فقهاء الأمصار، فاتبع أهل كل مصر مذهب فقيه في الأكثر، ثم قضت أسباب بانتشار بعض هذه المذاهب في غير أمصارها، وبانقراض بعضها[3].

(١) أحمد باشا تيمور: المذاهب الفقهية الأربعة، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ١٩٩٨م)، ص١٦-١٧.

(٢) مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، (مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م)، ص: ٢٧٦.

(٣) إذ انتشرت المذاهب الفقهية الأربعة، وهي: مذهب مالك، ومذهب أحمد بن حنبل، ومذهب أبي حنيفة النعمان، ومذهب الشافعي. أحمد تيمور: المذاهب الفقهية الأربعة، ص١٦-١٧.

ومن فقهاء مكة في هذه الفترة : أبو محمد عطاء بن أبي رباح، (ت١١٥هـ/٧٣٣). من أجلاء الفقهاء، وأعلم الناس بالمناسك. حتى أنه كان ينادى في الحاج أن لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح[١].

. ومنهم عكرمة مولى ابن عباس (ت١٠٧هـ/٧٢٥م)، كان فقيهاً، روي أن ابن عباس قال له: انطلق فأفت الناس، قيل لسعيد بن جبير: هل أحد تعلم أعلم منك؟ قال: عكرمة[٢].

. ومنهم أبو محمد عمرو بن دينار(ت ١٢٦هـ/ ٧٤٣م)، قال طاوس لابنه: يا بني إذا قدمت مكة فجالس عمرو بن دينار فإن أذنيه قمع للعلماء[٣].

. ومنهم أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت١٥٠هـ/٧٦٧م)، قال ابن جريج: ما دون هذا العلم تدويني أحد: جالست عمرو بن دينار بعدما فرغت من عطاء سبع سنين. وقال: لم يغلبني على يسار عطاء عشرين سنة أحد، فقيل له: فما منعك عن يمينه، قال كانت قريش تغلبني عليه[٤].

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٧٨.

(٢) الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص ٧٠؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة، (تحقيق : محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، ط٢، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م)، ج ٢ ، ص١٠٤.

(٣) الشيرازي: طبقات الفقهاء، (تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٠)، ص ٧٠؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ، ص ٦

(٤) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت)، ج٣، ص١٦٣؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ص١٣.

. ومنهم مسلم بن خالد الزنجي (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م) ، وكان مفتي مكة بعد ابن جريج، وعنه أخذ الشافعي الفقه.

. ومنهم أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن القرشي المطلبي، الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)، كان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا التفت إلى الشافعي فقال: سلوا هذا الغلام. وقال الإمام أحمد: ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست أبا عبد الله الشافعي(١).

. ومنهم أبو الوليد موسى بن أبي الجارود المكي، كان يفتي بمكة على مذهب الشافعي(٢).

ومن العلماء الوافدين على مكة ممن كان لهم دور في إثراء علوم الفقه بها: أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م)، قدم من بغداد وحج، ومكث بمكة يدرس كتب الفقه وعلومه(٣).

. ومنهم الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، فقد رحل من بغداد إلى مكة، وتتلمذ على أشهر علمائها في الفقه كالشافعي وغيره(٤).

. ومنهم أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)

(١) الشيرازي: طبقات الفقهاء ، ص: ٦٩ . ٩٩.

(٢) السبكي ، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي: طبقات الشافعية الكبرى ، (تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة ، ١٤١٣هـ)، ج٢ ، ص١٦٢.

(٣) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٩٢؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ص ٣٣.

(٤) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج٢، ص٩٦.

ممن رحل إلى مكة، وتتلمذ على أيدي علماءها، صنف في اختلاف العلماء كتباً، واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف[١].

وكذلك الفقيه أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، أقام بمكة أكثر من ثلاثين سنة يصنف ويدرس[٢].

وأما المذهبية العقدية:

فقد دلت المصادر التاريخية على أن أهل مكة كانوا سنة، ففي بداية القرن الثاني يذكر ابن الجوزي في أحداث سنة (١٠٠هـ/٧١٨م) التقسيم الجغرافي للملل والنحل، من خلال رسالة أحد أمراء الطالبيين لبعض قواده؛ فيقول: (وفي هذه السنة وجه محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس إلى العراق وإلى خراسان من يدعو إليه وإلى أهل بيته فاستجاب له جماعة. وكتب لهم محمد بن علي كتابا ليكون لهم مثالا وسيرة يسيرون بها. وكان يقول لرجال أهل الدعوة حين أراد توجيههم: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي وولده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية ترى الكف، تقول: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل، وأما الجزيرة فحرورية، وأما الرقة فمسلمون أحلاف النصارى، وأما أهل الشام فلا يعرفون إلا طاعة بني مروان، وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليها أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك الصدور السليمة والقلوب الفارغة التي لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل)[٣].

---

(١) الشيرازي: طبقات الفقهاء ، ص: ١٠٨.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٢، ص٤٧٠؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب،ج٢، ص٩٦.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م)، ج ٧ ، ص ٥٦.

فظهر من هذا النص أن أهل مكة والمدينة كانوا على السنة بين هذه الملل والأهواء في العالم الإسلامي فالعراق فيها الكوفة وهم متشيعة ومراده بعثمانية البصرة أي من لا يبسط يده بالقتال لأحد تشبهاً بأمير المؤمنين عثمان بن عفان الذي صبر على القتل وفدا الأمة بدمه ، ومراده بأهل الجزيرة أي ما بين دجلة والفرات، والحرورية هم الخوارج الذين خرجوا على علي، وقد لمز أهل الرقة بأنهم يحالفون النصارى ، وأهل الشام بأنهم أموية ، فظهر ذلك تميز أهل الحرمين في ذاك الزمان بأنهم على منهج السنة الشريفة.

ويؤيده قول صاحب مصنف أخبار الدولة العباسية، إذ يقول: (وأمّا أهل مكّة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر)(١). كما يؤكد صاحب كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" أن أهل مكة سنة (٢).

إلا أن هذا لم يمنع وجود بعض الشيعة بها، فقد ذكر المقدسي أنه: (يقع عصبيات بين الخيّاطين وهم شيعة والجزّارين وهم سنّة بمكّة عصبيّات وحروب)(٣) .

ومن هنا يظهر أن التعصب المذهبي بصورته الكبيرة لم يكن في القرون الأولى، ولذا فلم نجد في تراجم العلماء هذا الأمر بوضوح.

---

(١) مجهول (من مؤرخي القرن ٣هـ): أخبار الدولة العباسية ، (تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت)، ص: ٢٠٦.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص: ١٠٢.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص: ٩٦.

ومما تقدم يتضح لنا عدة نقاط من أهمها :

- التطور الإداري في القضاء بمكة، فبعد أن كان القضاء في المسجد، صار للقضاء دار خاصة (دار القضاء) في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

- ولي القضاء بمكة بعد عهد الصحابة جماعة من التابعين، باشروه بعفة ونزاهة ، وسعة صدر وعلم غزير.

- ظهر الاحتساب بمكة، وهي وظيفة دينية تتعلق بالنظام العام والآداب وفي الجنايات أحياناً إذا احتاج الأمر إلى سرعة الفصل.

- كانت الفتيا قبل حدوث المذاهب الفقهية تؤخذ في عصر الصحابة والتابعين عن القراء منهم، وهم الحاملون لكتاب الله العارفون بدلائله ؛ فلما انقضى عصرهم ، وخلف من بعدهم التابعون، اتبع أهل كل مصرٍ فتيا من كان عندهم من الصحابة ، وأتى بعد التابعين فقهاء الأمصار، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم، فاتبع أهل كل مصر مذهب فقيه في الأكثر، لكن التعصب المذهبي بصورته الكبيرة لم يكن في القرون الأولى، ولذا فلم نجد في تراجم العلماء هذا الأمر بوضوح.

- كانت مكة حرسها الله سنية في فترة الدراسة إلا أن هذا لم يمنع وجود بعض الشيعة بها.

المبحث الثاني : الأحوال السياسية

قد يظن الظان أن الأحوال السياسية تؤثر بقوة في الحالة العلمية، وهذا ربما يكون صحيحاً إلى درجة ما من ناحية التصور العام، إلا أنه في التطبيق الفعلي وجدنا على مر العصور لم تخلُ الأرض من قائم لله بحجة من العلماء العاملين، وفي شتى الظروف لا يترك العالم الازدياد من العلم، حتى لو كانت الظروف غير مواتية، إلا أن الظروف السياسية شديدة التردي يواكبها دوماً الضعف في الناحية الأمنية، وقد يقتل فيها عالم أو يسجن؛ ولذا ففي الجملة يترعرع العلم ويزدهر حيث يسود الأمن والهدوء والاستقرار، فتنطلق العقول والأفكار دون قيد أو عائق، مغذية الحاضر والمستقبل، سائحة في بحار المعرفة الغزيرة وبساتينها المزهرة.

ويزيد من العطاء العلمي عادة تشجيعُ الساسة للعلم والعلماء، ونحن نعلم أنه نظراً لمنزلة مكة الفريدة ، ومكانتها العلمية في نفوس المسلمين، فقد حرص الخلفاء والحكام على إبراز اهتمامهم بها، فكل من حكم العالم الإسلامي حرص على أن تظل مكة تحت مظلة حكمه ليحظى بمزيد من الشرعية؛ لأن من يملك مفاتيح الحرمين يصبح في نظر المسلمين الخليفة الشرعي لهم.

وقد اتسمت الفترة ما بين القرنين الأول والثاني للهجرة/ السابع والثامن للميلاد بالاستقرار النسبي على الساحة السياسية مقارنة بالقرنين التاليين، واللذين طرأ عليهما تغير على الساحة السياسية، حيث سادها عدم الاستقرار في الوضع السياسي في مكة بصفة خاصة والحجاز

عامة ؛ نظراً لتعدد الثورات ضد الدولة العباسية، ومحاولة الاستيلاء على الخلافة، والسيطرة على مكة، غير أن جميع الثورات منيت بالفشل ولم يستطع أصحاب هذه الثورات تحقيق مآربهم(١).

وقد شكلت مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين جزءاً مهماً من الدولة الإسلامية، فكانت في مستهل هذه الحقبة ولاية أموية، ثم انتقلت إدارتها للعباسيين إبان انتقال الخلافة إليهم سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩هـ)، لكن ظل النظام الإداري بداية العصر العباسي في بلاد الحجاز كما هو عليه منذ عصر الخلافة الأموية، فكان الحجاز كله عبارة عن ولاية واحدة(٢)، يدير شؤونها أمير واحد يعينه الخليفة، مركزه المدينة المنورة وتتبعه مكة، فكلاً من البلدين والٍ أو أمير واحد(٣).

وربما خصص في أوقات تبعاً للظروف القائمة والٍ لمكة وآخر للمدينة(٤)، مثلما حدث في بداية الدولة العباسية في عهد الخليفة العباسي الأول "أبو العباس" الذي كان يتعامل مع ثورات العلويين بنوع من الهدوء

(١) ابن الأثير، أبي الحسن بن أبي بكر الشيباني: الكامل في التاريخ، (تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط٣، در الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٠هـ)، ج٥، ص ٢، ٧٤، ٧٥، ١٧٤، ٣٢٠؛ عبد العزيز بن راشد السنيدي: الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، (ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ٢٥؛ بندر محمد رشيد الهمزاني: علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم، (رسالة ماجستير، غير منشورة ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، جامعة أم القرى)، ص ٣٠.

(٢) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: المعارف، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٢١٠.

(٣) حسين مؤنس: تاريخ قريش، (ط١، جدة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، ص ٧٦١.

(٤) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٢٦.

والمرونة، فرأى أنه من الأفضل مهادنتهم ومسالمتهم، إذ إن مواجهتهم تجمع التأييد الواسع لهم خاصة في المشرق(١).

وعلى المقابل كان الخليفة أبو جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ/٧٧٥م)(٢) يرى خلاف ذلك، فنراه عام (١٤١هـ/ ٧٥٨م)، ونتيجة لما قاموا به من ثورات وفتن بمكة والمدينة قام بإحداث تغيير في النظام الإداري فجعل لكل ولاية والياً مستقلاً حتى يتسنى له القضاء على نشاط العلويين تباعاً(٣).

ومن أهم الفتن الثورية في منطقة الحجاز في القرن الثاني الهجري؛ تلكم التي حدثت بمكة سنة (١٢٩هـ/ ٧٤٦م) حيث شهدت مكة فتنة أبي حمزة الخارجي(٤)، والذي كان يأتي إليها كل عام وخاصة في موسم الحج لكي يدعو الناس ضد بني أمية، وقد استمر في ذلك حتى التقى مع عبد الله

---

(١) نجلاء قاسم الصباغ: بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، (رسالة ماجستير في الآداب، غير منشورة، جامعة القاهرة، سنة ١٩٦٩م)، ص ١٧، ١٨.

(٢) عبد الله بن محمد بن علي، كان عارفا بالفقه والأدب، محبا للعلماء، وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦ هـ ، وهو باني مدينة " بغداد " سنة ١٤٥، وجعلها دار ملكه. وفي أيامه تمت زيادة في المسجد الحرام، توفي بمكة محرما بالحج ودفن في الحجون. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٠٣؛ الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ١١٧.

(٣) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٢٦ . ٢٧؛ عطية طه عبد العزيز: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز من القرن الثالث حتى منتصف القرن السادس الهجري، (رسالة دكتوراه في الآداب، غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص١٢.

(٤) أبو حمزة الخارجي: هو المختار بن عوف الأزدي السلمي، فاتك ثائر، من خطباء الخوارج وشعرائهم، من أهالي البصرة. ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري: تاريخ خليفة بن خياط، (تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ص ٣٨٥؛ البلاذري، أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، (تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، دار العلمي، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص ٢٨٩.

ابن يحيى الكندي الملقب بـ "طالب الحق"، فقال له عبد الله: يا رجل! أسمع كلاماً حسناً، وأراك تدعو إلى الحق، فانطلق معي، فإنني رجل مطاع في قومي، فخرج معه الخارجي فبايعه على الخلافة، فاتجه بعد ذلك إلى حضرموت، ثم خرج إلى صنعاء، فسيطر عليها وعلى بقية بلاد اليمن(١)، ثم عاد إلى مكة، وكان الوالي عليها آنذاك عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك(٢)، فقام بمراسلة أبي حمزة، وطلب منه الهدنة، خوفاً على المسلمين من بطشه، إذ كان الناس بعرفة، وبهذا تمكن بعد انتهاء موسم الحج من الخروج من مكة متوجهاً إلى المدينة، فدخلها الخارجي وأصحابه دون قتال، وتوجه إلى المسجد الحرام وصعد المنبر وخطب بالناس(٣)، وفي ذلك قال يعقوب بن طلحة الليثي أبياتاً من الشعر هجا بها عبد الواحد الوالي الأموي لائماً إياه على موقفه مع الخارجي فقال:

زار الحجيج عصابة قد خالفوا ... دين الإله ففر عبد الواحـــد
ترك الحلائل والإمارة هاربـــا ... ومضى يخبط كالبعير الشارد
لو كان والده تنصل عرقـــه ... لصفت مضاربه بعرق الوالد(٤)

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، روائع التراث العربي، بيروت)، ج٧، ص ٣٧٤، ٣٤٨؛ الأصفهاني: الأغاني، (دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٠م)،ج ٢٣، ص ٢٣٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٣٥١.

(٢) عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان الأموي، ولي الحجاز للخليفة مروان بن محمد سنة (١٢٩هـ/ ٧٤٦م)، وعندما فشل في مقاومة الخارجي أُبعد عن ولاية الحجاز سنة (١٣٠هـ/٧٤٧م)، وقتل سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) على يد صالح بن علي العباسي. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص ٣٩٤.

(٣) عبد الودود مسلم الرحيلي: مكة المكرمة في العصر الأموي "٤١هـ . ١٣٢هـ/ ٦٦م . ٧٥٠م"، (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م)، ص ٢٣٧.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص ٣٧٥.

لكن كأن عبد الواحد ما أراد سفك الدم الحرام في مكة، وأراد أن يقضي الناس مناسكهم، وعلم أنه لا طاقة له بقتال هذا الخارجي.

وقد كتب والي مكة عبد الواحد رسالة اعتذار موجهة إلى الخليفة الأموي مروان بن محمد (١٢٧ . ١٣٢هـ / ٧٤٤ . ٧٤٩م)، بعد خروجه من مكة إلى المدينة، وعندها طلب الخليفة من والي المدينة عبد العزيز بأن يوجه جيشاً إلى مكة لمواجهة الخارجي[١]، والتقى الجيشان في معركة قديد[٢] سنة (١٣٠هـ/٧٤٧م)، وانتصر أبو حمزة وجيشه وبذلك تمكن الخارجي من إخضاع مكة والمدينة، فقرر الخليفة مروان إرسال جيشٍ من أهل الشام إلى الحجاز لمحاربة الخوارج، بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي، فالتقى الجيش الأموي مع الجيش الخارجي بوادي القرى[٣]، وتمكنت قوات عبد الملك بعد معركة حامية الوطيس من هزيمة الخارجي وإعادة المدينتين للبلاط الأموي.

ولم يطل الأمر طويلاً حيث دخل عهد الدولة العباسية فانتقلت مكة إلى الإدارة العباسية كما سبق بيانه، وكان ذلك في عام (١٣٢هـ/

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٩، ص ٢٩٤.

(٢) **قديد:** قرية خزاعة قرب مكة، سميت بذلك لتقدد السيل بها، وهي كثيرة المياه والبساتين. البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي: معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع، (تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٣، ص ١٠٥٤.

(٣) وادي القرى: يقع شمال المدينة بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة، ولذلك سمي بهذا الاسم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٣٣٨؛ الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (ط١، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج٥، ص ١٣٠ . ١٣١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص ٣٩٨. ٣٩٩.

٧٤٩م)، وبعد ذلك في سنة (١٤٥هـ /٧٦٢م) قام محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب العلوي بثورته بالمدينة ضد العباسيين، وما لبثت أن امتدت هذه الثورة داخل الجزيرة العربية وخارجها[١].

ولم يكد القرن الثاني الهجري يشارف الانتهاء حتى تعرضت مكة لخطر جديد، لم يكن مصدره الحجاز هذه المرة، حيث امتد إليها لهيب ثورة علوية قامت في العراق تحت راية أبي السرايا بن منصور الشيباني، وذلك في سنة (١٩٩هـ/٨١٤م) داعياً لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل العلوي المعروف بابن طباطبا– أحد زعماء الشيعة ودعاتهم–، والذي أرسل جيشاً إلى مكة بقيادة حسين الأفطس، وقد وقف الناس في ذلك اليوم يوم عرفة بلا إمام وصلوا بلا خطبة عرفة، وذلك بسبب فرار أميرها من قبل العباسيين متخوفاً من ابن الأفطس[٢]، ولم يكن ابن الأفطس ورعاً بل ذكر المسعودي: "أن الأفطس ذهب إلى مزدلفة فصلى بالناس الصبح، ثم مضى إلى منى فمكة فأقام بها ثم مضى إلى جدة وسطا على أموال الأهالي، وانتهك حرمة المقدسات"[٣]. ولأجل قبح سيرته وسيرة أصحابه ثار الناس ضده، مما جعله يلجأ أخيراً مع مناصريه إلى محمد بن جعفر بن محمد (ت ٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، الملقب بالديباجة – لجمال وجهه مع ورعه وتقواه–، فبايعه بالخلافة في ربيع

---

(١) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٣٠.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام ، ص ٢١٦.

(٣) المسعودي: علي بن الحسن بن علي بن عبد الله، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط٤، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج٤، ص ٢٧.

الأول سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م)، ولقب بأمير المؤمنين، ومع ذلك لم يستطع القيام بمهام الخليفة، وظل ما يقارب الشهر هكذا، واستمر ابن الأفطس وأصحابه يرتكبون أفعالاً قبيحة بأهل مكة، محتميا بالبيعة السابق ذكرها، غير أن هذا الوضع لم يدم طويلاً حيث استطاع العباسيون استرداد مكة بعد أن ندب المأمون إليها جيشاً في جمادى الآخر سنة (٢٠٠هـ/ ٨١٥م)، فتمكن من إجلاء الثائرين منها[١].

وفي سنة (٢٠٢هـ/٨١٦م) تعرضت مكة لثورة علوية جديدة بعد أن دخلها إبراهيم بن موسى الكاظم قادماً من اليمن، وقتل عامل العباسيين عليها[٢]، ثم خرج منها، فقام الخليفة العباسي المأمون (٢١٨هـ/٨٣٣م) بإسناد ولاية مكة لأحد العلويين رغبة في التقرب إليهم، والظفر بولائهم، ولاسيما أنه قد تزايدت أعدادهم في مكة إبان تلك الفترة[٣]، محاولة لاحتواء الوضع، ونجحت هذه السياسة حيث يُلحظ

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص ١٢٥؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص ١٨٢؛ ابن فهد، عمر بن محمد بن محمد بن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، (تحقيق: فهيم شلتوت، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ج٢، ص ٢٢٦؛ ابن خياط: تاريخ ابن خياط، ص٤٧؛ الأصفهاني: مقاتل الطالبين، (تحقيق: السيد أحمد صفر، دار المعرفة، بيروت)، ص ٥٣٣.

(٢) العصامي، عبد الملك بن حسين: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، (المطبعة السلفية، القاهرة)، ج ٤، ص ٢٠٥.

(٣) دحلان، أحمد زيني : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، (المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٥هـ)، ص١٠؛ أحمد عمر الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية "٣٠١هـ – ٤٨٧ هـ"، (ط١، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض،١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ١٩.

هدوء في الأوضاع السياسية في مكة حتى وفاة المأمون سنة (٢١٨هـ/ ٨٣٣م)[(١)].

وفي سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) استطاع إسماعيل بن يوسف الحسني العلوي الاستيلاء على مكة بالقوة، ونهب خزائن الكعبة المشرفة[(٢)]، فهرب منها عاملها جعفر بن الفضل بن عيسى[(٣)]، ثم زحف إسماعيل هذا إلى جدة والمدينة، ولم يتمكن العباسيون من الوقوف تجاهه فقد استطاع هزيمة جيوشهم، وعانى أهل مكة منه أشد المعاناة، فقد شدد الحصار عليهم، وذكر أن الكثير من أهلها ماتوا جوعاً وعطشاً من شدة الحصار عليهم، وغلت الأسعار، ووصل سعر الخبز ثلاث أواق



(١) دحلان: خلاصة الكلام، ص ١٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٩، ص ٣٤٦؛ اليعقوبي، أحمد بن جعفر: تاريخ اليعقوبي، (النجف، ١٨٩١م)، ج٢، ص ٤٩٨؛ ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: جمهرة أنساب العرب، (ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ٤٦؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، (تحقيق: عبد الرحمن ومحمد غازي بيضون، ط١٠، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ج١١، ص١٣ . ١٤؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص ٣١٢؛ السخاوي، شمس الدين، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج١، ص ١٨٦؛ الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ٢٢.

(٣) جعفر بن الفضل بن عيسى: كان يعرف بـ "بشاشات"، ولي في زمن المستعين أحمد بن المعتصم العباسي أمر مكة في سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، وبقي بها سنة ثم عزل عنها سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م)، وربما كان عزله لعدم قدرته على مواجهة الأحداث بمكة آنذاك. الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٩٤.

بدرهم[1]، وبيعت شربة ماء بثلاثة دراهم، إلا أن الفرج جاء سريعاً فخلص الله أهل الحرم منه، فسلط عليه مرض الجدري فأهلكه، وكان هذا في أواخر سنة (٢٥٢هـ/ ٨٦٥م)[2].

وفي سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م) استطاع صاحب الزنج[3] اقتحام مكة والسيطرة عليها بعد أن نجحت قواته في إبعاد النفوذ العباسي عنها[4]، ولم يدم هذا النفوذ طويلاً حيث تمكن العباسيون من إجلاء هذه القوات، وإعادة مكة لنفوذهم أواخر سنة (٢٦٦هـ/ ٨٧٩م)[5].

ولم يقتصر الاضطراب الأمني على الفتن الخارجية التي تقدم ذكرها، فقد عرفت مكة أيضاً في القرنين (٣ و ٤هـ/ ٩ و١٠م) بكثرة

---

(١) الدرهم: وحدة من وحدات السكة الإسلامية الفضية، اشتق اسمه من الدراخمة اليونانية، وحدد وزنها الشرعي بـ (٢,٩٧) جرام، ووزن الدرهم إلى الدينار هي (٧: ١) أي أن الدرهم كان يمثل ٧/ ١٠ من الدينار. انظر: عبد الرحمن أحمد فهمي: النقود العربية ماضيها وحاضرها، (مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية)، ص٩؛ ضيف الله بن يحيى الزهراني: زيف النقود الإسلامية، (ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص ١٦.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى، ج٢، ص ٣٣١.

(٣) تزعم هذه الحركة رجل يدعى علي بن محمد بن أحمد، ويعرف بصاحب الزنج في البصرة ونواحيها وقطع لهم الوعود بتحريرهم من الرق، واتخذ من قضية الدفاع عن حقوق العلويين شعاراً لحركته، وقد استمرت هذه الفتنة حوالي خمسة عشر سنة؛ حتى استطاع العباسيون القضاء عليه سنة (٢٧٠هـ/ ٨٨٣م). عبد العزيز محمد اللميلم : نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية وأثره في قيام مدينة سامراء، (الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج ٢، ص ١٤٢ . ١٧٤؛ الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ٢٢.

(٤) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص ٣٤٠؛ السباعي: أحمد، تاريخ مكة،ج١، ص ١٦٦.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ٥٥٣. ٥٥٤؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص ٣٤١.

الاضطرابات الداخلية أيضاً والتي كانت تحدث بين الحين والآخر بين فئات المجتمع المكي، فضلاً عن هجمات الأعراب على قوافل الحجاج وما كانت تؤدي إليه من السلب والقتل.

ففي سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) قام بعض قطاع الطريق من البدو بقطع الطريق إلى جدة، ونهبوا القوافل التجارية، وقتلوا من أهلها نحو ثلاثمائة رجل، وأدى ذلك إلى حدوث الرعب والخوف بين سكان مكة، وارتفعت الأسعار وغلت وعزت السلع، وأغارت الأعراب على القرى، فحاربهم والي مكة جعفر بن فضل بن عيسى[١].

وفي سنة (٢٦٢هـ/٨٧٥م) وقع قتال شديد بين فئتين من فئات المجتمع المكي، وهي فئة الجزارين وفئة الخياطين، وحدث هذا القتال في موسم الحج قبل يوم التروية، حتى خاف الناس من أن يؤثر هذا على حجهم في هذا العام، وبلغ عدد القتلى أكثر من خمسة عشر رجلاً[٢].

وفي سنة (٢٩٥هـ/٩٠٧م) حدثت واقعة قُتِلَ فيها الكثير، حيث كانت بين والي مكة آنذاك[٣] وبين الأجناد الذين كانوا يطالبون بجائزة بيعة المقتدر العباسي، وكان ذلك بمنى في ثاني عشر من ذي الحجة، فهرب الناس من

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ٣٤٦؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص ٤٢٧؛ السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص ١٤٨ . ١٤٩.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٩٦؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ٥٢٦ . ٥٢٧؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص ٢١٨؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص ١٧٢

(٣) هو: عج بن عاج مولى الخليفة العباسي المعتضد، ولي إمرة مكة من ٢٨١ هـ إلى ٢٩٥هـ. الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص ٣٠٣؛ العقد الثمين، (تحقيق: فؤاد السيد، ١٤٠٩هـ)، ج٦، ص ٥٨.

شدة القتال إلى بستان ابن عامر، ولم تنته معاناة الحجيج إلى هذا الحد، فقد لاقى الحجيج بعد انتهائهم من أداء فريضة الحج في تلك السنة وأثناء عودتهم من مكة إلى بلدانهم الكثير من العنت والمشقة بسبب قلة الماء وندرته مما أدى إلى وفاة العديد منهم(١).

وهذا الوضع السياسي الغير مستقر الممتلئ بالأحداث والثورات والاضطرابات، جعل الكثير من سكان مكة يهاجرون من بلدهم إلى البلدان الإسلامية الأخرى، حتى يكونوا بمعزل عن تلك الأحداث والعيش بأمان مع أسرهم، وكان من هؤلاء النازحين فئة من العلماء وطلبة العلم، مما ترتب عليه الخسارة في النشاط العلمي في الحجاز عامة ومكة خاصة إبان القرنين الثالث والرابع الهجريين، حتى إن بعض المصادر وصفت الأوضاع العلمية بمكة بالشحة والندرة(٢).

إلا أنه وعلى الرغم من هذا كله، فقد ظلت مكة عاملَ جذب للعلماء بصرف النظر عن سوء الأوضاع السياسية التي شهدتها، وبقي في الحياة العلمية شيءٌ من النشاط، نظرا لمكانة مكة الدينية في نفوس المسلمين وتوجههم إليها كل سنة لأداء فريضة الحج، واجتماع العلماء بها في هذا الموسم ذلك لأهمية هذا الاجتماع العظيم الذي ينتظره العديد من العلماء وطلاب العلم من عام إلى عام.

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص ٣٠٣.

(٢) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، (تحقيق: فرانز روزنتال، ترجم التعليقات والمقدمة: صالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، بيروت)، ص ٢٩٢؛ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٧٣ . ٨١؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، (نقله إلى العربية: محمود فهمي حجازي، فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م)، ج١، ص ١٧.

ومن الأحداث السياسية المهمة في القرن (٣هـ/٩م)؛ محاولة الدولة الطولونية بسط النفوذ على البلد الحرام، ففي سنة (٢٦٩هـ/ ٨٨٢م) قام أحمد بن طولون[١] المؤسس لدولته المستقلة بمصر (٢٥٤ . ٢٩٢هـ/ ٨٦٨ . ٩٠٥م) بإرسال جيش من مصر إلى مكة، وتمكن من دخولها، وعامل أهلها معاملة طيبة، وقام ببذل الأموال لهم ؛ ليكسب ودّهم في تحقيق هدفه في السيطرة على مكة، إلا أنه لم يتم له ذلك ؛ إذ تصدى له لاحقاً العباسيون، وطردوا أتباعه من مكة[٢].

ويمكن اعتبار هذا أول تدخل عسكري مصري في شؤون مكة خلال التاريخ الإسلامي، ورغم عدم إتمامه إلا أنه فتح المجال للدول التي قامت في مصر بعد ذلك لمحاولات أخرى للتدخل في شؤون مكة من أجل إضفاء شرعية على تلك الحكومات من خلال المنبر المكي،

(١) أحمد بن طولون: مؤسس الدولة الطولونية بمصر ، وهو من أصل تركي ، بعد أن كلفه الخليفة المعتز بولايتها سنة (٢٥٤هـ/ ٨٦٨م) ، ثم ضم لسلطته الشام ، واستمر يحكم مصر حتى توفي سنة (٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) ، وقد عرف عنه الشجاعة والجود وحبه للعلماء وتشجيعه للعلم، واستمرت الدولة الطولونية تحكم مصر حتى سنة (٢٩٢هـ/٩٠٤م) عندما بعث الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ . ٢٩٥هـ/ ٩٠١. ٩٠٧م) جيشاً استطاع إعادة مصر للحكم العباسي، وكانت عاصمتها الفسطاط . الكندي، محمد بن يوسف : ولاة مصر، (ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ص ١٦٧ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص١٧٣ . ١٧٤ ؛ ستانلي لين بول : الدول الإسلامية ، (ترجمة : محمد صبحي فزرات ، مكتب الدراسات الإسلامية ، دمشق ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ج١، ص ١٢٦ – ١٣٧.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص٦٥؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٣٤٣. ٣٤٤.

إضافة إلى ذلك فقد ربط هذا الحدث المكيين بمصر بوجه ما للاستفادة من خيراتها الاقتصادية[١].

وفي أواخر القرن الثالث الهجري، بدأ النفوذ العباسي على الجزيرة العربية يقل تدريجياً، حيث دب الضعف في جسد الدولة العباسية نتيجة لانفصال بعض الأقاليم عن سيطرتها مما أعطى الحجاز الفرصةَ في الانفصال، وانشغل الخلفاءُ بمحاربة الفتن والأحداث الداخلية عن الاهتمام بإقليم الحجاز، فاستغل ذلك محمد بن سليمان بن داود العلوي في التغلب على إمارة مكة وخلع طاعة العباسيين، وخطب لنفسه بالإمامة، وكان ذلك في موسم الحج سنة (٣٠١هـ/ ٩١٣م)، واستمر مسيطراً على حكم مكة حتى تم القضاء عليه من قِبل القرامطة[٢]

(١) الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص٢٢ .٢٣؛ عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٣٥.

(٢) القرامطة: تنسب هذه الفرقة إلى حمدان بن الأشعث، المعروف بقرمط، وكان أول ظهور لهذه الفرقة في الكوفة، ثم في الشام واليمن والبحرين، وقد انتقلت هذه الفرقة للبحرين عن طريق أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، حيث استمال الأعراب إليه في تلك النواحي، وأقام له كيانا سياسيا هناك في أواخر القرن الثالث الهجري، وقد دخلت هذه الفرقة في صراع مع العباسين، كما تحالفوا مع العبيديين، ومن أبرز زعاماتهم أبو طاهر الجنابي الذي قام بالهجوم على مكة، واستمرت دولتهم حتى سنة (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م). لمزيد من المعلومات عن هذه الفرقة ودولتهم التي أقاموها في البحرين ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (دار المعارف)، ج ٤، ص ٦٩ .٧١، ٩٢ .٩٥؛ سهيل زكار: أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن، (دار الكوثر، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص ١٣؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، (دار الكتاب العربية، بيروت)، ص ٦٩؛ الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ٢٦.

سنـة (٣١٧هـ/ ٩٣٩م)[١].

لكن الحدث الأهم والمؤلم في تاريخ مكة السياسي في بداية القرن (٤هـ/١٠م)؛ هو ما اشتهر بفتنة القرامطة، وهو الحدث الذي كان له الأثر السلبي على كل مناحي الحياة، وخصوصاً النواحي العلمية، وهو هجوم القرامطة على البلد الحرام، ففي موسم الحج في سنة (٣١٧هـ/ ٩٣٠م) تجرأ القرامطة بالهجوم على مكة بقيادة زعيمهم أبي طاهر الجنابي[٢]، فاستباحوا الدماء وقتلوا الأبرياء من الناس، حتى قيل إنهم ردموا بئر زمزم بالقتلى، ودفن الكثير منهم دون أن يغسلوا أو يكفنوا. واعتدوا على حرمة البيت الحرام، فاقتلعوا باب الكعبة، وأخذوا ما كان

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي: تاريخ ابن خلدون المسمى "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، (تحقيق: خليل شحاته، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ج٤، ص ٩٩؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص ٣٦٢؛ سليمان عبد المغني المالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، (مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٣م)، ص ٢٤. ٢٥؛ محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، (ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٦م)، ص ١١.

(٢) أبو طاهر سليمان بن حسن القرمطي الجنابي الأعرابي، ملك البحرين، سار إلى مكة في سبعمائة، وقيل: تسعمائة فارس، فاستباح الحجيج وأهل مكة، وصعد على عتبة الكعبة يصيح: أنا بالله وبالله أنا .. يخلق الخلق وأُفنيهم أنا، وبعد أن عاث في مكة بتقتيل وسلب ونهب رجع إلى البحرين بالأموال الكثيرة، ثم جرت له مع المسلمين بعد ذلك حروب كثيرة، وقتل جنده، وطلب الأمان، وفي أخر عمره سلط الله عليه مرض الجدري فتوفي به وذلك في سنة (٣٣٢هـ/ ٩٤٢م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٣٢٠ . ٣٢٥؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج٢، ص ٢٧٤؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص ١٨٦ . ١٩٦؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ص ٣٧٥ . ٣٧٧.

بالمسجد الحرام من معاليق[(١)] ومحاريب[(٢)] من ذهب وفضة، وقاموا بتجريد الكعبة من كسوتها، واقتلعوا الحجر الأسود، وحملوه معهم إلى الإحساء[(٣)]، وقد استمر معهم أكثر من عقدين من الزمان، حتى أعيد إلى مكة سنة (٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)[(٤)].

ويعلل بعض المؤرخين هجوم القرامطة على مكة والحرم الشريف تعليلاً سياسياً، بأن القرامطة أرادوا أن يبينوا للعالم الإسلامي ضعف الخلافة العباسية الشديد، وعدم مقدرتها على حماية المقدسات، وحماية بيت الله الحرام، وأيضاً عدم قدرتها على رعاية الحاج وحمايته[(٥)].

---

(١) المعاليق: جمع، ومفردها: مِعلاق، بكسر الميم، وتستخدم لتعليق القناديل في المساجد وغيرها. الفيومي، محمد بن أحمد: المصباح المنير، (تحقيق: يوسف الشيخ، ط٢، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص ٢٢٠؛ عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، (ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ٢٩٠.

(٢) المحاريب: جمع، ومفردها: مِحراب، بكسر الميم، ويقصد به المكان الذي ينفرد فيه الملك بعيداً عن الناس، ومنه محراب المسجد، أو مقام الإمام فيه، وقد يطلق على الغرفة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾ [سورة مريم: الآية ١١]. الفيومي: المصباح المنير، ص٧٠؛ عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ص ٢٦٢ . ٢٦٦.

(٣) الأحساء: مدينة في شرق الجزيرة العربية، ضمن إقليم البحرين، اشتهرت بكثرة النخيل، وكان أول من عمرها وحصنها أبو طاهر الجنابي القرمطي. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ١١٢، وهي الآن محافظة ضمن المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية.

(٤) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٢، ص ٢٧٤؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص ١٨٦ . ١٩٦؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ص ٣٧٥ . ٣٧٧.

(٥) محمد سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م)، ص ٤٥؛ سليمان المالكي: بلا د الحجاز، ص ٣٢. ٣٣.

وهذا وإن كان مقبولاً بوجه ما؛ إلا أننا لا ننسى أن الدافع الأكبر يرجع إلى سوء مذهب القرامطة، وفساد معتقدهم.

والواقع أن حادثة احتجاز الحجر الأسود لدى القرامطة كان له أكبر الأثر على المسلمين عامة والخلافتين العباسية والفاطمية على حد سواء، وفي مقابل ذلك قامت الخلافتان بعرض الأموال على القرامطة مقابل إعادة الحجر الأسود، ولكن دون جدوى، حتى إذا كان عام (٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) قبل القرامطة العرض، وأعيد الحجر إلى مكانه في سنة (٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)، بعد أن ظل محتجزاً اثنتين وعشرين عاماً[(١)].

لقد أثر هذا الحدث الجلل على الأوضاع العامة في مكة والعالم الإسلامي، ويمكن تلخيص آثاره السلبية على الحياة العلمية في الآتي:

١ . قتل الكثير من العلماء في هذا الحدث المشؤوم، فقد قتل في هذه الواقعة الشيخ محمد بن خالد بن يزيد البردعي، وهو ممن كان يحدث في مكة أثناء مجاورته وسمع منه جماعة من الناس في المسجد الحرام، وممن قتل أيضاً الحافظ أبو الفضل محمد بن الحسين الجارودي النهروي، أخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلقة الباب حتى سقط رأسه على عتبة الكعبة ، كما قتل شيخ الحنفية ببغداد الفقيه أبو سعيد أحمد

---

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٢/ ص ٢٧٤؛ الأسدي: أحمد محمد المكي، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، (تحقيق: غلام مصطفى، ط١، دار الصحوة، ١٩٨٥م)، ص ٦٩؛ الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ٣١.

البردي، وغيرهم من العلماء الأجلاء[١].

وبالتالي انعكس ذلك على الحياة العلمية بفقد علماء كبار كان لهم دور فعال وإيجابي في إثراء الحركة العلمية في مكة.

٢ . وترتب على موت العلماء هذا ضعف النشاط العلمي، وذلك بقلة الحلقات والمجالس العلمية خاصة بعد هذا الحدث.

٣ . ونتيجة لهذه الاضطرابات نشأ وضع سياسي غير مستقر في مكة، واضطرب الأمن فيها بسبب القرامطة، فقد روعوا السكان من أهلها أو الحجاج القادمين عليها أو المجاورين في رحابها بعمليات النهب والسلب والقتل، مما دفع بالكثير من العلماء بالهجرة من مكة إلى أقطار العالم الإسلامي بحثاً عن الأمن والاستقرار، وبذلك فقد الحجاز عامة ومكة خاصة خيرة أبنائها ممن كان لهم إسهام فاعل في تطوير النشاط العلمي. ومن هؤلاء: القاضي يحيى بن عبد الرحمن بن هارون الزهري، الذي خرج فاراً منهم، خوفاً على حياته، فقد نهب القرامطة أمواله التي بلغت واحداً وخمسين ألف دينار[٢]، فعاش بعد ذلك محتاجاً[٣].

(١) الفاسي: العقد الثمين،ج٢، ص ٩٨؛ خيرية محمد آل سنة: الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ)، ص ٣.

(٢) الدينار: عملة نقدية قديمة، تسك من الذهب، ويوزن باثنتين وسبعين حبة من الشعير الوسط، ويساوي أربعة أو خمسة وعشرين بالمئة من الجرام. انظر: الأب أنستاس الكرملي: النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، (ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧م)، ص ٣٠؛ ضيف الله الزهراني: زيف النقود الإسلامية، ص ١٦.

(٣) خيرية آل سنة: الحياة العلمية في مكة، ص ٤.

كما أصبح الكثير من العلماء المجاورين بدون متاع أو مؤنة تساعدهم على مواصلة البقاء في مكة وإقامة المجالس العلمية، وذلك مما جعل الغالبية العظمى منهم يسارعون في العودة إلى بلدانهم التي جاءوا منها أو الرحلة لطلب العلم في أقطار العالم الإسلامي.

٤. أورثت هذه الحادثة في المسلمين في مختلف الأقطار الإسلامية الخوفَ الشديد من الرحلة إلى مكة للاعتمار أو لأداء فريضة الحج خوفاً من رجوع القرامطة، وبالتالي أدى ذلك إلى نقصان في أعداد الحجاج، والمجاورين في الأعوام التي لحقت هذا الحدث، وهذا بدوره كان له تأثير سلبي على الحياة العلمية خاصة، وكذلك على جوانب الحياة الأخرى.

إذاً فكل تلك الآثار السلبية التي نتجت عنها أحداث سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٨م) في مكة، كان لها بالغُ الأثر على الحياة العلمية، وبذلك قل الإنتاج العلمي في هذه الفترة إلى أن استعادت الحياة بشكل عام قوتها وصولاً إلى الحالة التي كانت عليها قبل ذلك الحدث.

وبعد انتهاء هذه الفتنة بسنوات، وبالتحديد في سنة (٣٣٢هـ/ ٩٤٣م)، كانت دولة الإخشيديين التي قامت في مصر[1] قد تسلمت أمر

(١) تنسب الدولة الإخشيدية إلى أبي بكر محمد بن طغج وهو من أحفاد الأتراك الذين استقدمهم الخليفة العباسي المعتصم في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وقد خدم الإخشيد العباسيين، وتقلد عدة مناصب، واشترك معهم في حروبهم مع العبيديين حتى وثق به الخليفة العباسي الراضي وقربه إليه، وولاه مصر، ولقبه بالإخشيد (ملك الملوك)، سنة (٣٢٣هـ/ ٩٣٤م)، وأصبح الحاكم المطلق في مصر، كما نجح في ضم الشام إليه بعد سنتين من توليه حكم مصر. واستمر حكم الدولة الإخشيدية حتى قضى عليها العبيديون سنة (٣٥٨هـ/ ⇦

رعاية البلد الحرام من قبل الدولة العباسية، وخطب لها بمنبر الحرم، وسائر جوامع مكة، إلا أنه بعد مدة، ومع بزوغ نجم البويهيين(١)؛ لم يرقْ هذا لهم، وكانوا قد تسلطوا على الدولة العباسية، فثار الخلاف والتنازع في إقامة الخطبة لهؤلاء أو أولئك على منابر مكة، وكان ذلك في سنة (٣٤١هـ/ ٩٥٢م)، وكذلك سنة (٣٤٣هـ/ ٩٥٤م).

وقد انتهى هذا الصراع بين القوتين إلى عقد اتفاق يقضي بتقديم اسم البويهيين في الخطبة بمكة على الإخشيديين(٢)، وقد استمرت الولاية الفعلية في مكة للإخشيديين حتى نجح العبيديون(٣) في القضاء على

٩٦٨م). ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج ٤، ص ٨ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٣٣٧. وانظر بالتفصيل : سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عهد الإخشيديين، (القاهرة، ١٩٥٠م).

(١) بنو بويه: أسرة أصلها من بلاد الديلم جنوب بحر قزوين، استطاعت أن تقيم لها حكماً في منطقة مازندران في سنة ٣٢٢هـ، ثم مدوا نفوذهم إلى بغداد، وفرضوا سلطتهم على الخليفة العباسي المستكفي، الذي اضطر إلى استقبال زعيمهم أحمد بن بويه، وخلع عليه لقب معز الدولة، وأمر بنقش لقبه على الدراهم والدنانير، كما ولاه إمرة الأمراء ببغداد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، واستمر حكم بني بويه في بغداد حتى تغلب عليهم السلاجقة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص٢٣٠؛ رضوان أحمد الليث: دراسات في تاريخ دول المشرق الإسلامي في العصر العباسي، (مكتبة الإحسان، صنعاء، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٩م)، ص ١٢٣. ١٧١.

(٢) مسكويه: أحمد بن محمد، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، (اعتنى به، هـ. ف. آموروز، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة)، ج١، ص١٥٨؛ ابن الجوزي: المنتظم ، ج١، ص ٩٠؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص ٣٩٨. ٣٩٩.

(٣) ينتسب العبيديون إلى إمامهم عبيد الله المهدي، الذي تعلم أصول المذهب الشيعي من علماء الإسماعيلية، ولما هيأ داعيته أبو عبد الله الشيعي الوضع في أرض بلاد المغرب، خرج عبد الله المهدي من مدينة سلمية في الشام إلى بلاد المغرب، ونجح في إقامة دولته في ⇦

دولتهم في مصر سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م)، الذي تزامن مع قيام الأشراف بإعلان استقلالهم بإمارة مكة[١].

ونتيجة للتبعية السياسية غير المستقرة في بلاد الحجاز عامة ومكة خاصة ودخولها تحت حكم العباسيين تارة والفاطميين تارة آخرة جعلت بعض المعاصرين يشبه بلاد الحجاز بالكرة تتلقفها أيادي الخلافتين العباسية والفاطمية[٢].

تونس سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)، وجعل من مدينة رفادة عاصمة له، ثم بنى بعد ذلك مدينة المهدية، وسمى دولته بالدولة الفاطمية، نسبة إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وبعد ذلك أرسل حملتين إلى مصر كانت الأولى سنة (٣٠٦هـ/ ٩١٨م)، والثانية سنة (٣٠٧هـ/ ٩١٩م)، لكنه فشل في مهمته الرامية إلى احتلال مصر، واستمر خلفاؤه على هذا الوضع حتى استطاع المعز لدين الله أن يستولى عليها تحت قيادة جوهر الصقلي وذلك عام (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م)، وطرد الإخشيد منها، وبنى مدينة القاهرة، ثم امتد نفوذه حتى سيطر على بلاد الشام وفلسطين، ثم إلى بلاد الحجاز. ينظر بالتفصيل: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، (ط٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨١م)؛ إبراهيم أيوب: التاريخ الفاطمي السياسي، (العالمية للكتاب، لبنان، ١٩٩٨م).

(١) الأشراف: جمع مفرده شريف، وتعني العلو، وقد أطلق لقب الشريف على من كان من آل بيت الرسول ﷺ، وهناك من قصر ذلك على ذرية الحسن والحسين رضي الله عنهما، وقد شاع هذا المسمى عند الناس بعد الضعف الشديد الذي انتاب الدولة العباسية وظهور الدولة العبيدية وقوتها، وبعد أن قامت دولة الأشراف في الحجاز أصبح يطلق على الأسرة الحاكمة لقب الأشراف، أما غيرهم من العلويين فكان يطلق عليهم لقب السادة. الفيومي: المصباح المنير، ص ١٦٢؛ مصطفى الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص١٧٣،١٧١؛ عائشة عبد الله باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، (ط١، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، ص٢١، ٢٢.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في العصور الوسطى، (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ص ٢١٨.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا عدة أمور :

- أن العوامل الداخلية والخارجية على مكة أثرت تأثيراً مباشراً على سير الحياة في كافة جوانبها في مكة وخاصة الحياة العلمية، حتى وصفها بعض المؤرخين بقلة العلم فيها نهاية القرن الرابع الهجري(١).

- أن الظروف السياسية أثرت على الحياة العلمية بمكة، فحيت تتسم الساحة السياسية بالهدوء والاستقرار يشجع الساسة العلم والعلماء فيزداد العطاء العلمي، وحين تتردى الأوضاع السياسية يختل الأمن وتكثر الفتن والهرج والقتل مما يؤدي إلى مقتل العلماء أو الزج بهم في السجون، وتتوقف الحياة العلمية وتكسد بضاعة العلم، ويهاجر من يستطيع من العلماء وطلبة العلم إلى البلدان الإسلامية الأخرى.

- لقد كان الحدث الأهم والمؤلم في تاريخ مكة السياسي في بداية القرن الرابع الهجري؛ هو ما اشتهر بفتنة القرامطة، سنة (٣١٧هـ/ ٩٣٠م)، وقد قتل الكثير من العلماء في هذا الحدث. وترتب على موت العلماء هذا ضعف النشاط العلمي، وذلك بقلة الحلقات والمجالس العلمية بعد هذا الحدث، ونتيجة للتبعية السياسية صارت بلاد الحجاز كالكرة تتلقفها أيادي الخلافتين العباسية والفاطمية.

كل هذه الاضطرابات توضح الأوضاع المأساوية التي عاشتها مكة خاصة والحجاز عامة حينذاك؛ وهو ما كان له تأثير سلبي على الحياة العامة بمختلف جوانبها، ونخص من ذلك الحياة العلمية كونها محور حديثنا في هذا البحث، مقارنة بتفوقها الكبير في القرنين الأول

(١) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص ٢٦٤ . ٤٣٤.

والثاني للهجرة، حيث كان الاستقرار السياسي والأمني له أثره البالغ في استقرار الأحوال والتفرغ للنواحي الحضارية والعلمية وغيرها.



المبحث الثالث: الأحوال الاقتصادية

تتضمن دراسة الحياة الاقتصادية جميع أنماط النشاط الاقتصادي من زراعة وصناعة وتجارة، والعوامل المؤثرة في أوجه هذا النشاط في تقدمه وازدهاره أو العكس.

ومما هو جدير بالذكر أن لمكة بيئةً جغرافية خاصة اختلفت عن معظم مدن الحجاز، فمكة تقع بوادٍ منخفض تحده الجبال من كافة الجوانب، كما يغلب عليها الحرارة المرتفعة طوال العام تقريباً عدا فصل الشتاء إذ تعتدل فيه الحرارة نسبياً، كما أن أرضها تعتبر شبه جرداء وغير منتجة إلا ما ندر، فالبقاع الخصبة قليلة ومتفرقة فيها، ومع هذا فإنها تعد من أغنى بقاع الأرض[(١)].

فقد حبا الله مكة بألوان الغلال والسلع؛ استجابة لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[(٣)].

---

(١) ناصر خسرو، ناصر علوي: سفرنامة "رحلة ناصر خسرو القيادياني"، (ترجمة: أحمد خالد البدلي، ط١، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض،١٩٨٣م)، ص ١٤١.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٧.

فالآية الأولى تشير إلى قدسية المكان وما خصه الله به من مميزات دينية تهوي القلوب إليه، ثم الناحية الاقتصادية المتمثلة فيما ساقه الله لهم من رزق ليكونوا شاكرين لنعمه ومحافظين عليها.

أما الآية الثانية فأشارت إلى الحرم الآمن، وإلى الأرزاق والخيرات المحمولة إليه من كل مكان، ويظهر لنا حالة مكة الاقتصادية من خلال ما ذكرته لنا المصادر التاريخية المعاصرة لفترة الدراسة وما ذكره المؤرخون في إشاراتهم عن جوانب الحياة الاقتصادية في مكة، إذ عن طريقها يمكننا معرفة مدى أثر ذلك على الحياة العلمية والنشاط الفكري.

وقد كان لهذا التباين والاختلاف في البيئة دور في اختلاف الموارد، وبالتالي التنوع في الحرف العامة لدى سكان مكة(١).

وقد تنوع النشاط الاقتصادي في مكة إلى أوجه كثيرة، منها:

***. الزراعة والثروة الحيوانية:**

تعد الزراعة ركيزة أساسية في الحياة الاقتصادية في التجمعات البشرية، وعلى الرغم من أن معظم أراضي مكة صحراوية تنبت فيها الأعشاب والنباتات البرية، وتقل فيها المناطق الزراعية الخصبة، إلا أنها لا تعدم الأراضي الصالحة للزراعة والمنتجة لبعض الحبوب والخضروات، غير أنها قليلة لا تكفي احتياجات سكانها(٢).

---

(١) خالد محسن الجابري: الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص ٧١.

(٢) محمد محمود العناقرة: الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك، (دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ١٧٧؛ عبد الودود الرحيلي: مكة المكرمة في العصر الأموي، ص ١٦٣؛ ريتشاد مورتيل: مصادر التموين الغذائي لإمارة مكة المكرمة ⇦

لكن مكة كانت دوماً مليئة بالمنتجات الزراعية، مصداقاً لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى ربه عز وجل أن يكلأ أسرته ويحيطها بعنايته في هذه البيئة القاسية: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾[1].

كانت أكثر هذه المنتجات الزراعية ترد إلى مكة من أماكن خصبة تقع خارج حدود الحرم، وهذا ما أكد عليه الجغرافيون العرب، فيذكر الإصطخري أنه: (إذا أجزت الحرم، فهناك عيون وآبار وحوائط كثيرة، وأودية ذات خضرة، ومزارع ونخيل)[2]، كذلك ذكر الإدريسي أن مكة: (لا زرع بها ولا حنطة إلا ما جلب إليها من سائر البلاد)[3].

ومن أصناف الخضر والفاكهة التي توفرت بأسواق مكة: الخيار، والكراث، والفجل، والثمار، والفواكه، والأزهار، والتمور، وغيرها من خضر وفواكه[4].

"٣٥٨هـ/٩٢٣م"، (بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد ١٢، العدد الأول، ١٩٨٥م)، ص ١٩٥.

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(٢) الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد: المسالك والممالك، (تحقيق: محمد جابر، دار القلم، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، ص ٢٣.

(٣) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد)، ج١، ص ١٤١.

(٤) ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب: تاريخ المستبصر، (ضبط وتصحيح: أوسكر لوففرين، طبع ليدن، ١٩٥١م)، ص ٩؛ البلاذري: فتوح البلدان، (طبع مصر، ١٩٥٧م)، ج١، ص ٥٢.

وقد ساعدت عدة عوامل على تطور الزراعة بمكة منها تشجيع الخلفاء والولاة الأهالي على العمل بالزراعة، واتخاذها حرفة لهم، كما بذلوا المحاولات الجادة في تحسين وسائل الزراعة وذلك من خلال حفر الآبار وإقامة السدود، وتحسين طرق الحرث والزراعة، وقد عمل بعض الخلفاء على حفر الآبار والعيون للاعتماد عليها في الزراعة عندما تقل الأمطار، فعلى سبيل المثال أجرى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان(ت٦٠هـ/٦٨٠م) العديد من العيون بمكة، كما جدد الخليفة العباسي هارون الرشيد(ت١٩٣هـ/٨٠٩م) عيون مكة وجعلها تجري في عيون واحدة، كما أمرت السيدة زبيدة[١] في عام (١٧٤هـ / ٧٩٠م) بعمل بركتها في مكة، فأجرت لها عيناً كبيرة من الحرم، وعرفت بعين زبيدة[٢].

(١) زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية (ت ٢١٦هـ/٨٣١ م)، زوجة هارون الرشيد، وبنت عمه، من فضليات النساء وهي أم الخليفة الأمين، إليها تنسب (عين زبيدة) في مكة، جلبت إليها الماء من أقصى وادي نعمان، شرقي مكة، وأقامت له الاقنية حتى أبلغته مكة. ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٨٩ ؛ الزركلي ، خير الدين محمود : الأعلام ، (ط١٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت، ٢٠٠٢م)، ج٣ ، ص ٤٢.

(٢) الصباغ، محمد بن أحمد المالكي المكي: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة الحرام وولاتها الفخام، (تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط١، مكتبة الاسدي، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/٢٠٠٤م)، ص٦٠٩.

كما وجدت بعض القرى والأودية الزراعية التي كانت محاصيلها تجلب إلى مكة، مثل قرى بطن نخل[١] التي اعتمدت على أسواق مكة في بيع محاصيلها الزراعية، وفي شمال مكة بطن مرّ[٢] وتعرف بكثرة النخيل، وإلى الجنوب من مكة تقع جبال السراة وهي جبال شاهقة تشرف على البحر تمتد ما بين اليمن حتى العقبة. وتعتبر موطناً للحبوب والتمور والعسل، وكانت تضم أكثر من مائتي قرية، بها عيون متدفقة ومزارع ونخل، وكان سكان هذه القرى يجلبون إلى مكة الحنطة والشعير والسويق والسمن والعسل والدخن والزبيب وغيرها[٣].

كما نجد بعض المناطق والمدن المجاورة لمكة مثل الطائف كانت تزود أسواق مكة بالمحاصيل الزراعية المختلفة[٤]، ولاسيما الفواكه كالعنب والتمر ، بل إن: (أكثر فواكه مكة تحمل من الطائف)[٥].

وبالجملة فالزراعة بمكة قليلة، ومحاصيلها لا تكفي حاجة سكانها، وذلك لطبيعة تضاريسها، وندرة الماء بها، مما دفع أهلها إلى الاعتماد على القرى التابعة أو المجاورة لها في إمدادها بالمحاصيل الزراعية.

(١) نخل: قرية قريبة من المدينة، بينها الطرف على الطريق، وهو بعد أبرق العزاف للقاصد إلى مكة، وهي تعرف اليوم بالحناكية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت)، ج١، ص٥٣٣؛ السمهودي: وفاء الوفاء،ج٤، ص ١٥٤.

(٢) بطن مرّ: بين نواحي مكة عند تجمع وادي النخلتين فيصيران وادياً واحداً. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٥٣٣؛ عاتق البلادي: معجم معالم الحجاز، (دار مكة، مكة، ١٤٠٣هـ)، ج١، ص ٢٣٣ . ٢٣٤.

(٣) الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٥٩ . ١٦٠.

(٤) ريتشارد مورتيل: مصادر التموين الغذائي، ص ١٩٥.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم ، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ)، ص ٧٩.

لكن هذا لم يمنع اشتغال بعض أهالي مكة بحرفة الزراعة، كما امتهنها الموالي والرقيق، فعملوا على غرس الثمار أو سقي المزارع ونقل الإنتاج والمحصول إلى الأسواق(١).

كما كان لبعض العوامل الطبيعية أثرها السلبي على الزراعة، فزحف الرمال على بعض المناطق الزراعية أدى إلى الحد من مساحة الأراضي الزراعية، كما أن أسراب الجراد لها أيضاً أثارها المدمرة على المحاصيل الزراعية؛ وبالتالي فإن الآفات الطبيعية التي كانت تحل على المحاصيل الزراعية بمكة كانت تؤدي إلى ارتفاع قيمة السلع الزراعية، وندرتها في الأسواق، مما سبب أزمات اقتصادية متتالية أثرت تأثيراً مباشراً على المجتمع المكي(٢).

أما **الثروة الحيوانية** فتشير المصادر التي بين أيدينا إلى كثرة تربية المواشي بمكة خاصة الإبل والتي استفاد منها أهلها ، سواء في مطعمهم أو لغايات التنقل أو للزراعة ، حيث استخدمت الجمال في حرث الأراضي، ونقل الماء إليها، وسقياها، إضافة إلى نقل ماء الشرب إلى أهل مكة من العيون والآبار المختلفة(٣)، وكانت الإبل تربى في

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (تحقيق: دي نوجيه، بيروت، ١٩٦٥م)، ج ١١، ص ٩٩٢.

(٢) عبد الودود الرحيلي: مكة في العصر الأموي، ص ١٦٥.

(٣) التجيبي القاسم بن يوسف السبتي: مستفاد الرحلة والاغتراب، (تحقيق: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ)، ص ٧٩؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي: صورة الأرض، (دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م)، ص ٣١٥.

الواحات وحول المدن، وكان لأهل مكة ثروة من الإبل يرعونها في الوديان والشعاب المجاورة لمنطقة مكة(١).

ومن الحيوانات التي كثرت تربيتها بمكة أيضاً الماعز والأغنام والتي كانت مصدراً رئيساً من مصادر الرزق والغذاء، أما الأبقار فكانت قليلة ؛ لعدم توفر المراعي اللازمة لها. كما وجد بمكة الخيول العربية الأصيلة والتي يعتمد عليها في التنقلات والحروب(٢).

*** الصناعة:**

أما الصناعة فقد كانت في مكة يدوية، ولا تتعدى كونها حرفاً بسيطة، تعتمد على جهد الإنسان وطاقاته وعضلاته في ممارسة هذه المهنة، ورغم تواضع النشاط الصناعي بمكة إلا أن ذلك لم يمنع أهلها من ممارسة المهن التي تناسبهم وتتوفر فيها المواد الخام، فمن الصناعات التي مارسها أهل مكة صناعة بعض الأسلحة كالسيوف والسهام والتي كانت تصنع في رقم غطفان بالقرب من مكة، وإليها تنسب السهام الرقميات(٣).

(١) العناقرة: الحياة الاقتصادية، ص ١٨٧ . ١٨٨.

(٢) جميل حرب حسين: الحجاز واليمن في العصر الأيوبي،(ط١، دار تهامة، جدة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٢٤؛ العناقرة: الحياة الاقتصادية، ص ١٨٩. ١٩٠.

(٣) جميل حسين: الحجاز واليمن، ص ١٢٦؛ أحمد هاشم بدرشين: مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين "دراسة مقارنة"، (ط١، مركز البحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص ٣٠٠؛ غيثان بن علي جريس: دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري، (ط١، نادي مكة الثقافي والأدبي،١٤٢٠هـ/٢٠٠٤م)،ص ٢١٢.
الرقم: موضع بالمدينة والرقم الجبال دون مكة بديار غطفان، وهي كثيرة المياه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٥٢؛ السمهودي: وفاء الوفاء، ج٢، ص ٨٢.

ونظراً لتوفر خام الذهب وبعض المعادن الأخرى، فقد عمل المكيون في صناعة الحلي من الذهب وغيره من المعادن المتوفرة، فصنع المكيون أشكالاً مختلفة من الحلي كالقلائد والأساور والأقراط وغيرها من القطع الجميلة التي تتجمل بها المرأة، ، وقد وجد العديد من الصاغة البارعين الذين عملوا بهذه الحرفة بمكة[١].

كما استفاد أهل مكة من توفر الذهب والفضة في صناعة المشغولات الذهبية والفضية والتي استخدمت في تزيين المسجد الحرام[٢].

ومن المهن المتعلقة بالصناعة العمارة، فمع تمصير الأمصار تطورت هذه الصنعة لأهميتها في بناء المساكن والتحصينات والمرافق المختلفة، ولقد انعكس تطور هذه المهنة ومعرفة المسلمين بها في تطور العمارة بمكة[٣].

كما انخرط بعض أبناء مكة في مهنة النجارة، فمهروا في صناعة الأبواب والأطباق والأقداح والأثاث المنزلي كالمناضد والكراسي ونحوها[٤].

---

(١) جميل حسين: الحجاز واليمن، ص ١٢٦.

(٢) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار"، (شرحه وكتب هوامشه: خلاب حرب، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص ١٨٥.

(٣) العناقرة : الحياة الاقتصادية، ص ٢٠٣.

(٤) الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٨٩.

كذلك وجدت صناعة الحصر، وهي من الصناعات المهمة، حيث كان الحصر يستخدم في فرش المنازل والمساجد والكتاتيب وغيرها من الدور، وتعد مكة من أهم الأسواق التي استوعبت هذه الحرفة، لكونها مطلوبة لحال المسجد الحرام(١).

ولقد كان للثروة الحيوانية أهميتها في تنشيط الصناعة فقد ذكر ابن المجاور: "أن دباغة الجلود منتشرة في مكة وما جاورها من القرى"(٢). وقد أفاد المكيون من جلود الحيوانات في صناعة العديد من الأدوات منها: السروج والخيام والأحذية، والأواني الجلدية التي تستخدم في حفظ الزيت والعسل والماء(٣).

كما قامت صناعة المنسوجات في مكة تلبية لاحتياجات سكانها والوافدين عليها، وقد اشتهرت بلدة مرّ الظهران (وادي فاطمة) بهذه الصناعة حتى كانت الثياب تنسب إليها، فيقال: ثوب ظهراني، نسبة إلى مر الظهران(٤).

كما صنع المكيون "الرحى" لطحن الغلال في المنازل، وذلك لتوفر حجارتها المناسبة في الحجاز ، كذلك صنعوا الأدوات الفخارية بمختلف أنواعها سواء

---

(١) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، (ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص١٦٠؛ الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٨٩.

(٢) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص ١٣.

(٣) العناقرة: الحياة الاقتصادية، ص ٢٠٣.

(٤) الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٩٠؛ العناقرة: الحياة الاقتصادية، ص ٢٠٠.

للشرب أو لحفظ الماء، أو لإعداد الطعام فيها(١).

كما اهتم أهل مكة بالصناعات القائمة على أساس غذائي، فاستخرجوا مشتقات الألبان من الجبن والزبد، وكانوا يتخذونها من حليب الماعز والأغنام(٢)، وقد تناول ابن سيده في كتابه "المخصص" مراحل صناعة الحليب ومشتقاته، وذكر مسميات كل نوع من الناحية اللغوية(٣).

وللزيت أهمية في حياة المسلمين، فاهتم به المكيون، فهو علاوة على كونه غذاء، فهو مبارك له فوائد صحية جمة، قال رسول الله ﷺ: "كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة"(٤).

كما قام المكيون بصناعة الحلوى، وتفننوا في أشكالها وألوانها(٥).

*** التجارة:**

أما التجارة فهي أبرز أنشطة أهل مكة اقتصادياً ؛ بسبب موقعها المتميز، حيث تقع على طرق القوافل التجارية القادمة إليها من اليمن قصداً للشام أو العكس، فهذا الموقع جعل مكة محطة تجارية يتزود منها

---

(١) جميل حسين: الحجاز واليمن، ص ١٢٧؛ أحمد بدرشيني: مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين ، ص ٣٠٨.

(٢) العناقرة : الحياة الاقتصادية، ص ١٩٦.

(٣) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: المخصص، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ج١، ص ٤٠١ . ٤٠٤.

(٤) أخرجه الترمذي: في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل الزيت، ج٤، ص ٢٨٥، ح(١٨٥١)؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج١، ص ٣٧٨.

(٥) ابن جبير: الرحلة، ص ٩٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص٩؛ العناقرة : الحياة الاقتصادية، ص ١٩٩.

بالماء والمئونة لمتابعة رحلتها(١).

وأيضاً تأتيها السفن التجارية عن طريق البحر من خلال ميناء جدة المرفأ التجاري لمكة، منذ أن اتخذها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه(٢)، ميناءها فقد جعلها رضي الله عنه في سنة (٢٦هـ /٦٤٦م) ميناءً لمكة نزولاً على رغبة أهلها بنقل ساحل مكة القديم من الشعيبة إلى جدة لقربها من مكة(٣).

ومما لا شك فيه أن الانتعاش التجاري بمكة وكونها سوقاً مفتوحاً طوال العام يفد إليها الناس من كافة المناطق المجاورة أو البعيدة، رغبة في أداء مناسكهم الدينية من عمرة وحج، ومن ثم يشهدوا منافع لهم، فإن هذا الانتعاش ألقى بظلاله على نشاط الحياة العلمية بمكة، فمن خلال التقاء العلماء بمكة والطلاب – سواء القاطنين بها المجاورين لحرمها أو الراحلين إلى بلادهم – حدث نوع من التبادل الثقافي والعلمي بين مكة وبلدان العالم الإسلامي.

(١) المالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف، ص ٨٨.

(٢) بدرشيني: مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة والمدينة، ص ٣٠٠.

(٣) بدرشيني: مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة والمدينة، ص ٣٠١.

دور الأوقاف والصدقات في إنعاش الحياة الاقتصادية وأثر ذلك على الحياة العلمية في مكة

الوقف في اللغة:

الحبس والمنع، وجمعه وقوف، يقال أوقفت الدابة إذا حبستها على مكانها، ويقال : وقفت الدار على المساكين إذا حبستها(١).

وفي الشرع:

حبس العين والتصدق بالمنفعة، بمعنى حبس الأصل من أن يكون مملوكاً لأحد من الناس، فلا يباع ولا يشترى ولا يوهب ولا يورث، بل تصرف منفعته وديعة في أوجه الخير المتعددة، التي قد يحددها المُوقِف أو قد يطلقها(٢).

والوقف نوع من أنواع الصدقات وأعمال البر والخير التي حث عليها الشارع العظيم، وندب إلى القيام بها، مع أنه لم يرد نص صريح في كتاب الله تعالى عن الوقف إلا أن هناك آيات كثيرة تحث على فعل الخير والتعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي

(١) ابن منظور: لسان العرب، ص ٣٥٨؛ الزبيدي: تاج العروس، ج ٢٤، ص ٤٦٨؛ عبد الستار إبراهيم الهيثمي: الوقف ودوره في التنمية، (ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص ١٣.

(٢) ابن قدامة: المغني ، ج٦، ص ١٨٥؛ صالح بن عبد الرحمن: الوقف في الإسلام، (ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤٢٠هـ)، ص ١٠؛ فواز الدهاس: الوقف مكانته وأهميته الحضارية، (ندوة مكانة الوقف وأثرة في الدعوة والتنمية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ)، ص ٥.

سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[3]. وقال المصطفى ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جاءه قائلاً: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخيبر، لم أصب قط أنفس عندي منه، فما تأمرني به؟ قال: "إن شئت حبّست أصلها، وتصدقت بها"، فتصدق بها عمر رضي الله عنه[4].

والصدقة الجارية هي الوقف، كما فسرها الكثير من العلماء[5]، بل يعد الوقف من أهم مواردها التي يتسابق المسلمون للعمل بها؛ ولذلك يحرص الكثير منهم على المشاركة ببعض أمواله أو ربما كلها تحقيقاً للأهداف السامية والنبيلة التي يحققها الواقف من وراء الوقف.

كما أن رسول الله ﷺ حث على التصدق والبذل وفعل الخير في كثير من الأحاديث، لذلك أقر الوقف من أجل تحقيق مصالح المجتمع العامة والخاصة، فنجد أن الأوقاف الكثيرة التي أوقفها المسلمون قد

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية:٩٢.

(٣) الترمذي: السنن، (٣٦) باب في الوقف، ج ٣، ص ٦٦٠، ح (١٣٧٦).

(٤) البخاري: الصحيح، كتاب بدء الوحي، (١٩) باب الشروط في الوقف، ج٣، ص ٢٦٠، ح(٢٧٣٧).

(٥) النووي: المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج،(ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج ١١، ص ٨٨ . ٨٩.

حققت مورداً مالياً أو عينياً له المنفعة الاستمرارية، وذلك بهدف تحقيق هدف آخر عام لمصلحة أعم(١).

وقد حرص العديد من خلفاء المسلمين والأمراء والأعيان وغيرهم على بذل الصدقات ووقف العديد من الأوقاف لأهل مكة ومن جاورها للعبادة، أو طلب العلم، أو قصد أداء فريضة الحج.

وإن أول من دعا إلى البر والرعاية بأهل بيت الله الحرام هو رسول ﷺ، فإنه بعد الفتح العظيم لمكة ولى عليها عتاب بن أسيد، وقال له: "هل تدري لمن أبعثك؟ أبعثك إلى أهل الله"(٢).

وأخبار هذه الصدقات والأوقاف ولاسيما على الحرمين تزخر بها الكتب على مدى العصور التاريخية، ولهذا سوف أقتصر على ذكر بعض الأوقاف على سبيل المثال لا الحصر.

ففي سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م) أوقف المقتدر بالله (٢٩٥ –٣٢٠هـ/ ٩٠٨– ٩٣٢م) أموالاً جزيلة وضياعاً على الحرمين الشريفين، وذلك

---

(١) راشد سعد راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، (ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ص ١٩ . ٢٠.

(٢) الفاكهي: أخبار مكة، ج ٣ ، ص ٦٣ .

وورد الحديث بلفظ أخر عند البيهقي في السنن الكبرى ، ج٥ ، ص٣١٣ بلفظ: "استعمل النبي ﷺ عتاب بن أسيد على مكة فقال : إني أمرتك على أهل الله ﷻ بتقوى الله ﷻ ، ولا يأكل أحد منهم من ربح ما لم يضمن، وأنههم عن سلف وبيع ، وعن الصفقتين في البيع الواحد ، وأن يبيع أحدهم ما ليس عنده".

بطلب من الوزير علي بن عيسى بن الجراح[١] فحملَ هذه الأموال إلى أهل مكة والمجاورين بها، وجعلَ لها ديواناً أسماه "ديوان البر"[٢].

وفي سنة (٣٦٤هـ/٩٧٦م) حجت جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني[٣]، فكان معها أربع مائة جمل عليها محامل عدة، وعندما شاهدت الكعبة المشرفة قامت بتوزيع عشرة آلاف دينار، وسقت جميع أهل الموسم السويق بالثلج، وكذلك كست المجاورين، وأنفقت الأموال عليهم[٤].

هذه مجرد أمثلة من أوقاف الحرمين الشريفين التي كان لها الأثر الكبير في إنعاش الحالة الاقتصادية، وبالتالي أثر في الحياة الاجتماعية، حيث أدى إلى ارتفاع مستوى معيشة أهل الحرمين الشريفين.



(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث السنوات "٣٣١-٣٤٠هـ"، (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت)،ص ١٠٨؛ خيرية آل سنة: الحياة العلمية في مكة، ص ١٩ . ٢٠.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت)، ج٤، ص ١٨٩.

(٣) جميلة بنت ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان صاحب الموصل (ت ١٢٥هـ/ ٧٤٣م)، إحدى شهيرات النساء في الكرم والعقل والجمال. لم تتزوج أنفة من أن يتحكم بها الزوج، ولما تغلب عضد الدولة (سلطان العراق) على الموصل سنة ٣٦٩ هـ ، عذبها فرمت نفسها في نهر دجلة فماتت غرقاً. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥ ، ص ١٧٠؛ الزركلي: الأعلام ، ج٢ ، ص١٣٩.

(٤) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٥٥؛ خيرية آل سنة: الحياة العلمية في مكة، ص ٢٠.

كما حقق الوقف مبدأ التكافل بين أفراد المجتمع، فمن خلاله يعين غنيُهم فقيرَهم وعالمهم متعلمهم، فتسود المحبة والاحترام بين أفراد المجتمع، وتتغرس في نفوسهم صفات التعاون والإيثار(١).

وتعد الأوقاف على الحرمين الشريفين مورداً اقتصادياً مهماً، كان له أكبر الأثر في التخفيف من وطأة الأزمات الاقتصادية في المدينتين المقدستين، بل في الحجاز عامة، وبذلك تأثرت الحياة العلمية، فقد وفرت المنشآت الوقفية للمجاور جواً مريحاً في جميع شؤون حياته، ولم يعد بعد ذلك يخشى ألا يجد مأوى أو طعاماً، إذا ضاقت به سبل العيش بجوار الحرمين الشريفين، وبذلك كثر رواد العلم من الدارسين والمدرسين، وذلك من خلال تأمين الوقف الحياةَ الاجتماعية الكريمة لسكانها.

الكوارث والأوبئة:

اتسمت طبيعة مكة الجغرافية بكثرة جبالها وشعابها المحيطة بها، حتى إن القادم لا يراها حتى يعلوها، وهي عبارة عن وادٍ متسع مستطيل الشكل، يخلو من الزرع والشجر(٢).

وقد فرضت طبيعتها الجغرافية على أهلها أن يعيشوا دائماً في أحوال متقلبة، فأعوام تعرف بالرخاء والعيش الرغيد نظراً لنزول الأمطار، وأعوام تقل فيها الأمطار، وربما تنقطع لمدة طويلة فيعود

(١) فواز الدهاس: الوقف، ص ١٠.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (مصر)، ج١، ص ١٣٩ . ١٤٠؛ حسين عبد العزيز شافعي:الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع مؤسسة مكة والمدينة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص ٢٣٧.

القحط والجفاف والجوع، وبذلك تكون معيشتهم بين فترات الرخاء والشدة(١).

وكما أن أودية مكة كانت ولا تزال مجرى الأمطار والسيول العارمة، فقد تعرض المسجد الحرام وغيره من الدور المحيطة به للسيول التي كانت في كثير من الأحيان سبباً في تهدم بعض أجزاء المسجد الحرام وتخريب الأسواق(٢)، ففي سنة (١٨٢هـ/٧٩٨م) داهم المسجد الحرام سيل عظيم أحاط بالكعبة المشرفة(٣)، وقيل: إن المقام رفع من مكانه خوفاً عليه من أن يجرفه السيل، وكما تسبب هذا السيل بهدم العديد من الدور والأسواق القريبة منه، وغرق الكثير من الناس، وأصاب الناس من بعده وباء شديد، وكان هذا في عهد الخليفة العباسي المأمون، وسمي بسيل ابن حنظلة(٤).

وحدث في سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣م) سيل عظيم أحاط بالكعبة حتى بلغ الباب والحجر الأسود، وتسبب في هدم العديد من الدور بلغ عددها أكثر من ألف دار، ومات به أكثر من ألف إنسان، وامتلأ الوادي

(١) عمر كحالة: جغرافية شبه الجزيرة العربية، (راجعه وعلق عليه : أحمد علي، ط٢ ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م)، ص ١٥٩؛ شافعي: الأربطة في مكة، ص ٢٣٧.

(٢) الرشيدي، أحمد: حسن الصفاء والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، (تحقيق: علي عبداللطيف أحمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م)، ص ١٨١.

(٣) الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص ٨٥٠ . ٨٥١؛ الأزرقي: أخبار مكة، ط٩، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج٢، ص ١٧٠؛ السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص ١٤٩ . ١٥٠.

(٤) سيل ابن حنظلة: سمي بذلك نسبة إلى أمير مكة في تلك الوقت يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي. الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص ١٧٠.

بالطين والبطحاء، ورمي بأغراض الناس وبضائعهم إلى أسفل مكة، لما رأوا ما يعانيه المسجد الحرام من الطين والتراب، فاجتمع الناس على أن يعملوا بأيديهم ويستأجروا من أموالهم من يساعدهم، حتى قيل أن النساء كن يخرجن بالليل فينقلن التراب التماس الأجر والبركة، وكتب بذلك إلى الخليفة المأمون، فأرسل مالاً عظيماً لإصلاح ما وقع من الأضرار (١).

لم تكن السيول مؤدية لكوارث دوماً، فمن الناحية الإيجابية كانت تؤدي بعض هذه السيول على الرغم من قوتها إلى وفرة المياه، وخصوبة الأراضي الزراعية، وكثرة الثمار، مما ينتج عنه رخاء البلاد(٢).

وأما أثارها السلبية فلربما أدت إلى تخريب المزارع، وإتلاف العديد من المحاصيل الزراعية، وهدم الدور والأسواق، وكذلك إزهاق أرواح الكثير من الناس، وقد يترتب على ذلك تفشي العديد من الأوبئة والأمراض نتيجة لما يخلفه السيل من مستنقعات مائية، وأوساخ تتجمع عليها الحشرات، إضافة إلى غلاء الأسعار في المواد الغذائية، مما كان له التأثير السلبي على الأوضاع الاقتصادية(٣).

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص١٧١؛ الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، (تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م)، ج١، ص ٢٠٥ . ٢٠٦؛ سعد بن عبد الرحمن العبيسي: الحالة السياسية في الحجاز خلال العصر العباسي الأول، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية)، ص ٢١٧.

(٢) هشام فوزي: السيول في مكة بين عامي "٩٢٣ . ١٠٩٩هـ"، (مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد الحادي والعشرون، ١٤٢٨هـ)، ص ٦٧.

(٣) هشام فوزي: السيول في مكة، ص ٦٧ . ٦٨.

ومن خلال هذا السرد نستطيع أن نؤكد على تنوع النشاط الاقتصادي في مكة فترة البحث، والذي ظهر جلياً في عدة أوجه منها:

- الزراعة والثروة الحيوانية، فمكة كانت دوماً مليئة بالمنتجات الزراعية، مصداقاً لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى ربه عز وجل أن يكلأ أسرته ويحيطها بعنايته في هذه البيئة القاسية، وقد ساعدت عدة عوامل على تطور الزراعة بمكة منها تشجيع الخلفاء والولاة الأهالي على العمل بمهنة الزراعة، واتخاذها حرفة لهم، كما بذلوا المحاولات الجادة في تحسين وسائل الزراعة ، وذلك من خلال حفر الآبار وإقامة السدود، وتحسين طرق الحرث والزراعة.

- أما الثروة الحيوانية فقد كثرت الجمال بمكة كوسيلة تنقل ونقل كما كثرت بمكة الماعز والأغنام والتي كانت مصدراً رئيساً من مصادر الرزق والغذاء، أما الأبقار فكانت قليلة لعدم توفر المراعي اللازمة لها. كما كانت بمكة الخيول العربية الأصيلة التي يعتمد عليها في التنقلات والحروب.

- والصناعة كانت في مكة يدوية، ومن الصناعات التي مارسها أهل مكة صناعة بعض الأسلحة والحلي ، إضافة إلى بعض الحرف الضرورية كالبناء وصناعة الحصر ودباغة الجلود وصناعة المنسوجات كما اهتم أهل مكة بالصناعات القائمة على أساس غذائي، فاستخرجوا مشتقات الألبان من الجبن كما قام المكيون بصناعة الحلوى.

- كانت التجارة أعظم المظاهر الاقتصادية في مكة، نتيجة لموقعها المتميز، إذ تقع على طرق القوافل التجارية القادمة إليها من اليمن قصداً للشام أو العكس، كما كانت سوقاً مفتوحاً طوال العام يفد

إليها الناس من كافة المناطق المجاورة أو البعيدة، رغبة في أداء مناسكهم الدينية من عمرة وحج.

- نشط الاقتصاد بما كان يحمل لمكة من الأوقاف والصدقات من خلفاء المسلمين والأمراء والأعيان وغيرهم وقد حقق الوقف مبدأ التكافل بين أفراد المجتمع. كان له أكبر الأثر في التخفيف من وطأة الأزمات الاقتصادية في مكة من قحط وسيول جارفة وغيرها وبذلك تأثرت الحياة العلمية.



المبحث الرابع: الأحوال الاجتماعية

إن دراسة الحياة الاجتماعية في أي عصر لا تكاد تنفصل عن دراسة بقية جوانب الحياة الأخرى؛ لأن المجتمع بتكويناته السكانية، وطبقاته الاجتماعية له أثر واضح على الأوضاع السياسية والأنشطة الاقتصادية؛ ومن ثم على الحياة العلمية؛ لأنه هو العنصر القائم بكافة هذه الأنشطة، لذا فمن المناسب إلقاء الضوء على الأوضاع الاجتماعية في مكة في هذه الفترة.

مما لا شك فيه أن المكانة الدينية لمكة في نفوس المسلمين في شتى بقاع الأرض قد جعلها موئلاً للعديد من الأجناس البشرية التي وفدت إليها من الأقاليم الإسلامية المختلفة القريبة منها والبعيدة، رغبة في مجاورة بيت الله الحرام، أو تلقي العلم من علماء المسلمين الذين يجتمعون كل عام على أرضها، أو ممن انقطعت به النفقة فعجز عن العودة إلى بلاده وأحب الاستقرار بها، فأصبح المجتمع المكي نتيجة لذلك مجتمعاً شُكل نسيجه من أجناس مختلفة وعناصر متنوعة؛ لعل أهمها العنصر العربي المكون الأساسي لها، تليه عناصر أخرى كالموالي والمجاورين وغيرهم، وفيما يلي نبذة عن كل عنصر من هذه العناصر:

أ . العرب:

شكل العرب نسبة كبيرة من سكان مكة، فهم الغالبية العظمى من نسيجها الاجتماعي، فكانوا عبارة عن قبائل تضم عدداً من العشائر،

تشتمل كل منها على عدد من الأسر[١]، ومن أشهر القبائل العربية التي قطنت مكة وانتشرت حولها – فترة البحث – قبيلة كنانة[٢] القرشية، ومنها انتشرت القبائل حول مكة[٣]، ومما لا شك فيه أ ن انتشار هذه القبائل حول مكة واندماج بعضها ببعض كان له أكبر الأثر في كافة جوانب الحياة بمكة وتطويرها وتحسينها.

ب . الموالي:

وهم المسلمون من غير العرب[٤]، وينقسموا إلى الموالي العتاقة، والموالي من المسلمين الأحرار الذين حالفوا القبائل العربية وأصبحوا مواليَ لها[٥].

وقد كان للموالي دور بارز في كافة النواحي بمكة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية، فلقد اتجه الكثير من الموالي في العصرين الأموي والعباسي إلى التبحر في العلوم الدينية؛ فدرسوا

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١١٩؛ عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٢١٩؛ عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ج ٣، ص ٩٩٦؛ عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، (ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ٥٠.

(٢) نسبة إلى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر جد قريش. انظر: ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ، (دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٠٠م)، ج٣ ، ص١١٢.

(٣) كقبيلة: غفار، ودوس، وبني ليث، وحكم، والأزد . انظر: اليعقوبي: البلدان، (ليدن، ١٨٩١م)، ص ٣١٦.

(٤) عبد العزيز بن محمد اللميلم: وضع الموالي في الدولة الأموية ، (ط١،جمعية عمال، الأردن،١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص ١٧.

(٥) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٢٤١.

الحديث والفقه وبرز منهم عدد كبير من العلماء المحدثين[١] منهم: مجاهد بن جبر الذي اشتهر بالتفسير[٢]، وعكرمة البربري[٣]، وعطاء بن أبي رباح فقيه أهل مكة[٤]، وغيرهم كثير. كما تقلد عدد منهم المناصب الإدارية والقيادية والقضائية وأبلوا فيها البلاء الحسن، ومما يستشهد به في هذا المقام اشتراك يزيد بن هرمز[٥] في معركة الحرة عام (٦٣هـ/٦٨٢م)، إذ كان أمير الموالي وحامل رايتهم، فيذكر السهمودي نقلاً عن الواقدي في حوادث عام (٦٣هـ / ٦٨٢م) أن يزيد بن هرمز: "معه الدهم من الموالي، وهو يحمل

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص ٤٢٤.

(٢) **مجاهد بن جبر**: مولى لبني مخزوم، ولد سنة ٢١هـ/ ٦٤١م، ويعد من كبار علماء التابعين، طلب العلم منذ الصغر، فتلقاه على عدد من الصحابة كأبي هريرة، وعائشة –رضي الله عنهم– وغيرهم، وقد عني بعلوم القرآن ودراسة التفسير، واهتم بالفقه والحديث، وتوفي في مكة سنة ١٠٣هـ/ ٧٢١م. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٤٦٦ . ٤٦٧؛ المزي: جمال الدين يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (تحقيق: بشار عواد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ)، ج ٢٧، ص ٢٢٨ . ٢٣٥.

(٣) عكرِمة بن عبد الله أبو عبد الله البربري ثم المدني (ت١٠٧هـ/٧٢٥هـ)، مولى ابن عباس أحد الأعلام، كان كثير التنقل في الأقاليم، دخل اليمن وخُراسان وَالمغرب، وكانت الأمراء تكرمه وتصله. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٧، ص ١٠٤.

(٤) عطاء بن أبي رباح:من موالي الجند باليمن، نشأ بمكة، تتلمذ على عدد كبير من الصحابة، واستفاد من كبار علماء التابعين، كان مفتي الحرم في وقته، عالماً فقيهاً متبحراً في التفسير والحديث، توفي في مكة سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م، وقيل سنة ١١٥هـ/ ٧٣٣م. ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص ٤٦٧ . ٤٧٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٧٨ . ٨٨.

(٥) يزيد بن هرمز: مولى لآل أبي ذباب من دوس ويكنى بأبي عبد الله وكان على الموالي يوم الحرة ومات بعد ذلك وكان ابنه عبد الله بن يزيد بن هرمز من فقهاء أهل المدينة المعدودين وكان ثقة قليل الحديث. ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص ٢٠٩؛ البلاذري: أنساب الأشراف، (حققه: سهيل زكار، رياض زركلي، ط١، دار الفكر، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ج٥، ص٣٤٢.

رايتهم، وهو أميرهم، وقد صف أصحابه كراديس بعضها خلف بعض..."[1].

كما شارك الموالي في حركة عبد الله بن الزبير التي كانت بينه وبين الأمويين[2].

كذلك كان للموالي دور كبير في الناحية الاقتصادية، فنجد أن المسؤول عن مزارع معاوية هو ابن ميسنا، وهو أحد الموالي[3].

أيضاً مزاولة بعض الموالي مهنة التجارة، فأبو سعيد عبد الله بن كثير مولى عمرو بن علقمة الكناني كان يبيع العطر بمكة[4].

ج ـ الرقيق:

يعتبر الرقيق العنصر الثالث من عناصر السكان في مكة، حيث عرفت الحجاز تدفق أعداد كبيرة من هذه الفئة لاسيما بعد الفتوحات الإسلامية، فمنهم من جلبه الفاتحون معهم عند عودتهم إلى الحجاز مرة أخرى، ومنهم من بعثهم الخلفاء كهبات وهدايا لبعض أبناء الحجاز[5].

وكان للرقيق دور بارز في الصناعة ؛ حيث قاموا بمزاولة العديد من المهن خاصة اليدوية منها ، كمهنة النسيج، فقد ذكر الأصفهاني أن

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف،ج٥، ص ٨٤٧.

(٢) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٢٤٣.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ج٢، ص ٢٥٠؛ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله الدينوري: الإمامة والسياسة، (تحقيق: طه محمد الزيني، القاهرة ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م)، ج١، ص١٧٦.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ، ج١، ص ٤٩٢.

(٥) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٥١.

عمرو بن أبي ربيعة كان يملك سبعين عبداً يعملون في المنسوجات، كما كان لأحد الرجال من بني مخزوم في مكة غلام يعمل له المنسوجات في بيته[١].

وعلى الرغم مما قام به هؤلاء الرقيق من خدمات اجتماعية واقتصادية إلا أن المجتمع كان ينظر إليهم في كثير من الأحيان نظرة ازدراء واستخفاف، فيروي ابن سعد أن علي بن الحسين كان يجالس عبد بني عدي، فقال له رجل من قريش: (تدع قريشاً وتجالس عبد بني عدي، فقال علي إنما يُجلس حيث يُنتفع)[٢].

وفي رواية أخرى أن علي بن الحسين كان يتخطى خلف قوم حتى يأتي مجلس زيد بن أسلم فيجلس عنده فقال له نافع بن جبير: (غفر الله لك! أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه، - يعني زيد بن أسلم- فقال:إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيث كان)[٣].

وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام نظر إلى الرقيق نظرة رحمة وعناية ورغب في عتقه، واعتبر هذا العتق كفارة لكثير من الخطايا والذنوب قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ ﴾[٤].

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج١، ص ٧٨، ج ٥، ص ١١٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص ١٦٠.

(٣) الأصبهاني: حلية الأولياء، ج٣، ص ١٣٨.

(٤) سورة المائدة، من الآية : ٨٩.

د . المجاورون:

هم من سكان أرض الحرمين من غير أهلها؛ حيث أنهم قد وفدوا إليها من مختلف الأقاليم الإسلامية(١)، سواء كانوا عرباً من اليمن وبلاد الشام ومصر والمغرب، أم كانوا عجماً من الأتراك وبلاد فارس والهند، رحلوا إلى مكة من أجل الحج ومن ثم جاوروا بها؛ رغبة في قضاء فترة صفاء روحي في رحاب مكة وبجوار البيت الحرام، ثم اشتغل هؤلاء فيما بعد بالعلم، وما لبثوا أن استقروا فيها، واندمجوا في مجتمعها، حتى صاروا جزءاً من هذا المجتمع(٢).

ونتيجة لهذه التركيبة السكانية المختلفة للمجتمع المكي تنوعت المظاهر الاجتماعية وامتزجت، فمن أهم مظاهر الحياة الاجتماعية:

١ . المرافق العامة والمنازل الخاصة:

عرفت المدن الإسلامية داراً رئيسة تكون مقراً للوالي، ومنها يدير شؤون المدينة ويدبر أمرها، وتعتبر مكة من أوائل المدن التي عرفت مثل هذا النوع من الدور والمتمثلة في دار الندوة قبل الإسلام، واستمرت كذلك بعد فتح مكة، وكانت أيضاً الدار الرئيسة في فترة البحث، وكانت معدة لاستضافة الخلفاء العباسيين عند قدومهم للحج(٣)، وتقع غرب المسجد الحرام كما ذكر ذلك الإصطخري إذ يقول: "ودار الندوة من

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص ٥، ١٠٢.

(٢) ابن جبير: الرحلة، ص٣٧؛ ابن بطوطة: الرحلة، ص١١٢؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص١٠٢؛ بدرشيني: مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة والمدينة، ص٣٣٩-٣٤٠.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة ج٢، ص ٣٧.

المسجد الحرام في غربيه، وهي خلف دار الإمارة مشرعة إلى المسجد"(١).

وكانت روعة البناء دليلاً على ثراء الطبقة الاجتماعية، فالمنازل والدور التي امتلكها الخلفاء وذوي المناصب في الدولة؛ تميزت بمتانة البناء، وجمال الهندسة المعمارية(٢).

ولقد تفنن المكيون في فرش منازلهم بالأثاث المتنوع والمتناغم، فنجد أرضيات الغرف مفروشة بالبسط أو الحصير، تتوسدها المخاد المحشوة بالريش، أو تحف بها الكراسي(٣).

وأما الإضاءة فقد اعتمد المكيون في إنارة منازلهم ليلاً على السراج، وكثيراً ما كان يستعمل الأغنياء الشموع في الإنارة، وتوضع السرج على الأبواب والنوافذ(٤).



(١) الاصطخري، إبراهيم بن محمد: المسالك والممالك، (القاهرة، ط١، ١٩٦١م)، ص ٢١.

(٢) ناصر خسرو: سفر نامة، (ترجمة: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠م)، ص ١٢٣.

(٣) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: الحيوان، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) ، ج٢، ص ١٧١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠، ص ١٥٤. ١٥٥.

(٤) الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص ١٨٧؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص ١٥٥.

٢ . الأطعمة والأشربة:

امتازت مكة بوفرة خيراتها طوال العام وما هذا إلا استجابة من رب العالمين لنبيه إبراهيم عليه السلام حين دعاه قائلاً: ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾[(١)]، فاحتضنت مكة كل من أحبها وأحب جوارها، وأنعمت عليه بخيراتها من مطعم ومشرب ومسكن، وأضحت الأطعمة في مكة متنوعة نتيجة لتنوع سكانها واختلاف مشاربهم وألوانهم.

وقد تحدث المقدسي عن طعام أهل مكة حين وصف طبيعة الجزيرة العربية ذاكراً أن الناس فيها يتقوتون باليسير من الطعام، كما أن اعتمادهم في معيشتهم بشكل رئيس على التمر، إضافة إلى اللحوم المجففة أيام النحر؛ كنوع من الغذاء في فترة زمنية محدودة[(٢)].

كذلك ظهر في طعامهم الفواكه التي عرفت بتوفرها في الأسواق المكية طوال فصل الصيف، في حين خلت منها في فصل الشتاء على حد قول المقدسي[(٣)]، وقد وصف الزهري المعيشة في مكة فقال: "فأما ما يأكلون فأكثر طعامهم الفطاني، والقمح عندهم قليل وكذلك الشعير، وأكثر عيشهم اللبن والتمر ولحوم الإبل، وكذلك فواكههم الموز، وأكثر ثمارهم النخيل"[(٤)].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، **ص٩٠** -٩٩.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٩٠.

(٤) الزهري، محمد بن أبي بكر: كتاب الجغرافية، (تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد)، ص ٣٦.

وقد تفنن المكيون في أنوع الأطعمة، فهناك أكلة تسمى (أفروشة)، وهي من الدقيق والسمن أصلها من بيار[١]، وكذلك (الثريدة) وهي مكونة من الخبز المهشم المبلل بمرق اللحم، وهناك أنواع أخرى من الثريد منها المبلق[٢] والصفراء[٣].

ومن أطعمة المكيين أيضاً: الهريسة[٤]، والعصيدة[٥]، والحريرة[٦]، والحريرة[٦]، والخزيرة[٧]، والخبز بجميع أنواعه، فهناك الخبز المحشو بالسمك ، وكان يقدم عادة طعاماً للأغنياء ، أما الفقراء فكان نصيبهم الخبز مع الزيت[٨].

وكما تنوعت الأطعمة في مكة كذلك تنوعت الأشربة فبالإضافة إلى ماء زمزم المبارك فهو كما قال رسول الله ﷺ: "ماء زمزم لما شرب

(١) بيار: مدينة تقع بالقرب من طبرستان. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣٦٥، ٣٧٠.
(٢) الأصبهاني: حلية الأولياء ، ج٦، ص ٣٧٣.
(٣) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد : الإمتاع والمؤانسة، (تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، ج٣، ص ٢٣.
(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير، (القاهرة، ١٣٦٧هـ)، ج٦، ص ١٦٨.
(٥) ابن بكار، أبو عبد الله الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش وأخبارها، (تحقيق: محمود شاكر، بيروت،١٣٨١هـ)، ص ٣٠٦.
(٦) **الحريرة:** هي ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق الذي يطبخ بلبن أو دسم. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ٢٥٧.
(٧) **الخزيرة:** هو نوع من الطعام يتكون من صافي القطع الصغيرة من اللحم بالماء والملح ولا تكون خزيرة إلا وفيها اللحم. ابن سيده، المخصص، ج٤، ص ١٤٥ . ١٤٦.
(٨) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٦، ص ٣٨٢؛ ١٨١؛ نجلة قاسم الصباغ: بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، ص١٤١.

له"[(١)]، هناك أشربه ثانوية غير الماء كالسويق المصنوع من الحنطة أو الشعير مع السكر[(٢)]، ونبيذ التمر المصنوع من التمر والزبيب[(٣)].

٣ . الألبسة والزينة:

تفنن المكيون في ملابسهم، فاختلفت نوعيتها وأشكالها وكذلك ألوانها، فمن الملابس التي اشتهر الرجال بلبسها القلنسوة[(٤)]، وقد عرف هذا النوع عند العرب منذ صدر الإسلام، وكان للقلنسوة أشكال مختلفة وألوان متنوعة، فمنها: القلنسوة المصرية وهي صفراء اللون[(٥)]، والقلنسوة الهاشمية وهي سوداء اللون[(٦)]، وهناك القلنسوة الشاشية وهي المصنوعة من القماش الخفيف[(٧)]، وهناك الطويلة، وهناك القصيرة[(٨)].

ومما يلبسه الرجال أيضاً العمامة، وهي تمثل تيجان العرب، وكان لا يرتديها سوى الأشراف وكبار القوم، والعلماء، وعادة ما تصنع من أقمشة القطن أو الخز[(٩)]، وتكون إما سوداء، أو بيضاء، أو حمراء، وإن

(١) ابن ماجه: السنن، كتاب المناسك، ج٤، ص ٢٤٩، ح (٣٠٦٢).

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٢٣٢.

(٣) مالك، مالك بن أنس: المدونة الكبرى، (تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت)، ج٤، ص ٥٢٤.

(٤) القلنسوة هي من ملابس الرؤوس. انظر: ابن منظور: لسان العرب، (ط٤، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥)، ج١٢، ص ١٧٥.

(٥) الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ص٧٢.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص ٨٦٢، ٩٩٣.

(٧) أبو نعيم: حلية الأولياء، ج٧، ص ٣٧.

(٨) الأصفهاني: الأغاني، ج٦، ص ٦٦.

(٩) الخز: ثياب تصنع من الصوف. ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص ١٧٧.

وإن كان اللون الأسود هو الأكثر شيوعاً، ومما يذكر أن العالم سعيد بن المسيب كان يعتم بعمامة سوداء[١]، وفي هذا دلالة على أن كبار علماء علماء المسلمين كانوا يفضلون ارتداء العمامة السوداء لما في هذا اللون من الوقار والهيبة.

ونتيجة لجو مكة الحار فقد فضل المكيون الثياب القطنية، والخفيفة، وعادة ما تكون ألبسة الرجال مكونة من الوزر والأزر[٢]، فيذكر الرحالة المقدسي في رحلته أن: "الرسوم في هذا الإقليم لبس الوزر والأزر بلا قميص، إلا القليل"[٣].

كما ارتدى الرجال القمصان، وهي من الألبسة الرقيقة، التي لها أكمام، وتستخدم أحياناً لباساً داخلياً وخارجياً[٤]، ويلبس بعض الرجال الثياب الملونة، كما يفضل بعض كبار السن الملابس الممصرة أي المصبوغة بالمصر وهو تراب أحمر[٥].

كما لبسوا في أرجلهم النعال والخفاف التي كانت لباسا للرجال والنساء، ولبس بعض الناس الجوارب مع النعال[٦].

---

(١) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٢٦٩ . ٢٧٢.

(٢) الوزر: ثوب يستر أعلى الجسم. الأزر: ثوب يستر أسفل الجسم. وكان هذا النوع من الألبسة هو السائد والمشهور في مكة لدى كثير من الرجال في الحاضر والبادية منذ عصر الإسلام الأول. إلهام البابطين: الحياة الاجتماعية بمكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي، (ط١، الرياض، ١٤١٩هـ)، ص ٣٢١. ٣٢٥.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٩٤.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠، ص ١٧٥.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ج٢، ص ١١١.

(٦) وكيع : أخبار القضاة ، ج١، ص١٨٩.

أما بالنسبة لألبسة المرأة المكية فقد اختلفت وتنوعت فمن الملابس التي اعتادت لبسها داخل المنزل القميص، وهو مشقوق عند الرقبة وعليه رداء قصير ضيق يلبس عادة في البرد، وتلف رأسها عادة بمنديل رقيق، وإذا خرجت من بيتها كانت ترتدي الخمار، وهو غطاء تغطي به رأسها ويلف حول رقبتها، وتغطي جسدها بملاءة فضفاضة طويلة(١).

ولقد تفننت المرأة المكية في زينتها؛ فلبست الخلاخيل في أرجلها، والأساور في معصمها، وأحسنت استخدام أدوات الزينة والتجميل(٢).

٤. الأعياد والاحتفالات:

أ . الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى:

حظي عيدا الفطر والأضحى باهتمام كبير، ويبدأ الاحتفال بهما بذهاب أفراد الأسرة رجالاً ونساءً وصبياناً لأداء صلاة العيد، ثم يبدأ الأهل في التزاور لتقديم التهاني ويقدم أفراد الأسرة لضيوفهم بعض الأطعمة مثل الفاكهة وغيرها يطلق عليها اسم تحفة(٣).

كما أشار المقدسي إلى أن من عادات أهل مكة الاحتفال بعيد الفطر وقال عن طريقتهم: "وبمكة تنصب القباب ليلة الفطر ويزين

(١) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، (ط١٣، دار الجيل، بيروت،١٤١١هـ / ١٩٩١م)، ج٢، ص٣٥٠.

(٢) أمير علي: مختصر تاريخ العرب، (ط٥، دار العلم للملايين،١٩٩٠م)، ص ٣٨٠.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ج١٤، ص١٣٦؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٣١٣.

السوق بين الصفا والمروة، ويضربون الدباب(١) إلى الصباح، وإذا صلوا الغداة أقبلن الولائد مزينات بيدهن المراوح يطفن بالبيت"(٢).

ويبالغ أهل البلاد في الاحتفال بهلال شوال وعيد الفطر المبارك، ذلك لأن شهر شوال هو فاتحة أشهر الحج.

ب . الاحتفال بالمولد النبوي:

لقد عمل البويهيون(٣) الشيعة والذين سيطروا على بغداد في القرن الرابع الهجري على إبراز ونشر العديد من الاحتفالات البدعية منها بدعة الاحتفال بمولد النبي ﷺ، فعملوا جاهدين على نشر هذه البدعة في أرجاء العالم الإسلامي حتى صارت تقليداً متبعاً، ولم تكن مكة بمنأى عن ذلك وهي التي تحتضن بين جنباتها المسلمين من كافة بقاع الأرض على اختلاف مذاهبهم، فانتشرت بها بدعة الاحتفال بمولد النبي ﷺ، وكان ذلك في شهر ربيع الأول، كما كانوا يحتفلون بمولد السيدة ميمونة زوج النبي ﷺ في منتصف شهر صفر(٤).

ج . الاحتفال بختم القرآن:

حرصت الأسر المكية على تعليم صبيانها القران الكريم، كما اعتاد المكيون الاحتفال بأولادهم حين يتم لهم ختم القرآن الكريم،

---

(١) الدباب: الكثير الصياح والجلبة، والدبداب: الطبل. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ٣١٥.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٩٥.

(٣) علي بن الحسين السليماني: العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، (جامعة القاهرة ، ١٩٧٣م)، ص ٢١٢ . ٢١٣.

(٤) عائشة باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ص ٨٥.

فيقيمون لهم احتفالاً كبيراً، فقد كانوا يطوفون بصبيانهم حول الكعبة ثم يحمل على دابة ويطاف به في طرق مكة(١).

د . الاحتفال ببعض الشهور:

انتشر بمكة الاحتفال بمطلع الشهور الهجرية، فكان من عادتهم في ذلك أن يخرج أمير مكة في أول يوم من أيام الشهر مع كبار رجال الدولة وهو يرتدي الملابس البيضاء، متقلداً سيفه، وعليه السكينة والوقار، فيصلي عند مقام إبراهيم ركعتين ثم يُقَبِّل الحجر الأسود، ويطوف حول الكعبة سبعة أشواط(٢).

كما اعتاد أهل مكة الاحتفال بظهور هلال شهر رجب فكانوا يقيمون احتفالاً عظيماً لقدوم هذا الشهر، باعتبار أن هذا الشهر المبارك أحد الأشهر الحرم(٣).

وإذا أهلَّ هلال شهر رمضان، قام المكيون بالاحتفال به على طريقتهم فتضرب الطبول عند أمير مكة، وهنا يبدأ الاستعداد بقدوم هذا

---

(١) عائشة باقاسي: بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ، ص ٨٥؛ هدى فهد محمد الزويد: التطور التاريخي للأسرة في الحجاز في القرنين الأول والثاني الهجريين، (دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٨هـ)، ص٢٢٨-٢٢٩.

(٢) سليمان المالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف، ص ١١٨.

(٣) سليمان المالكي: بلاد الحجاز، ص١١٨؛ عطية طه عبد العزيز: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز، ص٢٨٧. ومما لا شك فيه أن الاحتفال بقدوم هذه الأشهر وتخصيص أفعال معنية يقوم بها الناس كالطواف حول الكعبة وغيرها من الأمور البدعية التي لم يأمر بها الشرع الحنيف، وأن في ذلك مخالفة صريحة لما نهى عنه النبي ﷺ.

الشهر في المسجد الحرام فتفرش الحصر الجديدة، ويزود المسجد بالكثير من الشموع والمشاعل حتى يتلألأ الحرم نوراً وإشراقا [١].

٥ . الزواج:

يمثل الزواج وضعاً اجتماعياً يترتب على حدوثه تكوين أسرة، كما أن الزواج جانباً مهماً من العادات الاجتماعية في أي مجتمع، وكان لأهل مكة عاداتهم الخاصة في الزواج، وهي لا تختلف كثيراً عما هو عليه الآن، فقد كان الزواج يتم عن طريق الخِطبة ثم عقد القران، وكانت من العادة أن يخطب الشخص لنفسه، أو يرسل من يقوم بهذا العمل نيابة عنه، وهو ما يعرف الآن بالخاطبات، ثم يدفع بعد ذلك المهر أو الصداق إذا تم الزواج[٢].

ولم يحدد الإسلام مقداراً معيناً للصداق، وإنما ترك ذلك حسب المكانة الاجتماعية، والحالة المالية لكلا الزوجين.

وخير ما يمثل ذلك عندما تزوج عبد العزيز بن مروان ليلى بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب، فقد أمهرها أربعمائة دينار، وأحياناً يكون الصداق أقل من ذلك بكثير فابنة سعيد بن المسيب تزوجت بصداق قدره درهمان[٣].

وكانت العادة المتبعة أن يقوم الزوج بعمل وليمة لهذه المناسبة، وكان الغناء يصاحب حفلات الزواج وذلك من مظاهر الإشهار، ولما

---

(١) سليمان المالكي: بلاد الحجاز، ص ١٢١؛ باقاسي: بلاد الحجاز، ص ٨٢.

(٢) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٣٠٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات ، ج٥، ص ٢٤٣. ٢٤٤.

تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة نهى عن الضرب ببعض الآلات الموسيقية، ولم يأذن إلا بالدفوف في مثل هذه المناسبات[١].

٦ ـ الوفاة:

دفن المكيون موتاهم حسب سنة الإسلام، فكان الميت يغسل ثم يكفن ويصلى عليه ثم يوارى في قبره، وإن ظهرت بعض البدع التي نهى عنها الشرع الحكيم، والتي منها إن كان المتوفى شريفاً من الأمراء توقفت الأسواق وأغلقت المحال، ومنها أيضاً إن ناحت المرأة على زوجها وهي قائمة عرف عنها أنها لا تريد أن تتزوج بعده[٢].



(١) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٣٠٥.

(٢) عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٣٠٦.

ومن خلال ما تم سرده يتبين لنا عدة أمور منها:

– الموقع الديني لمكة جعلها موئلاً للعديد من الأجناس البشرية أهمها العنصر العربي المكون الأساسي لها، تليه عناصر أخرى كالموالي والمجاورين وغيرهم، ومن أشهر القبائل العربية التي قطنت مكة وانتشرت حولها – فترة البحث – قبيلة كنانة القرشية.

– كان للموالي؛ وهم المسلمون من غير العرب العتاقة والأحرار. دور بارز في كافة النواحي بمكة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية، فبرز منهم عدد كبير من العلماء المحدثين، كما تقلد عدد منهم المناصب الإدارية والقيادية والقضائية.

– يعتبر الرقيق العنصر الثالث من عناصر السكان في مكة، وكان للرقيق دور بارز في الصناعة.

– المجاورون هم سكان أرض الحرمين من غير أهلها؛ حيث أنهم قد وفدوا إليها من مختلف الأقاليم الإسلامية رغبة في قضاء فترة صفاء روحي في رحاب مكة وبجوار البيت الحرام

– من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في مكة المرافق العامة والمنازل الخاصة، فقد كان الطابع البنائي موحياً بالطبقة الاجتماعية، فالمنازل والدور التي امتلكها الخلفاء وذوي المناصب في الدولة؛ تميزت بمتانة البناء، وجمال الهندسة المعمارية.

– أضحت الأطعمة في مكة متنوعة نتيجة لتنوع سكانها واختلاف مشاربهم وألوانهم.

– تفنن المكيون في ملابسهم، فتنوعت أشكالها وألوانها.

– احتفل أهل مكة بالأعياد الشرعية أي بعيدي الفطر والأضحى كما اعتنوا بالاحتفال بهلال شوال، وهلال شهر رجب وهلال شهر رمضان. وفي عهد البويهيين الشيعة انتشرت العديد من الاحتفالات البدعية منها بدعة الاحتفال بمولد النبي ﷺ.

– حرصت الأسر المكية على الاحتفال بأولادهم حين يتم لهم ختم القرآن الكريم، فيقيمون لهم احتفالاً كبيراً.

– لا تختلف عادات المكيين الخاصة في الزواج، فهي تتشابه كثيراً عما هو عليه الآن. فكانت العادة المتبعة أن يقوم الزوج بعمل وليمة لهذه المناسبة السعيدة.

– كان ولا يزال يدفن المكيون أمواتهم حسب سنة الإسلام.



الفصل الثاني

مظاهر الازدهار العلمي في مكة خلال فترة البحث

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول**: عوامل تطور الحركة العلمية.

ويشمل: (الحج - الجوار والمجاورين – المسجد الحرام – التجارة).

- **المبحث الثاني**: العلوم والآداب.



المبحث الأول: عوامل تطور الحركة العلمية

۞ الحـــــج

انفردت مكة من بين أقطار الأرض أن فرض الله تعالى الحج إليها، فيقصدها المسلمون كل عام لأداء هذه الشعيرة العظيمة، وذاك الركن من أركان الإسلام، وإن من أبهى وأعظم خصائص الإسلام ومزاياه، ارتباط عباداته وشعائره بالتربية والتثقيف والإصلاح والتوجيه.

والحج، له دور كبير وأثر عظيم في ازدهار الحياة العلمية بالبلد الحرام واستمرارها، لأن شعائر الحج يحتاج إلى التعرف عليها كل وافد إلى بيت الله، ولابد أن تقع منه أمور يحتاج إلى سؤال أهل العلم عنها وتأثيرها في إحرامه وأدائه المناسك، فلم ينقطع الدور العلمي لعلماء مكة قط عبر التاريخ، كما أن حركة الحج الدائمة تُعد سبباً في اتصال علماء العالم الإسلامي بعلماء مكة، فالجميع ينتهز فرصة هذا التجمع العظيم، ليدلي كل بما عنده من علم شرعي، فهذا يدلي بفتوى لمسألة فقهية ما، والآخر يحدِّث بما لديه من أحاديث المصطفى ﷺ، وثالث يبين وجه استنباط مسألة، وهكذا.. وبعد أن يرجع الحجيج إلى بلادهم ينشرون ما تلقوه من علوم علماء مكة في بلادهم التي رجعوا إليها، فالحجيج يفدون من كل أقطار العالم، كما قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[1].

(١) سورة الحج، الآية: ٢٧.

ومن هؤلاء الحجيج العلماء الذين يفدون إلى مكة من جميع الأقاليم الإسلامية ليلبوا دعوة الله، ويؤدون الفريضة التي أمرهم بأدائها؛ ويعاونوا حملات الحج في التعرف على المناسك، وفي الأرض الطيبة يلتقون بعلماء الدنيا، فاجتماع الناس من كل حدب وصوب في موسم الحج بمثابة ندوة علمية شاملة، فتتوفر لهم العديد من الفرص العلمية المتنوعة، التي تكفل لهم الاستفادة والاستزادة من بحر معلومات لا ساحل له ولا ضفاف، بل أعظم من ذلك ما بالحج من نفحات إيمانية قد لا يجدونها في غير بلد الله الحرام.

وربما يطيب لبعضهم بعد انتهاء الموسم البقاء بجوار هذا البيت العتيق، ليستفيدوا من علماء مكة وفقهائها(١).فهذا أعظم ما يرومونه من منافع الحج بعد أدائهم المناسك، قال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ... ﴾(٢). أشارت الآية الكريمة إلى منافع كثيرة، ولاشك أن من أعظمها وأهمها تحصيل العلم والمعرفة، لأن منافع الإنسان فيما يصلح دينه وآخرته أعظم مما يصلح له دنياه ومعاشه، فالحج مناسبة عظيمة، يتم فيها اللقاء والتبادل بين المسلمين من مشارق العالم الإسلامي ومغاربه(٣).

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص ١٥٨؛ عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٨٠ . ٨١؛ بندر محمد الهمزاني: أثر السلاطين والأمراء والأعيان في تنشيط الحركة العلمية في مكة في القرنين السابع والثامن الهجريين، (بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية، العدد العشرون، ١٤٢١هـ/٢٠٠١)، ص ٤٤٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٨.

(٣) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك: الصلة، (ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج٢، ص ٤٢٦؛ ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تكملة الصلة،(مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م)، ج١، ص ٨٢ . ٨٣؛ عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٧٦ . ٧٨.

والحج أشهر معلومات فزمانه محدد، ومكانه معلوم ، يفد الناس لأداء مناسكه شعوباً وقبائل ، فيحدث التعارف المطابق لسبب الخليقة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[(١)]. وهذا التمازج والتعارف له أثر كبير في إثراء الحياة العلمية وتطورها.

وقد اعتاد المسلمون منذ العهد النبوي على أن يكون الحرم المكي في موسم الحج موطناً للقاء بين العالم والمتعلم، ومركزاً لتلقي المعرفة والتفقه في الدين، وما ذاك إلا أن حجة الوداع سنة (١٠هـ/٦٣٢م) كانت حجة تعليمية، علم فيها الرسول ﷺ المسلمين مناسك الحج، ووضع أصول التعامل بين البشر، وأسس العبادة والتقوى.

يذكر الفاكهي (ت ٢٧٢هـ/٨٨٥م) أن الرسول ﷺ كان يعلم الناس مناسكهم بمنى، وأنه طاف في حجة الوداع بالبيت العتيق بين الصفا والمروة على راحلته ليراه الناس وليشرف عليهم وليسألوه[(٢)]، هذا غير ما تقدم من خطبة يوم عرفة، وما كان فيها من عظات خالدة.

ولقد سئل الرسول ﷺ في حجة الوداع أسئلة كثيرة، منها سؤال حول حج الرجل عن أمه أو عن أبيه في حياتهما وبعد مماتهما، وعن حج المريض، وغير ذلك أسئلة كثيرة، وأجاب عنها مما وصل إلينا في كتب الجوامع والصحاح والسنن والمسانيد[(٣)].

---

(١) سورة الحجرات، الآية:١٣.

(٢) الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص ٢٣٩.

(٣) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك : السيرة النبوية، (تحقيق: مصطفي السقا، إبراهيم الأبيارى، عبد الحفيظ شلبي، ط٢، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر،١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ج٤، ص ٢٥٠؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج٤، ص ٢٦٤.

وهذه النصوص كلها تؤكد ارتباط النشاط العلمي بمناسك الحج منذ عهد النبي ﷺ.

وقد فهم العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم هذا الأمر جيداً، فاستمر دور العلماء الفقهاء بعد رسول الله ﷺ في الإجابة عن استفسارات المسلمين المتعلقة بأمور الحج وغيرها، فقد أشارت المصادر إلى عدد من الفقهاء الذين اجتمع إليهم المسلمون في موسم الحج، وشهد لبعضهم تميزه بمعرفة مناسكه وخاصة فقهاء مكة، فكان عبد الله بن العباس رضي الله عنه يعلم الناس كل ما يتعلق بهذه المناسك(١)، ومن بعده تلميذه الفقيه عطاء بن أبي رباح، حيث اعتاد الناس الاجتماع به في موسم الحج وغيره ؛ ليسألونه في أمور دينهم(٢).

بل إن الأمراء كانوا يعينون المفتين في الحج؛ ففي أخبار مكة أنه فِي زَمَنِ بَنِي أُمَيَّةَ كان صَائِح يَصِيحُ: "لَا يُفْتِي النَّاسَ إِلَّا عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَطَاءٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ"(٣).

ولم يكن الأمر قاصراً على فتاوى الحج، فقد ثبت أن الحبر البحر ابن عباس كان يفسر القرآن في موسم الحج(٤)، ففي تفسير الطبري عن أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: قرأ ابنُ عباسٍ سورة البقرة، فجعل يفسرها

---

(١) ابن سعد: الطبقات،ج٦، ص٢٠ .٢٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص ٣١٨.

(٣) الفاكهي : أخبار مكة ، ج ٢، ص٣٣٣ .

(٤) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩م)، ج٧، ص ١٠٠.

فقال رجل: "لو سمعتْ هذا الديلمُ لأسلمتْ"[١].

ولم تقتصر الفتيا على الرجال دون النساء في بعض الأحيان ؛ إذ كان للنساء دور في الإفتاء في مواسم الحج، فيذكر لنا ابن سعد أنه قد دخل بعض النسوة على عائشة أم المؤمنين في حجة حجتها في نسوة من نساء الأنصار، فجعلن يسألنها عن الظروف التي ينتبذ فيها، فقالت: "يا نساء المؤمنين لتسألنني عن ظروف ما كان كثير منها على عهد الرسول ﷺ، فاتقين الله، وما أسكر إحداكن فلتجتنبه، وإن أسكرها ماء جِبِّهَا[٢] فلتجتنبه، فإن كل مسكر حرام"[٣].

وهكذا ارتبط موسم الحج منذ فجر الدعوة وما بعدها ارتباطاً وثيقاً بالتثقيف والتعليم، واستمر إلى يومنا هذا.

كما كان لأمراء الحج دور كبير في التوعية العلمية، إذ كان يتم اختيارهم على أن يكونوا من حملة العلم، مما جعل العديد من طلاب العلم يحرصون على الاستفادة منهم[٤].

وقد سجل التاريخ رحلات الخلفاء والملوك والأمراء إلى بيت الله في موسم الحج ، للقاء العلماء في هذا الموسم العظيم ، فعلى سبيل المثال: حين سمع أبو جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ/٧٧٥م) عندما جاءته الأنباء بأن عدداً من علماء المسلمين سيحجون في أحد المواسم، ومنهم عمرو بن عبيد والأوزاعي

---

(١) الطبري : جامع البيان في تأويل القرآن "تفسير الطبري" (تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج ١، ص ٨١.

(٢) الجِب: وعاء الماء كالزير والجرة . إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ، (دار الدعوة ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة)، ص ١٥١.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٨، ص ٣٥٤.

(٤) حجازي حسن طراوه: دور الحج في إثراء الحركة العلمية في الحرمين الشريفين في عهد الراشدين والأمويين، (ط١، مكتبة زهراء الشرف، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ١٥.

وسفيان الثوري وأبو حنيفة وغيرهم، سارع للقائهم، وكان في مقدمة من لقيهم: الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة(١).

ويبلغ التفاعل العلمي والثقافي في المسجد الحرام مداه في موسم الحج ، حيث يتواجد الطلاب في دروس العلماء المكيين وحلقاتهم العلمية بكثرة، فيكون موسم الحج مكاناً للقاء العلماء وطلاب العلم من شتى أقطار العالم الإسلامي، يتدارسون فيما بينهم مسائل العلم، ويأخذون من بعضهم البعض مختلف العلوم، فيعود أكثرهم إلى بلاده محملاً بكنوز العلم والمعرفة التي لا تقدر بثمن، ومنهم من يعاود الكَرة مرات ومرات(٢)، فها هو عمرو بن دينار(١٢٦هـ/٧٤٣م)، كان يجلس في الموسم لتدريس العلوم الشرعية لأهل مكة والوافدين عليها، وكان الحجاج يرغبون بلقائه والاستفادة من علمه(٣).



---

(١) محمد البيومي: الحج مجمع علمي، (مقال في مجلة الحج، ص ٥٢، ج٦، ذو الحجة، ١٤١٧هـ)، ص ٥٣.

(٢) علي حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية ، ص ٢٢٣؛ عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٧٦.

(٣) عمرو بن دينار أبو محمد الجمحي، فقيه أهل مكة. فارسي الأصل ، ولد بصنعاء، ومات بمكة. ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص ٢٨ . ٣٠؛ الفسوي، يعقوب بن سفيان: المعرفة والتاريخ، (تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ)، ج٢، ص ١٨ . ٢٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ص ١٨٦ . ١٨٩.

أما إمام أهل مكة: سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ/٨١٣م)، فكان طلاب العلم يتكلفون الحج للقائه، والاستفادة من علمه[(١)]، يقول عنه الذهبي: "كان طلبة العلم يحجون وما همهم إلا لقي سفيان، فيزدحمون عليه في الموسم ازدحاماً عظيماً إلى الغاية لإمامته وعلو إسناده وحفظه، كان من بحور العلم"[(٢)].

كذلك كان مجلس الإمام الشافعي (٢٠٤هـ/٨٢٠م)، فقد وهب الله تعالى الشافعي ملكة التفكير بالغوص في المعاني الفقهية، فربما فضل العلماء الحجاج مجلسه، وكان الإمام أحمد يدل على مجلسه، ويوصي به، فعن الإمام إسحاق بن راهويه أنه قال: (كنا بمكة والشافعي بها وأحمد بن حنبل بها فَقَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يا أبا يعقوب جالس هذا الرجل – يعنى الشافعي، قلت ما أصنع به سنه قريب من سننا! أترك ابن عيينة والمقري؟ قال ويحك إن ذاك لا يفوت وذا يفوت، فجالسته)[(٣)].



(١) سفيان بن عيينة الكوفي، ولد بالكوفة سنة (١٠٧هـ/٧٢٥م)، ثم انتقل إلى مكة وسكنها سنة (١٦٣هـ/٧٧٩م)، وظل بها إلى أن وافته المنية بها، كان أعلم الناس بحديث أهل الحجاز، وقيل لولا الشافعي ومالك وسفيان لذهب علم الحجاز. ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص ٤٩٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص ٢٢٧ . ٢٢٨.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ص ١٩٢.

(٣)هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله، ولد بفلسطين، وانتقل منها إلى مكة وعمره عامين، كان عالماً زكياً فطناً له مؤلفات كثيرة من أشهرها كتابه في الفقه "الأم". الزركلي : الأعلام ، ج٦، ص ٢٦ .

وهاهو محدث مكة الحميدي (ت ٢١٩هـ / ٧٣٤م) يذكر مجلس الشافعي أيضاً وكيف تأثر به، فيقول: "كان أحمد بن حنبل قد أقام عندنا بمكة على سفيان بن عيينة فقال لى ذات يوم ههنا رجل من قريش له بيان ومعرفة؛ قلت ومن هو؟ قال محمد بن إدريس الشافعي، وكان أحمد ابن حنبل قد جالسه بالعراق فلم يزل بي حتى اجترني إليه فجلسنا إليه ودارت مسائل فلما قمنا قال لي أحمد ابن حنبل كيف رأيت؟ ألا ترضى أن يكون رجل من قريش يكون له هذه المعرفة وهذا البيان؟ فوقع كلامه في قلبي فجالسته فغلبتهم عليه، فلم يزل يقدم مجلس الشافعي حتى كاد يفوت مجلس سفيان بن عيينة وخرجت مع الشافعي إلى مصر"[١].

كما أوصى الإمام الأوزاعي(ت١٥٧ هـ /٧٧٤ م)[٢] بمجالسة الحكم بن عيينة في مكة، قال: "حججت فلقيت عبدة بن أبي لبابة[٣] بمنى، فقال لي: هل لقيت الحكم[٤] ؟، قلت: لا، قال: فاذهب فالقه، فما

---

(١) ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد الرازي: الجرح والتعديل ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٥٢م)، ج٧ ، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الاوزاعي، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، سكن بيروت وتوفي بها، عرض عليه القضاء فامتنع، له عدد من المؤلفات منها كتاب "السنن" في الفقه. الزركلي: الأعلام ، ج٣ ، ص٣٢٠.

(٣) عبدة بن أبي لبابة الأسدي، مولى لقريش، أصله من أهل الكوفة، ثقة ، فقيه، روى عن ابن عمر، وروى عنه سفيان الثوري وشعبة ابن الحجاج وغيرهما، توفي سنة (١٢٧هـ/٧٤٤م). الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٢٣٠.

(٤) الحكم بن عيينة، مولى كندة، من علماء أهل الكوفة، وروى عن ابن شريح، وسعيد بن جبير،توفي سنة (١١٤هـ/٧٣٢م)، وقيل سنة (١١٥هـ/٧٣٣م). الصفدي ، صلاح الدين خليل ابن أيبك : الوافي بالوفيات، (بيروت، دار التراث العربي)، ج١٣، ص ١١١.

بين لابتيها أفقه منه"، وهذا يدل أن موسم الحج كان يستغله العلماء في الاستزادة من العلم ومجالسة العلماء.

كما كانت مجالس التحديث تعقد لعلماء الآفاق في البلد الحرام، ومنهم محدث اليمن عبد الرزاق الصنعاني، ففي موسم عام (١٨٧هـ/ ٨٠٢م) حج الإمام أحمد بن حنبل المعروف بغزارة علمه، والتقى في موسم الحج بالعالم اليمني الإمام عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م)[١]، وحدثه بما لديه من العلم، وقد رحل إليه الإمام أحمد إلى اليمن بعدها.

ولا شك أن مثل هذه اللقاءات العلمية بين العلماء والمحدثين كان لها بالغ الأثر في تنشيط الحياة العلمية وازدهارها في أقطار العالم الإسلامي بوجه عام ومكة على وجه الخصوص [٢].

وهكذا يتضاعف اتساع الحلقات العلمية في موسم الحج، ويشتد التنافس بين طلاب العلم، خاصة وأن النشاط العلمي بمكة لم يقتصر أبداً على حلقات الدروس في الحرم المكي، أو من علمائها المكيين، بل كان يشمل من قصدها من أهل العلم من كافة أنحاء المعمورة من الفقهاء والمحدثين، فكانت مجامعها في موسم الحج تغص بالعلماء والفقهاء، كما كانت مجالس المناظرات تعقد في بيوت العلماء والفقهاء،

---

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، مولاهم، من حفاظ الحديث، من أهل صنعاء، الملقب بمحدث اليمن. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٣٦٤.

(٢) إلهام محمد هاشم الدجاني: تاريخ الحج من عهد الرسول حتى نهاية العصر العباسي الأول سنة "٢٣٢هـ/ ٨٤٣م"، (رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جدة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٩٢.

وفي حلقات المسجد الحرام، وهذا ما يشبع نهم المناظرين ويروي غلة السائلين[١].

ولقد بدأ التأليف والتصنيف في علم الحديث منذ منتصف القرن الثاني الهجري من مكة، ويعد ابن جريح (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م)[٢] أول من فعل هذا بمكة، وعنه أُخذ التصنيف في الكتب لسائر العلوم، وبعده اتجهت الهمم إلى العناية بجمع الأحاديث وتشجيع الآخرين على ذلك في مختلف الأقطار[٣].

كما قدم إلى مكة من العلماء العراقيين محمد الوزير الواسطي (ت٢٥٨هـ/٨٧١م)[٤]، وإبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص (ت٢٩١هـ/ ٩٠م) والذي اشتهر بكثرة تصانيفه، وكثرة ترحاله إلى مكة، حيث يصف ذلك بقوله: "سلكت في البادية إلى مكة سبعة عشر طريقاً،

(١) السباعي: تاريخ مكة، ص ١٥٢؛ عبد الله قاسم الوشلي: المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، (ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص ١٢٨ . ١٢٩؛ محمد صالح الطاسان: التعليم في مكة في العهد المملوكي، (بحث منشور في مجلة جامعة الملك عبد العزيز، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، م ٨)، ج ٣، ص ٢٥.

(٢) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الأموي، أصله رومي، لزم عطاء سبع عشر سنة، وصفه عطاء بأنه شاب أهل الحجاز، كما قال عنه ابن حبان من فقهاء وثقات أهل الحجاز. الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي أبو بكر: تاريخ بغداد، (بيروت ، دار الكتب العلمية)، ج١٠، ص ٤٠٠، الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص ٥٠٨.

(٣) سليمان كمال: إمارة الحج في العصر العباسي من سنة "١٣٢ إلى ٢٤٧هـ"، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٧٩. ٨٠.

(٤)المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن: تهذيب الكمال، (تحقيق: بشار عواد معروف، ط١ن مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ، ج ٢٦، ص ٥٨٣ . ٥٨٥.

وأنا أعرف من بقي في حجة واحدة سبع سنين)[١]، كما أن الإمام أحمد ابن يوسف الحضرمي (ت ٣١٩هـ/٩٣١م) ظل يتردد إلى مكة مدة طويلة للحج والزيارة ناشراً علمه بين أهلها، ثم طاب له المقام فاستقر بها، ودفن بثراها، بعد أن استفاد من علمه الكثير من طلبة العلم، فقد كان لشهرته العلمية أن كسب قلوب الكثير من حملة العلم، ويتضح ذلك من خلال الازدحام على حمل نعشه مما لم ير مثله بمكة على حد قول السخاوي[٢]. كما قدم مكة إسحاق بن إبراهيم المروزي المعروف بابن راهويه (ت٢٣٨هـ/٨٥٢م)، فقد رحل من مرو صوب مكة لأداء فريضة الحج، وطلب العلم، فسمع من علماء مكة وتتلمذ على يد عدد منهم وفي مقدمتهم سفيان بن عيينة[٣]، وأخذ أيضاً بمكة عن الإمام الشافعي. ورحل من مدينة همذان[٤] محمد بن علي بن الحسين الهمذاني (ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، وقد اشتهر بكثرة تردده على مكة للحج وطلب

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٦، ص ٧، ٨.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص ١٥٩.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٦، ص ٣٤٣؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: طبقات الحفاظ، (تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص ١٨٨ . ١٨٩.

(٤) تقع إلى الغرب من إيران، وتحديداً في موضع متوسط في غربها، يحدها شرقاً مدينتا قم وقاشان، وغرباً كرمنشاه، وفي الشمال الشرقي الري، وشمالاً قزوين ، وزنجان ، وجنوباً نهاوند، وفي جنوبها الشرقي تقع أصفهان، فتحت بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب بستة أشهر على يد المغيرة بن شعبة. ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١٠؛ البغدادى، صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، (تحقيق: علي محمد البيجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج٣، ص ١٤٦٤.

العلم[١]. كما قدم من أذربيجان[٢] إلى مكة للحج وطلب العلم الإمام نافع ابن علي بن يحيى السروي الفقيه (ت في ق ٣هـ/ ق ٩م)[٣]، والحسين بن البردعي (ت في ق ٣هـ/ق ٩م) الذي تتلمذ على ابن المقرئ وغيره من علماء الحجاز[٤].

وهذا أحمد بن محمد بن زياد البصري (ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م)، عرف بشيخ الحرم؛ لكثرة حلقاته ومجالسه العلمية فيه، استفاد من علمه الكثير من محبي العلم وطلابه، من أهل مكة والوافدين عليها من الحجاج وغيرهم[٥].

وكثير من العلماء إنما ابتدأ طلبه العلم من جنبات المسجد الحرام في مواسم الحج، فالإمام مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م) صاحب الصحيح[٦] يبين أنه في بدايات طلبه العلم وهو دون الثماني عشرة سنة؛

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص ١٥٠.

(٢) أذربيجان: إقليم يلي الجبال من بلاد العراق وإلى المشرق من أرمينية، يتصل حدها من جهته الشمالية ببلاد الديلم. ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٨.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٢٣.

(٤) الخليلي: الخليل بن عبد الله، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، (تحقيق: محمد سعيد إدريس ، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ج٢، ص ٧٨٣.

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، ج٧، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

(٦) هو الإمام الحجة الحافظ، صاحب الصحيح، ولد سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م)، درس على عدد من العلماء، برع في الحديث والفقه، كما أخذ عنه الكثير من طلبة العلم وله العديد من المصنفات، منها: كتاب "الصحيح"، "الأسماء والكنى"، "التاريخ"، "الطبقات"، وغيرها، توفي بنيسابور. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٣١١.

سنة؛ بدأ طلب الحديث بمكة، قال: (خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي، وتخلفت بها في طلب الحديث)[١].

ومكث بمكة علماء كثيرون ينشرون العلم الشرعي، فيحيى بن المبارك اليزيدي البصري (ت٢٠٢هـ/ ٨١٧م) تتلمذ عليه الكثير من الطلاب في مكة[٢]. كما عقد المجالس العلمية بمكة محمد بن يحيى بن فياض البصري (ت ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م)[٣]، وأحمد بن هارون البرديجي (ت (ت في ق ٤هـ/ق ١٠م)، والذي اعتاد على عقد المجالس العلمية في الحرمين الشريفين أثناء أداء فريضة الحج[٤].

وهكذا كان موسم الحج وسيلة مهمة للتبادل الثقافي بين أبناء البلدان الإسلامية المختلفة، وكذلك تبادل الكتب وانتقالها من المشرق إلى المغرب، والعكس صحيح، حيث نرى أن العديد من العلماء الوافدين إلى مكة كانوا يأتون بالعديد من الكتب العلمية المفيدة ، كما أن بعضهم يقوم بتصنيف كتبه في مكة، كما في حالة الإمام البخاري الذي روي عنه قوله: "صنفت كتاب الجامع في المسجد الحرام"، بل ويتركها لهم ليستفيدوا منها سواء كان هؤلاء الطلبة من مكة أو من خارجها[٥].

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، ج ٢، ص٣٢٥) ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص ٢٧ . ٢٨.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٢، ص ٤.

(٣) المزي: تهذيب الكمال، ج ٣٤، ص ٤٢٣، ٤٢٥.

(٤) الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج٢، ص ٧٤٦ . ٧٤٧.

(٥) أبو بكر أحمد باقادر وَحسين محمد بافقيه: الحج ومكة المكرمة في كتابات المكيين، (بحث منشور في مجلة التجديد، السنة السادسة، أغسطس، ٢٠٠٢م، جمادى الأولى، ١٤٢٣هـ، العدد الثاني عشر، الجامعة الإسلامية، ماليزيا)، ص ١٩.

ولقد ترتب على التقاء علماء المسلمين في مواسم الحج، نشوء نشاط علمي يعتني بدراسة القرآن الكريم وتفسيره وبالحديث وسننه، وخاصة فيما يتعلق بالحج وأحكامه، بل امتد ذلك إلى كافة العلوم الدينية.

وكان العلماء وطلبة العلم يتحرون موسم الحج للقاء العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية، وذلك للتشاور معهم والأخذ منهم والاستفادة من علمهم، فعلى سبيل المثال كان عبد الله بن حفص المزي يبتهج للقاء العلماء العراقيين خلال أيام الحج، وقد برز منهم على سبيل المثال جابر بن زيد الأزدي البصري (ت ١٠٣هـ/٧٢٠م)[١]، وأيوب السختياني (ت١٣١هـ/٧٤٩م)[٢].

كما سَخَّر علماء مكة طاقاتهم العلمية لطلبة العلم وأهله، فمن التابعين الذين برزوا في تفسير القرآن الكريم مجاهد بن جبر المكي (ت١٠٤هـ/ ٧٢٢م)، فلقد كان خلال موسم الحج يجتمع الحجاج من حوله ليستفيدوا من علمه في تفسير القرآن الكريم[٣].

وكان ممن عرف بالإفتاء في موسم الحج عبد الله بن أبي نجيح (ت ١٣٢هـ/٧٥٠م)، وهو مفتي مكة بعد عطاء بن أبي رباح[٤].

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١، ص ٣٤٧ . ٣٤٨.

(٢)الذهبي: تاريخ الإسلام،ص ٣٧٩ . ٣٨٢؛ إبراهيم بن عبد العزيز الجميع: النشاط العلمي في مكة والمدينة خلال مواسم الحج في العصر الأموي"٤١ . ١٣٢هـ/ ٦٦١. ٧٥٠م"، (دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ)، ص ٨٤.

(٣) إبراهيم الجميح : النشاط العلمي في مكة والمدينة ، ص٤٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص ٤٨٣؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٢٨٤.

كما اعتاد العلماء الآفاقيون المشهورون على إقامة الحلقات العلمية في المسجد الحرام في مواسم الحج، فمنهم إمام أهل البصرة في عهد التابعين: الحسن بن يسار البصري (ت١١٠هـ/ ٧٢٨م)، وقد اعتبر من أشهر القصاصين في مواسم الحج(١)، ومما لا شك فيه أن دروسه كان لها أعمق الأثر في تذكير الحجاج وغيرهم بأمر الدنيا والآخرة.

وقد أثر الحج على التصنيف في الرحلات، والتي نشطت مشرقاً ومغرباً، كما كان لقاء الحجاج مصدراً مهماً للمؤرخين ومصنفي كتب البلدان والجغرافيا، فيذكر اليعقوبي أن ذلك من أسباب تأليفه لكتاب البلدان: (... سألت خلقاً كثيراً وعَالماً من الناس في المواسم وغير المواسم من أهل المشرق والمغرب، وكتبت أخبارهم ورويت أحاديثهم، وذكرت من فتح بلداً بلدا...الخ)(٢).

ولدينا العديد من الشواهد والمؤشرات الدالة على انتشار الأدب الجغرافي المعروف بـ "أدب الرحلات"، والذي نجم عن قيام العديد من العلماء وغيرهم بجولة سياحية عبر عدد من الأقاليم وصولاً للأراضي المقدسة، وعندها يدونون مشاهداتهم خلال رحلتهم هذه، ومن هنا ظهرت لدينا العديد من المؤلفات الجغرافية، مثل ما ألفه العلامة الجغرافي عبيد الله بن أحمد بن خردازبة (ت٢٣٢هـ/٨٨٥م)، في كتابه"المسالك والممالك"، وكذلك الرحالة الكبير محمد بن أحمد المقدسي، والذي حج

(١) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص ١٥٦ . ١٧٨.

(٢) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص٢٣٢؛ أدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص١٠٩.

ثلاث حجات خلال الأعوام (٣٥٦هـ/٩٦٧م)، (٣٦٧هـ/٩٧٧م)، (٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، فقد أكسبته هذه الرحلات إلى مكة حصيلة علمية واسعة أهلته لتأليف كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"(١).

ولقد زخرت كتب التراجم بالكثير من العلماء الوافدين على مكة والمدينة، وقلما نجد من لم تكن له رحلة إليهما، حيث إن قيمة العالم ومكانته تكمن في كثرة ما له من رحلات ومشايخ تلقى عنهم شتى العلوم والمعارف.

وقد حرص حجاج المغرب والمشرق على نقل ما تلقوه من علم على أيدي علماء الحرمين الشريفين، ودونوا ذلك في مخطوطاتهم، ونشروه بين طلابهم، كما قام بعضهم بشراء العديد من المؤلفات في موضوعات مختلفة، خاصة ما يتعلق بتاريخ مكة مثل كتاب "أخبار مكة" للمؤرخ محمد بن عبد الله الأزرقي(٢).

وقد تكون الظروف السياسية عائقاً لقدوم بعض العلماء من الأقطار الإسلامية إلى مكة لأداء فريضة الحج، فينعكس هذا على النشاط العلمي بها إزاء ذلك، مثلما حدث في بعض السنوات، فعلى سبيل المثال في سنة (٣١٥هـ/٩٢٥م) لم يأتِ إلى مكة أحدٌ من العراق وخراسان بسبب الخوف من بطش القرامطة(٣).

---

(١) عبد الله محمود حسين: الدور الثقافي في الركب الحج، (مجلة الحجة، سنة ٤٩، شعبان، ١٤١٦هـ)، ص ٣٣.

(٢) بندر الهمزاني: علاقات مكة المكرمة الخارجية، ص ٣٢٧.

(٣) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص ٣٧٣؛ ابن رشيد، أبو عبد الله محمد بن عمر: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة، (تحقيق: محمد ⇦

ومما سبق يتضح لنا أن مكة كانت خلال القرون الهجرية الأولى مقصداً للعلماء وطلاب العلم على حد سواء، فإليها يفد العالم والمتعلم ، وستظل موطناً للعلم والعلماء، يُرحل إليها من جميع أصقاع الأرض لتلقي العلم الشرعي من منابعه على أيدي علمائها الأجلاء، في المسجد الحرام لكونه جامعة علمية عظيمة، زخرت بشتى العلوم والمعارف، ليعودوا إلى بلادهم بعد انقضاء موسم الحج محملين بالعلم الشرعي الصحيح، ويقوموا ببثه في مواطنهم.



الحبيب ابن الخوجه، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٢٦٢.

الجوار والمجاورون

كان الناس ومنهم العلماء يفدون إلى مكة المكرمة من جميع الأقاليم الإسلامية ليلبوا دعوة الله ويؤدون الفريضة التي أمرهم بأدائها، استجابة لقوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[(١)].

لذلك أصبح موسم الحج فرصة ثمينة للقاء العلماء والفقهاء من كافة الأقطار الإسلامية، يتلقى بعضهم عن بعض كثيراً من العلوم المتنوعة، كالتفسير والحديث والفقه وغيره، ثم يعود أكثر هؤلاء العلماء إلى بلادهم وهم يحملون علوم ومعارف كثيرة، إضافة إلى ما طاب لهم حمله من كتب العلم التي لا تقدر بثمن، فقد عدت لديهم أغلى من الكنوز وأندر من الجواهر لقيمتها العلمية.

وهناك من العلماء من فضل البقاء بمكة، بعد أن طاب له الجوار بالقرب من بيت الله الحرام[(٢)] ، فنشأ ما يعرف في التاريخ الإسلامي باسم "المجاورة".

فالجوار كلمة مأخوذة من: جار مجاورة جواراً[(٣)]، والجار هو الذي يجاورك[(٤)]، وأيضاً تطلق المجاورة على الاعتكاف في المسجد، أما

(١) سورة الحج، الآية: ٢٢. ٢٧.

(٢) علي حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص٢٢٣؛ الهمزاني: علاقات مكة المكرمة، ص ٣١٣.

(٣) الفيرزوآبادي مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، (المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٥هـ)، ج١، ص ٣٩٤.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، (دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج ٤، ص ٦٥٣.

المجاورة في مكة فيقصد بها المقام والسكنى غير الملتزمة بشرط الاعتكاف الشرعي(١)، وبذلك يبقى المجاور في مكة بجوار الحرم الشريف، بقدر ما يشاء، ويستطيع ممارسة حياته اليومية دون قيد وتنتهي مجاورته بخروجه من مكة أو بوفاته(٢).

ولقد عرفت "المجاورة" بهذا المصطلح منذ العهد الإسلامي الأول، حيث كان المسلمون يجاورن في مكة رغبة في التفرغ للعبادة والاعتكاف(٣)؛ وقد ذكر ربنا هذا في القرآن، قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(٤).

فلمكة مكانة في نفوس المسلمين، كونها مهبط الوحي، وقبلة المسلمين، ومقصد حجهم، وقد خصها الله سبحانه وتعالى بآيات كريمة وردت في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(٦).

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص ٣٣.

(٢) منى حسن المشاري: المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي "٦٤٨ . ٩٩٢هـ/١٢٥٠ . ١٥١٧م"، (رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص ٣٣.

(٣) الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٣٧ . ١٣٩.

(٤) سورة البقرة، آية ١٢٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

(٦) سورة آل عمران، آية: ٩٧.

وقد ورد في السنة الكثير عن فضل مكة والإقامة فيها، فمن أقوال رسول الله ﷺ: "والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي ولولا أني أخرجت منك ما خرجت"[١]، ولمحبة الناس لمكة فقد طابت نفوس الكثير من علماء السلف المجاورة في الحرمين الشريفين، وأصبحت نفوسهم آمنة مستقرة، فرحين بما نالوه من شرف المجاورة وفضلها، ناهيك عن الرغبة الشديدة لدى الكثير منهم بأن يكملوا ما تبقى لهم من أعمارهم بجوار الحرمين الشريفين، داعين الله سبحانه وتعالى أن يحقق لهم ذلك، ولقد عبر أحدهم عن ذلك بقوله[٢]:

بمكة قد طابت مجاورتي فيا إلهي فاجعلها مدى العمر سرمدا
فأنت الذي أحللتني ساحة الهوى وعودت قلبي عادة فتعودا.

ويقول أخر[٣]:

مجاورتي بمكة نلت فيها أجل مناي من أقصى مرام
وما ظفر الفتى في الدهر يوماً بأطيب من مجاورة الكرام.

وقد اختلف العلماء في استحباب المجاورة بمكة، فذهب الشافعي وأبو يوسف ومحمد بن الحنفية وابن القاسم[٤] من المالكية

---

(١) الترمذي: محمد بن عيسى، الجامع الصحيح "سنن الترمذي" ، (تحقيق إبراهيم عطوه، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م)، باب فضل مكة، ج ٥، ص ٧٢٢؛ ابن ظهيرة، محمد بن محمد المخزومي: الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، (تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ١٤١.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص ٢١٧؛ شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٩٤.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام، ج٢، ص ٢٩٤.

(٤) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد المصري، ويعرف بابن القاسم، فقيه، جمع بين الزهد والعلم، توفي بمصر عام (١٩١هـ/٨٠٦م)، جمع "مدونة" ابن مالك في ١٦ جزءاً، وهي أجل كتب المالكية، رواها عن الإمام مالك. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ⇦

وجمع من العلماء إلى استحبابها، وذهب أبو حنيفة وابن رشد(١) من المالكية إلى كراهتها خوفاً من التقصير وقلة المهابة(٢).

ورغم ذلك الاختلاف بين الفقهاء في حكم المجاورة بين مؤيد ومعارض إلا أن الرغبة عند المسلمين كانت قوية في المجاورة؛ لأنها كانت سبيلاً لمضاعفة الحسنات، وكان يعدها المجاور قربة إلى الله ﷻ(٣).

ولقد تراوحت مدة المجاورة بين الطويلة والقصيرة، فكان أقصرها لا يتعدى موسم الحج في الغالب(٤)، وقد يزيد على ذلك قليلاً، وذلك تبعاً

٢٧٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص ٩٧.

(١) هو محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المالكي، فقيه، أصولي، قاضي الجماعة بقرطبة، من أعيان المالكية، وهو جد ابن رشد الفيلسوف، توفي بقرطبة عام (٥٢٠هـ/١١٢٦م)، كتب "المدونة"، و"مختصر مشكل الآثار". عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، (دار إحياء التراث العربي، بيروت)، ج٨، ص ٢٢٨؛ حسين سيد عبد الله مراد: المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين"٥٦٧ . ٦٤٨هـ/ ١١٧١ . ١٢٥٠م"، (بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٣٨، ١٩٩١ . ١٩٩٥م)، ص ١٠٧.

(٢) الفاسي: الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، (تحقيق: علي عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ٥؛ النهرواني، محمد بن أحمد بن محمد: كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، (تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، إشراف: سعيد عبد الفتاح، المكتبة التجارية، مكة المكرمة)، ص ٥١ – ٥٣؛ عبد الغني حمادة: تاريخ مكة المكرمة، (المطبعة السورية، حلب، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م)، ص ١٩.

(٣) أميرة مداح: دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة المكرمة خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، (ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، جامعة أم القرى)، ج١، ص ٢٧٧.

(٤) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (مكتبة الحياة، بيروت)، ج٢، ص ١٢١.

لراحة المجاور، والظروف المحيطة به، فقد يصل الحاج إلى بيت الله الحرام في شهر شعبان أو رمضان، وقد يغادر في محرم أو صفر، ومتوسط المجاورة قد يتجاوز السنة أو السنتين، وكان القصد منها العبادة فضلاً عن ملاقاة العلماء وطلب العلم، فمكة كانت ولا تزال تمثل ملتقًى علمياً للعلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وهذا ما جعل الكثير من طلاب العلم يفضل المجاورة في الحرم المكي الشريف للنهل من معين أولئك العلماء، وقد تطيب لبعضهم الإقامة فيلزم نفسه بالأخذ عن أكبر عدد من الشيوخ ليرجع إلى بلده وهو في مكانة علمية مرموقة(١).

وأحياناً كثيرة تمتد فترة المجاورة لسنوات عديدة، قد تصل إلى عشرات السنين، فهذا أبو بكر الآجري محمد بن الحسين بن عبد الله (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)، أقام بمكة ثلاثين سنة، حدث فيها ودَّرس(٢).

وقد تولى الكثير من المجاورين مناصب إدارية وتعليمية بمكة، فقد تولى بعضهم مناصب بالحرم الشريف من إمامة أو خطابة أو أذان

---

(١) أميرة مداح: دور المجاورين، ص ٢٧٧.

(٢) كان أبو بكر الآجري، من أهل بغداد، انتقل إلى مكة وأصبح من مجاوريها، قيل أنه لما وصل مكة استحسنها واستطابها، فدعا الله أن يرزقه المجاورة بها، اعتنى بعلم الحديث والفقه، له الكثير من التصانيف المفيدة في علم الحديث والفقه. ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج ١٤، ص ٢٠٨؛ الإسنوي، عبد الرحيم جمال الدين: طبقات الشافعية،(تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج١، ص٥٠؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص ٢٣٩؛ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق: الفهرست، (ترجمة: إبراهيم رمضان، ط١، دار المعرفة، بيروت،١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص٢٦٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب،ج٣، ص ٢٨.

أو التفرغ للتدريس والإفتاء[1]، فعلى سبيل المثال تولى مشيخة الحرم محمد بن يحيى العدني (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م) ، والذي قدم من اليمن للمجاورة في مكة، فكان شيخ الحرم في زمانه، وبرع في مجال التدريس، سئل الإمام أحمد بن حنبل عمن نكتب؟ فقال: أما بمكة فابن أبي عمر (محمد العدني)[2].

كما تولى مشيخة الحرم المكي الشريف العالم الفقيه المشهور محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، فقد نزل مكة وجاور بحرمها، وعرف بشيخ الحرم، وكانت له مصنفات معتبرة في الكثير من العلوم الشرعية[3].

لقد تمثلت فكرة الإقامة بمكة ومجاورة الحرم المكي بالنسبة لفئة من العلماء وطلاب العلم للتفرغ للعبادة، ونيل فضلها الذي لا نظير له، وتحصيل العلم ممن بها من العلماء وممن وفد إليها، والتمكن من لقاء كبار علماء مكة وغيرهم من العلماء المجاورين للبلد الحرام، والذين هجروا أوطانهم وآثروا الإقامة في مكة، فجلسوا لتلقي العلم، وأقاموا حلقات الدرس، وعقدوا المناظرات العلمية، ولقد تنوعت أسباب ودوافع

---

(١) العرب سالم الشرف: مكة والمجارون الأندلسيون من العلماء والفقهاء والقراء عبر التاريخ، (بحث في ندوة الحج الكبرى عام ١٣٢٣هـ)، ص ٢٤٥.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص ٣٨٧ . ٣٨٨؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص ٢١٨؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢، ص ٣٥٤.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية (ط٢، مطبعة هجر، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ج٣، ص ١٠٢ . ١٠٣؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص ٧٨٢؛ الداودي، محمد بن علي بن أحمد: طبقات المفسرين، (تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ج٢، ص ٥٠ . ٥١؛ الإسنوي: طبقات الشافعية، ج٢، ص ١٩٧.

مجاورتهم بمكة(١)، وفيما يلي بيان ذلك:

١ ـ الدافع الديني:

وهو القدوم إلى مكة لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام، "فريضة الحج"، التي فرضها الله سبحانه وتعالى على من استطاع إليه سبيلاً، أو لأداء العمرة خاصة في شهر رمضان، والتي جاء فيها عن رسول الله ﷺ: "عمرة في رمضان تعدل حجة"(٢)، وقد يطيب لبعض العلماء بعد أداء المناسك المجاورة قرب الحرم الشريف، منصرفاً للعبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى(٣).

٢ ـ الدافع الأمني:

امتازت هذه المدينة المقدسة وحدود الحرم بالأمن والأمان، وليس لأحد الحق في تدنيس المكان بالظلم والجور، فكل من يلجأ إليها فهو في أمان الله وأمنه، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٥)، ففي مكة يتساوى الناس، لا فرق بين سكانها الأصليين والمجاورين بها، الكل

---

(١) إبراهيم القادري بوتشيش: العلماء المجاورين بمكة نموذج للملتقيات العلمية بمكة عاصمة الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط، (بحث ألقي بندوة الحج الكبرى عام ١٤٢٣هـ)، ص٣٦٠.

(٢) ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، (٤٥) باب العمرة في رمضان، ج٤، ص ٢٠٣، ح (٢٩٩١).

(٣) البيطار، عبد الرزاق: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، (حققه: محمد البيطار، دار صادر، بيروت)، ج١، ص ٥٥.

(٤) سورة التين: آية ٣.

(٥) سورة الحج: آية ٢٥.

يشملهم الأمن على حياته وماله وعرضه، ونتيجة لهذه المنة من المولى سبحانه وتعالى هرع الكثير من العلماء من مختلف أقطار العالم الإسلامي للمجاورة بمكة هروباً من حالة عدم الأمن والظلم والجور التي كانت تسود بلادهم(١).

٣ . الدافع السياسي:

كثيراً ما كان يلجأ العلماء إلى مكة والمجاورة بها، هرباً من الاضطرابات السياسية التي كانت تعم بلادهم، والتي كانت تعكر عليهم صفو التفرغ للعلم وممارسة حقهم في التعليم، فيلجأ العالم منهم إلى مكة هرباً من الفتن والقلاقل ناشداً للاستقرار السياسي، والهدوء والسكينة في رحاب المسجد الحرام، وبالتالي يستطيع أن يؤدي رسالته العلمية، فيتفرغ للتدريس وإلقاء المحاضرات العلمية في المسجد الحرام، أو التصنيف والتأليف، أو ربما يفد العالم إلى مكة ويستقر بها بناءاً على تكليف من الدولة، وذلك ليتولى منصباً إدارياً من قبل الدولة التي يتبعها الحجاز ثم يختار البقاء بمكة بعد انتهاء فترة تكليفه، ويستقر بها حتى وفاته(٢).

٤ . الدافع الاقتصادي:

لقد أنعم الله على مكة بكونها سوقاً تجارية رائجة طوال العام، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾(٣)، وفي موسم

---

(١) محمد أديب غالب: من أخبار الحجاز ونجد من تاريخ الجبراتي، (دار تهامة للنشر والترجمة، الرياض، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ١٦٤.

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام: علماء نجد خلال ثمانية قرون، (ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٨٩٨هـ)، ج٢، ص ١٢٢.

(٣) سورة قريش، آية: ٢.

الحج تنشط الحركة التجارية أكثر، فتنتعش أسواق مكة وتمتلئ بكافة البضائع والسلع، التي يجلبها معهم الحجاج ليبيعوها في مكة، مستفيدين من هذا الموسم العظيم، ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾[(١)]، فتتاح فرصة الكسب والربح في هذا الموسم لكل تاجر، مهما كان حجم تجارته ونوعها.

كما أن مكانة مكة الدينية، دفعت الكثير من الحكومات المتعاقبة عليها إلى إرسال الإعانات إليها، لتصرف على المنقطعين من طلاب العلم والعلماء، وعلى إقامة الأربطة[(٢)] لإقامتهم فيها والصرف عليهم، مما شجع العلماء وطلاب العلم على الإقامة بمكة والبقاء بجوار الحرم المكي الشريف، ليكون لهم نصيب مما يرسله خلفاء وأمراء وتجار الدول الإسلامية إلى مكة من نفقات وصدقات وهبات[(٣)]، حيث وجد عدد من العلماء المنقطعين سكناً مريحاً في الأربطة الموقوفة على المجاورين للحرم المكي الشريف[(٤)]، فيطيب لهم المقام بالبيت العتيق والعيش به، ويختار الإقامة الدائمة.

وممن كانت له الأيادي البيضاء في الإنفاق على مجاوري مكة جميلة بنت الملك ناصر الدولة بن حمدان، فحين حجت عام (٣٦٤هـ/٩٧٦م)، نثرت على الكعبة المشرفة لما دخلتها عشرة آلاف دينار، بل قيل: إنها أغنت الفقراء في الحرمين الشريفين، وشملت بصدقاتها كثيراً ممن كانوا يأتون من أقطار العالم الإسلامي، وخصوصا

(١) سورة الحج، الآية: ٢٨.

(٢) سوف يأتي الحديث عن الأربطة في الفصل الرابع من هذه الدراسة .

(٣) السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٢٢. ٢٢٣.

(٤) خيرية آل سنة: الحياة العلمية في مكة، ص ٤٦ . ٤٧.

أولئك الذين فضلوا الجوار في الحرمين[1]، وكذلك الوزير ابن الفرات (ت٣٠١ هـ/ ٩١٣ م)، حيث عرف بحبه العظيم لأهل العلم والعلماء، وكان كثير الإحسان إلى أهل الحرمين[2].

٥ . الدافع العلمي:

لم يحظ مكان في العالم الإسلامي بتجمع المسلمين كما حظيت به مكة، خاصة في موسم الحج والعمرة، والتي تعد ملتقى المسلمين جميعاً على مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية[3].

وقد حرص المسلمون على المجاورة ببلاد الحرمين الشريفين، لتوفر الجو العلمي بهما، ففي مكة يلتقي المسلمون من مختلف الشعوب والأجناس والبلدان الإسلامية، فتغدو مقصداً لطلاب العلم والمعرفة، يلتقون فيها بالعلماء المشاهير، ويحضرون حلقاتهم العلمية، ويأخذون منهم العلم الشرعي، كما تدار في مكة المناقشات العلمية، وتتبادل الآراء والأحاجي، وبالتالي تعم الفائدة وتنتشر العلوم، وتبرز المعارف، وتنشط الحركة العلمية، فلقد كان للمجاورين دور بارز في تنشيط الحركة العلمية بمكة، مما جعلها – فترة البحث– واحدة من البلدان الإسلامية التي تشد لها الرحال لطلب العلم، وتلقيه من مشايخه[4].

---

(١) الذهبي: العبر في خبر من غبر، (تحقيق: فؤاد السيد، التراث العربي، الكويت، ١٩٦١م) ، ج٢، ص ٣٤٠ ؛ الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٠٣.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٢، ص ٢٣٣. ٢٣٨.

(٣) إبراهيم فوزان الفوزان: إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، (مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٩هـ)، ص ٢٦٨.

(٤) خيرية آل سنة: الحياة العلمية في مكة، ص ٤٦ . ٤٧.

هذا وقد جاور عدد كبير من العلماء الذين كان لهم دور فاعل في إثراء الحياة العلمية بين أفراد المجتمع المكي نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦ هـ/ ٨٧٠ م)، الحافظ العلم، حج مع أمه وأخيه، فأقام بمكة مجاوراً يطلب العلم، وصنف العديد من المصنفات مثل: "صحيح البخاري"، والذي يعول عليه في أقطار الإسلام(١)، وكذلك إبراهيم بن محمد بن أحمد النيسابوري (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) الذي كان يرجع إليه الكثير من طلاب العلم في العديد من فنون العلوم مثل علمي التاريخ والحديث وغيرها، فيُذكر أنه غاب عن بلده أكثر من عشرين عاماً، يطلب العلم أثناء ذلك، ثم انصرف إلى وطنه، ثم خرج إلى مكة، وجاور بها سنين، ولزم العبادة، وكان يعظ ويذكر أثناء مجاورته في الحرم المكي إلى أن توفي بمكة(٢).

وقد تفاعل هؤلاء العلماء المجاورون مع علماء الحرمين الشريفين تفاعلاً كبيراً ومؤثراً، ظهرت آثاره على الطرفين؛ إذ سمعوا الحديث والعلوم، وأجاز بعضهم بعضا، فاستزادوا بذلك علماً وفضلاً، ومنهم أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي (ت٣٤٠ هـ/٩٥١م)، فقد أجاز

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص ٧؛ الذهبي: العبر، ج٢، ص ٣٤٣؛ الداودي، محمد بن علي بن أحمد: طبقات المفسرين، (تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ج٢، ص ١٠١.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص ٢٣٨.

لابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ /٩٩٥م)[١]، كما قام الإمام إسحاق ابن إبراهيم بن محمد النيسابوري (ت٣٠٨ هـ/٩٢٠م) بمنح الإجازات لطلاب العلم أثناء مجاورته وفي موسم الحج في الحرمين الشريفين[٢].

وقد اعتبر المسجد الحرام من أهم المؤسسات التي ظهر فيها نشاط المجاورين العلمي، وهذا ليس بجديد على المسجد الحرام، إذ يعد أكبر الجامعات العلمية في العالم الإسلامي، والذي كان له دور كبير في نشر العلم والمعرفة، لذا نشط المجاورون في إقامة العديد من الحلقات العلمية في أروقته، والتي تركزت بالدرجة الأولى على العلوم الدينية[٣]، ثم السيرة النبوية، واللغة العربية، فعلى سبيل المثال حين جاور بمكة العالم الخراساني سعيد بن منصور بن شعبة نزيل مكة (ت٢٢٧هـ/٨٤١م)، جلس للتدريس، فاشتهر بعقد الحلقات والمجالس العلمية بالمسجد الحرام، جمع علوم شتى وصنف فيها مصنفات مفيدة[٤]، قال عنه أحد تلاميذه: "أملى علينا نحواً من عشرة ألاف حديث من حفظه"[٥].

---

(١) القيرواني، أبو محمد عبد الله: الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، (تحقيق: محمد أبو الأجفان، وعثمان بطيخ، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م)، ص ٢٣.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ٣١١. ٣١٢.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص ٥٥؛ ابن العماد : شذرات الذهب،ج٤، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٤) البلوي، خالد بن عيسى: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، (تحقيق: الحسن السائح، مطبعة فضالة، الرباط)، ج١، ص ٣١٣.

(٥) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص ٥٨٧؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص ٤١٦؛ المزي: تهذيب الكمال، ج١١، ص٨١.

كما كان لسعيد بن سالم القداح، حلقة حافلة بالنبهاء من الطلبة في المسجد الحرام، يقرأ بها دروساً في الفقه والحديث[١]، كما قام بعض المجاورين بتعليم الأطفال كتاب الله وتحفيظهم إياه بالمسجد الحرام.

وقد تفرغ الكثير من العلماء المجاورين للتصنيف والتأليف مستغلين الجو الروحاني بمكة الممتلئ بالسكينة والهدوء، فظهرت مؤلفاتهم في علوم مختلفة، فعلى سبيل المثال كان لأبي القاسم الزجاجي(ت٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)[٢]، والذي كان عالماً باللغة إلى جانب الحديث والفقه، مصنفات عدة منها كتابه "الجمل" في النحو[٣]، وقد ألفه أثناء مجاورته بمكة، فكان كلما انتهى من تأليف باب من أبواب كتابه يطوف أسبوعاً، شكراً لله على إتمام الباب، كما كان يدعوا الله بالمغفرة وأن ينفع الله بكتابه وقراءاته، فانتفع بكتابه الكثير من العلماء وطلبة العلم في الحجاز وفي غيرها[٤]، كما استفاد أبو سعيد بن الأعرابي (ت٣٤١هـ/٩٥١م)، من مجاورته بمكة ، فعكف على تصنيف العديد من الكتب منها كتاب: "أخبار مكة"، وكتاب آخر في "طبقات

(١) يعد القداح أحد فقهاء مكة ومحدثيها، ويعود أصله إلى خراسان، وقيل من الكوفة، نزل مكة وجاور بها حتى وفاته في العقد الأخير من القرن الثاني الهجري. السمعاني: الأنساب، ج٤، ص ٤٥٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص ٣١٩. ٣٢٠؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج١، ص ٢٩٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٦، ص ٢٤٤؛ الأسنوي، جمال الدين عبد الرحمن: طبقات الشافعية، (تحقيق: عبد الله الجبوري، الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ج١، ص ٤٠٩.

(٣) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت)، ج٢، ص ٧٧.

(٤) الذهبي: العبر، ج٢، ص ٢٥٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٢، ص ٣٥٧.

النساك"[١]. كما أن محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري (ت ٣٦٠هـ/٩٧١م)، والذي جاور بمكة ثلاثين سنة، كانت له العديد من المؤلفات منها كتاب: "قصة الحجر الأسود وزمزم وبدء شأنهما" ، وكتاب: "الشريعة"، وغيرها كثير[٢].

ومن العلماء المشهورين الذين جاوروا بمكة طلباً للعلم ولقاء العلماء، أبو حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ/٧٦٧م)، فقد قدم من العراق وجاور بمكة طلباً للعلم ولقاء العلماء[٣].

ومما ينبغي الإشارة إليه أنه كان لعلاقات مكة المكرمة الخارجية أكبر الأثر في اجتذاب عدد كبير من المجاورين إليها من شتى بقاع الأرض، من العراق، والشام، والمغرب، والأندلس، والجزائر، واليمن، وبلاد ما وراء النهر[٤]، إضافة إلى قرب المسافة التي كانت تربط مكة بغيرها من البلدان الإسلامية[٥].

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٤، ص ٨٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص١٨٤؛ العبر، ج٢، ص ٥٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص ٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص ٩٧.

(٢) محمد حبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، (ط١، مؤسسة الفرقان، مكة، ١٩٩٤م)، ص ٢٩.

(٣) هو الإمام الفقيه المشهور أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، ولد سنة ٨٠هـ/٦٩٩م، روى عن كثير من التابعين كعطاء بن أبي رباح والشعبي وعمر بن دينار وغيرهم، اعتنى بالفقه واشتهر بالورع والتقوى، توفي ببغداد. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٣٩٠ . ٤٠٣.

(٤) ابن العماد: شذرت الذهب، ج٤، ص ٢٥٣؛ الإسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص ٢١٣. ٢١٤؛ابن الجوزي:المنتظم، ج٦، ص٣٩١. ٣٩٢؛ سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، (تحقيق: جنان جليل الحموندي، الدار الوطنية، بغداد،١٩٩٠م)، ص١١٤؛ الهمزاني:علاقات مكة المكرمة الخارجية، ص ٣١٤.

(٥) السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص ٢٢٨ . ٢٢٩.

والجدير بالذكر أنه لم يكن لطبقة المجاورين أثر واضح على الحياة العلمية في مكة فحسب؛ بل بدا هذا الأثر واضحاً على جميع جوانب الحياة فيها بصفة عامة.

فقد كان لهم دور في رؤية أهلة الشهور العربية ؛ لتحديد بدايات تلك الشهور وهذا ما ذكره ابن جبير قائلاً: "استهل هلاله – يعني شهر رجب – بشهادة خلق كثير من الحجاج المجاورين والأشراف لأهل مكة"(١).

وقد مارس المجاورون العديد من الأعمال وتقلدوا مختلف الوظائف في مكة ومن أهم المناصب التي تقلدوها منصب القضاء، وذلك نظراً لاتساع معارفهم وغزارة علومهم الشرعية، فساروا في القضاء سيرة حسنة بعفة ونزاهة، وممن تولى هذا المنصب: أحمد بن محمد الأعرابي (ت٣٤١ هـ/ ٩٥٢م)، وصل إلى مشيخة الحرم، وتولى القضاء به(٢)، وكذلك سليمان بن حرب الواشحي (ت٢٢٤هـ/ ٨٤٥م) ، قاضي مكة، الإمام، الثقة، الحافظ، البصري(٣).

كما تولى بعض العلماء إمامة بعض المساجد في مكة وخاصة المسجد الحرام، فكان على سبيل المثال عبد الله بن أبي مليكة "يقوم بالناس في شهر رمضان بمكة"(٤).

---

(١) ابن جبير: الرحلة، ص ٩٤.

(٢) العلمي، أبو عبد الرحمن: طبقات الصوفية، (تحقيق: نور الدين شريبة، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩م)، ص ٤٣١؛ طرفة بن عبد العزيز العبيكان: الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة ، (مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص١٤٥.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ؛ وكيع: أخبار القضاة، ج١، ص ٢٦٨.

(٤) ابن سعد: الطبقات ، ج٥، ص ٤٧٣.

وممن تولى الأذان بالمسجد الحرام أثناء مجاورته بمكة إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أبي محذورة[١]، وأيضاً أحمد بن محمد البزي مقرئ مكة ومؤذنها (ت٢٥٠ هـ/ ٨٥٥م)[٢].

وقد تولى عدد كبير منهم التدريس في المسجد الحرام وكان لهم دور رائد في بث العلم في مكة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: سعيد بن منصور الخراساني (ت٢٢٧ هـ/٨٤٢ م) اشتهر بإلقاء الدروس في المسجد الحرام، وعرف بشيخ الحرم، ألف وصنف كثير من الكتب، فكان أحد أئمة الحديث في عصره[٣].

كما قام المجاورون بالعديد من الأعمال المتعلقة بخدمة المسجد الحرام كإسراج المصابيح فيه والعناية بها[٤].

وقد أكسبت المجاورة أصحابها نضجاً علمياً نتيجة احتكاكهم بعلماء الحرمين، حيث انعكس ذلك ايجابياً عليهم عند عودتهم إلى بلدانهم، فنجد أن بعض المجاورين عندما يعود إلى بلده يحصل على

(١) ابن حبان ، محمد البستي: مشاهير علماء الأمصار، (بعناية : مجدي بن منصور الشوري، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ص ١٤٤؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص ٢٣١.

(٢) اليافعي، عبد الله بن أسعد المكي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، (ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج٢، ص ١٥٦.

(٣) الذهبي: السير، ج١٠، ص ٥٨٦ . ٥٩٠؛ المزي: تهذيب الكمال، ج١١، ص٨١.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص ١٩٢.

أكبر المناصب، وخير ما نستشهد به في هذا المقام الزبير بن بكار القرشي (ت ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩ م)، كان عالماً في الأنساب والأخبار وغير ذلك، قدم من الحجاز على الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢ م) فأكرمه الأمير وقال له: "إن أمير المؤمنين ذكرك، فاختارك لتأديب ولده، وأمر لك بعشر آلاف درهم، وعشرة تخوت من الثياب، وعشرة أبغل تحمل عليها رحلك ... فشكره على ذلك وقبله"[(١)]، وهذا إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير (ت١٨٠هـ/ ٧٩٦م) من أهل المدينة، ومن كبار العلماء في القرآن والحديث وغيره، قدم بغداد وأدب بها "علي بن المهدي"[(٢)].

وهكذا نستطيع القول بأن هؤلاء المجاورين قد استفادوا من مجاوراتهم لبيت الله الحرام استفادة عظيمة سواء كانت مادية أو معنوية، إضافة إلى أثرهم الواضح والملموس على المجتمع المكي، فكما استفادوا وأفادوا أهل مكة وطلاب العلم، وقد تركوا بصمات واضحة على المجتمع المكي، ولا نغالي إذا قلنا أن هؤلاء المجاورين كانوا بمثابة الحجر الذي حرك مياه العلوم، حيث أنعشوا الحياة العلمية في مكة، كما

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٨، ص ٤٧٠.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١، ص ١٧٨.

كان لهم دور كبير في تحسين أحوال مكة الاجتماعية والعلمية والثقافية[١].



---

(١) الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٥٠. ١٥١.

۞ المسجد الحرام

يعتبر المسجد من أهم الركائز الأساسية لنشر العلم؛ بل المسجد هو نواة التعليم الأولى، إذ مما لاشك فيه أن النشاط التعليمي من أهم وظائف المسجد بعد الشعائر التعبدية مثل الصلاة، فقد اعتبر المسجد النبوي الأول بالمدينة داراً للحكومة تتخذ فيه أصعب القرارات وأهمها، وتقرر فيه الغزوات وتعقد فيه الدروس العلمية، وهكذا كان المسجد في كل بلاد الإسلام، فمن المسجد خرجت الجيوش الإسلامية محققة أكبر الانتصارات في مشارق الأرض ومغاربها، ومنه تخرج العديد من العلماء والفقهاء والقراء، والمسجد بيت الأتقياء ومكان اجتماع المسلمين والمنتدى الذي يتعارفون فيه.

وانطلاقاً من هذه الشمولية، أصبح المسجد مؤسسة اجتماعية جمعت المسلمين على الحب والإخاء والإيثار والتعاون، إضافة إلى دوره المؤثر في بناء الأمة الإسلامية والسير بها نحو خطى التقدم والرقى، وتطورها دينياً وفكرياً على مر العصور والأزمان، بل أصبح المسجد عقل المجتمع المفكر، وقلبه النابض، والإدارة القوية التي دفعته نحو التقدم والتطور(١).

(١) العز بن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر: بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: عبد الرحمن أبو الخيور "من ٩١٠ هـ – ٩٢٢ هـ"، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى،١٤٢٢هـ)، ج٣، ص٧٧؛ عبد الله قاسم الوشلي: المسجد ونشاطه الاجتماعي، ص ٤٨؛ بندر الهمزاني: أثر السلاطين والأمراء، ص ٤١٢.

لذا كان اهتمام الرسول ﷺ بالمسجد في الدرجة الأولى، وقد قام النبي ﷺ بمهمة تعليم الجاهل وإفتاء السائل وتوضيح أحكام الشريعة للناس كافة، فكان أسوة لمن بعده، وحمل الصحابة والتابعين من بعده هذه المهمة، وساروا على نهجه في إقامة حلقات العلم؛ بل أصبحوا يتنافسون على حضورها ويوصي بعضهم بعضاً بها، ولا غرابة أن تكون تلك الحلقات أكبر عون للحركة العلمية والارتقاء بكل ما يستجد من علوم ومعارف شتى(١).

وخير ما يمثل لذلك ما أوردته كتب السنة النبوية من أحاديث كثيرة تؤكد على أهمية حلقات العلم وفضلها. منها ما أورده البخاري ومسلم بسندهما عن أبى واقد الليثى ﷺ قال: "أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، إذا أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما احدهما: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الأخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: "ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟، أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه"(٢).

---

(١) الوشلي: المسجد ونشاطه الاجتماعي، ص٤٨ -٤٩؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٢٧؛ بندر الهمزاني: أثر السلاطين والأمراء، ص٤١٣.

(٢) البخاري : الجامع الصحيح، "كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ج١، ص ٢٤ ح(٦٦)؛ ومسلم : الجامع الصحيح المسمى"صحيح مسلم"، (دار الجيل ، بيروت)، باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها، ج٧، ص ٩، ح (٥٨١٠).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما–: "أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون ويعلمونه، فقال ﷺ: كلا المجلسين خير، واحدهما أفضل من الأخر، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلماً، ثم أقبل فجلس معهم"(١).

وعن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال: "أتيت الرسول ﷺ وهو في المسجد متكئاً على برد أحمر، فقلت له: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم، فقال: مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء من حبهم لما يطلب، مما جئت تطلب؟ قال قلت: يا رسول الله لا أزال أسافر بين مكة والمدينة، فأفتني عن المسح على الخفين"(٢).

---

(١) البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق : مسند البزار"البحر الزخار"، (تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٩م)، ج ٦ ، ص ٤٢٨ ، ح (٢٤٥٨)؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف: جامع بيان العلم وفضله، (تحقيق: أبى الأشبال الزهيري، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ج١، ص٢٢٣. وقد ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج١، ص ٦٧.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج ١، ص١٥٥ ؛ المنذري، عبد العظيم بن القوي: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، (تصحيح: مصطفي محمد عمارة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م)، ج١، ص ٥٩؛ رواه الطبراني في المعجم الكبير، ج٧، ص ٤٩؛ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (مكتبة المعارف، الرياض)، ج١، ص١٧، ح (٧١).

وهناك الكثير من الأحاديث التي ذكرتها السنة النبوية في فضل العلم وتعظيم درجة المتعلم عمن سواه، وخير ما نستشهد به في هذا المقام قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾(٢). وكان الرسول ﷺ معلماً في هذه الحلقات، فأصبح المسجد منارة تنشر الهدى والحق بين الناس، ونبراساً أضاء للكثير منهم طريق العلم والإيمان.

وبذلك اعتبر المسجد المدرسة الأولى في الإسلام، فقد فتحت العديد من المساجد أبوابها للدرس والتعليم، ومدّ العديد من المعلمين والقراء أيديهم لطلاب العلم لانتشالهم من برك الجهل والضلال إلى جنان العلم والمعرفة، خاصة إذا علمنا أن عامة الناس من الذين يرغبون في تعليم أبنائهم كانوا يعملون جاهدين على إرسالهم إلى المساجد حيث حلقات العلم التي تدرس القرآن تلاوة وحفظاً إضافة إلى علم الحديث، بجانب تعليم القراءة والكتابة، وشيء من الحساب، وبذلك يعتبر القراء من أقدم المعلمين في الإسلام(٣).

وعندما فتحت مكة وطهر البيت العتيق من الأوثان، أصبح المسجد الحرام مركز ومؤسسة تعليمية يشع منها نوراً يضئ الكون المظلم مبدداً عتمته بنور العلم والهداية. ونتيجة لذلك استعاد المسجد

---

(١) سورة المجادلة: آية١١.

(٢) سورة الزمر: آية٩.

(٣) منيرة بنت عبد الملك بن دهيش: دور المسجد في القرن الأول الهجري في الشام، (ط١، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)، ص١٦٢.

الحرام نشاطه الشامل لمختلف جوانب الحياة للمجتمع المكي الجديد، وكان له دوره المؤثر في صبغ المجتمع المكي بصبغة الإسلام وطبعه بأخلاق الإسلام الدينية والاجتماعية بل والسياسية والاقتصادية[١].

وأصبح المسجد الحرام بالنسبة لغيره من المساجد الأخرى بمثابة القلب النابض من الجسد، حيث امتلأ برجال العلم، وانتشرت في أروقته الحلقات العلمية المختلفة، فالمسجد الحرام له من المؤهلات الروحية والمادية ما يجعله يؤثر في حياة الأمة الإسلامية كلها، باعتباره جامعة علمية ضخمة عملت على نشر مختلف العلوم الإسلامية، وتخرج منها كبار العلماء والفقهاء. وكانت ترد إلى مشاهير الحرم المكي أسئلة من المدن والأقطار المجاورة، وكانوا يتولون الرد عليهم.

وعندما عين الرسول ﷺ بعد الفتح صاحبيه معاذَ بن جبل[٢]، وأبا موسى الأشعري[٣] ليقوما بتعليم الناس وتفقيههم أمور دينهم، فكانا أول مدرسين يحملان على عاتقهما مهمة التعليم في المسجد الحرام[٤].

---

(١) الوشلي: المسجد ونشاطه الاجتماعي، ص١٢٦ – ١٢٧.

(٢) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوسب الأنصاري الخرزجي، يكنى أبو عبد الرحمن، كان عمره حين اسلم ثماني عشرة سنة، شهد غزوة بدر وأحد مع الرسول ﷺ. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، (دار الفكر، بيروت)، ج٤، ص ٤١٨ – ٤١٩.

(٣) هو أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم بن حرب، ولد في زبيد باليمن عام ٢١ قبل الهجرة، قدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم، وهاجر إلى الحبشة، شهد خيبر، توفي في الكوفة سنة (٤٤هـ/٦٦٤ م). ابن حجر: الإصابة، ج٢، ص٣٥١ –٣٥٢.

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٤، ص ١١٣ ؛ ابن كثير: السيرة النبوية، (تحقيق: مصطفي عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٦م)، ج٣، ص ⇦

وقد أصبح المسجد الحرام صرحاً علمياً شامخاً لايستهان به، فقد ازدحم بعدد كبير من رجال الحديث والقراء، وضم العديد من كبار العلماء والفقهاء والمحدثين والأصوليين الذين قاموا بعقد الحلقات العلمية التي تدور فيها الدراسات الدينية والمناظرات والمحاضرات العلمية، التي كان لها أكبر الأثر في نشر شتى أنواع العلوم والمعارف(١)، وأصبح المسجد الحرام جامعة إسلامية متكاملة اعترف بذلك الموافق والمخالف، فقد ذكر ذلك المستشرق هورخورنيه، إذ يقول: "أن أقدم الجامعات في مدينة مكة المكرمة هو الحرم الشريف"(٢)، فقد صار الحرم جامعة علمية ضخمة بما تجمع فيه من العلوم والمعارف، فكان بحق منارة للعلم والتعليم، فقد وضع الرسول ﷺ اللبنات الأولى لنهضة علمية متكاملة لم يرَ التاريخ لها مثيلاً، حيث أقام حلقات العلم في المسجد وعلم أصحابه فيها، وشجع من يقيمها، وجلس إليهم فيها، ورغب في الحضور إليها، وحذر من التقصير فيها، ويدل ذلك دلالة واضحة على المكانة الكبرى لهذه الحلقات، وما لها من أهمية بالغة وضرورة ملحة للأمة والمجتمع(٣).

٦٩٧؛ ابن فهد: إتحاف الورى، ج١، ص٥٦٠؛ الوشلي: المسجد ونشاطه الاجتماعي، ص١٢٧ - ١٢٨.

(١) العز بن فهد: بلوغ القرى، ج٣، ص ٧٧١.

(٢) كرستيان سنوك هوخرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة ،(ترجمة: على عودة الشيوخ، صياغة وتعليق: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، وراجعه محمد إبراهيم علي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)،ج٢، ص ٤٩٠.

(٣) الوشلي: المسجد ونشاطه الاجتماعي، ص ٤٨.

وبذلك انتشر العلماء والمدرسون وطلاب العلم في أرجاء المسجد الحرام حيث كان يلقي كل عالم منهم درساً في العلم الذي تبحر فيه، فهذا يلقى درساً في التفسير وذلك يلقيه في الفقه، وآخر يلقى درسه في الحديث، والطلاب متحلقون حولهم، ويستمعون لما يلقيه المعلم أو الشيخ، ومنهم من يحفظ ومنهم من يقوم بتدوين ما يلقى عليه(١).

ومما لاشك فيه أن أهل مكة كانوا يستفيدون من تجمع العلماء في المسجد الحرام استفادة عظيمة لا تقدر بثمن(٢).

وهكذا أصبح المسجد الحرام يضم بين جنباته علماء أفذاذ من أصحاب الرسول ﷺ، أو ممن تفقهوا على أيديهم، كما تضم حلقات الدرس أعداداً كبيرة من الطلاب من أبناء مكة وعشائرها، أو ممن هاجروا إلى مكة وجاوروا بها، كان بعضهم ممن عصفت بهم الفتن، وهرعوا إلى مهبط الوحي بعيداً عن القلاقل والفتن، طلباً للعلم والمعرفة(٣).

كما اتسعت في المسجد الحرام حلقة علمية ضخمة، كان لها أكبر الأثر لجميع الدارسين في المسجد الحرام، ألا وهى حلقة الحبر البحر عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-، فقد أثرت في جميع طلبة العلم وهرع إليها الظامئون يطلبون من هذا المنهل العذب ليرووا عطشهم العلمى، قال عنه عمرو بن دينار: "ما رأيت مجلساً أجمع بكل خير من

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، (ط١، دار الفكر، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م)، ص٤١؛ الطاسان: التعليم في مكة، ص٢٤ – ٢٥.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ص٦٥؛ الوشلي: المسجد ونشاطه الاجتماعي، ص١٢٧– ١٢٨.

(٣) منيرة بن دهيش: دور المسجد في القرن الأول الهجري، ص١٥٦.

مجلس ابن عباس: الحلال والحرام، وتفسير القرآن، والأنساب"[١]، وقد تخرج على يد هذا الإمام عدد من العلماء، منهم: مجاهد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وسعد بن جبير، وسليمان بن يسار، وعبد الله بن الزبير، وعمرو بن بشار وغيرهم، ولقد كان لهذه الحركة العلمية التي وصل صداها إلى جميع بيوت مكة، بل إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية، ووصل نورها إلى كافة أقطار البلاد المفتوحة واستمرت هذه القاعدة العلمية والمركز الإسلامي يشع بنوره من المسجد الحرام، تنتقل معارفها من طبقة علمية إلى أخرى، ومن جيل إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى[٢].

والجدير بالذكر أن الحرم المكي قد اضطلع بدور فاعل ومهم في نشر العلم في المجتمع المكي خاصة والمجتمع الإسلامي عامة، كما وكان له دور هام في حفظ تراث العرب والمسلمين، كما كان لمكة دورها القيادي الفعال في حفظ تراث الأمة الإسلامية والدور الريادي في الدعوة الإسلامية، وانبثاق فجر الحق[٣]، حيث قال تعالى في محكم آياته: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص٧٠٣ – ٧٠٤.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ص١١٥-١١٦؛ الوشلي: المسجد ونشاطه الاجتماعي،ص ١٢٨.

(٣) فريال عبد المجيد الشريف: مكة المكرمة في كتب الرحالة المسلمين منذ القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، (رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص ١٥٠ – ١٥١ ؛ بندر الهمزاني: آثار السلاطين والأمراء، ص٤٢٣.

﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

وبذلك نصل إلى نقطة مهمة وجلية؛ ألا وهى مدى شهرة المسجد الحرام، وإشعاع شمسه، ووصول نور علمه إلى شتى الأقطار الإسلامية طوال العصور الإسلامية، بسبب ما كان يعقد من حلقات علمية بالمسجد الحرام ووجود العلماء الأفاضل فيها.

حلقات العلم في المسجد الحرام:

لاشك أن اللبنات الأولى التي وضع أساسها الرسول ﷺ للحركة التعليمية ومن جاء بعده من الخلفاء كان لها أكبر الأثر في النهوض بهذه الحركة العلمية المتكاملة بمكة فيما بعد، إضافة إلى تلك المكانة الروحية التي تمتعت بها مكة وميزتها عن غيرها من البلدان الإسلامية، وجعلت عدداً كبيراً من المسلمين يفدون إليها من أقطار العالم الإسلامي فهي أشبه بالبوتقة التي انصهرت فيها جهود العلماء، وامتزجت بها الأفكار والمعارف من مختلف الأقطار، فيتدارسون فيما بينهم، حيث حلقات العلم التي أصبحت تعج بطلاب العلم من شتى أصقاع البلاد، وكانت اسطوانات وسواري المسجد الحرام مستنداً لظهور العلماء والفقهاء والأدباء والمفسرين والمحدثين،وكان الطلاب يتحلقون حولهم، ويستفيدون من علمهم(٢).

---

(١) سورة آل عمران: الآيات٩٦ –٩٧.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة، ص١٢٧؛ بندر الهمزاني: أثر السلاطين والأمراء، ص ٤١٧.

وقد اعتاد أن يتخذ هؤلاء المدرسون مكاناً معيناً لإلقاء دروسهم، فمنهم من اعتاد عقد حلقته العلمية بجانب سواري المسجد الحرام ومنهم من عقدها بالقرب من الكعبة المشرفة، وربما عقدها عند الصفا، أو المروة، فعلى سبيل المثال كانت حلقة علم "عبد الله بن عباس" – رضي الله عنهما – في زاوية زمزم التي تلي الصفا على يسار من دخل زمزم، والتي هيئت بجانبها مجالس العلماء وتلاميذهم[١].

كما اعتاد محمد بن إبراهيم بن عبدوس (ت٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)[٢]، على عقد العديد من الحلقات العلمية في أماكن متعددة بالمسجد الحرام، والتي انتفع بها الكثير من طلبة العلم من أهل مكة والقادمين إليها.

وقد اعتبر المسجد الحرام جامعة علمية ضخمة، تضم العديد من حلقات العلم، التي تعتبر بمنزلة نظم التعليم العالمية في وقتنا الحاضر، ذات التخصصات المختلفة، فهناك حلقات مختصة في الحديث والفقه والقرآن الكريم وغيرها من العلوم الشرعية، فيذكر عطاء بن أبي رباح: "أن أصحاب القرآن في ناحية، وأصحاب الفقه في ناحية، وأصحاب الشعر في ناحية، وأصحاب الأنساب وأيام العرب في ناحية"[٣].

---

(١) عبد العزيز السنيدى: الحياة العلمية في مكة، ص٧٤.

(٢) كان إماماً في الفقه، صالحاً، ثقة، حسن التقييد، أحد أئمة مذهب الإمام مالك. انظر: القاضي عياض: تراجم أغلبية، (تحقيق: محمد الطالبي، المطبعة التونسية، ١٩٦٨ م)، ص١٩٠.

(٣) عبد العزيز الهلابي: الحركة العلمية بمكة في العصر الأموي، (الدارة، ربيع الأخر، جمادى الأول وجمادى الآخر، ١٤١٤ هـ)، ص٢٨.

هذا وقد تنوعت حلقات العلم في المسجد الحرام، فضم المسجد في جميع جوانبه وزواياه العديد من العلوم والدروس المتنوعة والنافعة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، دروس العلوم الدينية المتمثلة في إقراء القرآن الكريم[١]، والتي كان لها دور في إعطاء الطالب معرفة واسعة بعلم القراءات، كما يعطيه فرصة لتعلم القراءة والتجويد[٢].

ومن العلوم الدينية التي كانت تدرس أيضاً علم الحديث الشريف والتفسير والفقه[٣]، إضافة إلى تدريس بعض مواد اللغة العربية مثل النحو والبيان وغيرها من العلوم، وكان لكل حلقة من هذه الحلقات شيوخ مختصون في أيام معلومة ويحضرها طلبة العلم، فكانت الحلقة في المسجد الحرام بمثابة الكلية في وقتنا الحاضر، حيث تميز كل حلقة علم معين ومنهج معين، وهذا هو حال العديد من كلياتنا، حيث تتميز كل كلية عن الأخرى بنظام معين وخاص بها وفق منهج محدد، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف المسميات بين الوقت الحاضر والماضي.

كما حوى المسجد الحرام أماكن لتعليم صغار السن مبادئ القراءة والكتابة، وهى ما تُسمى"الكتاتيب" أو "المكاتب"، وهذا الأمر جعل تعليم الصبيان في المساجد بأعدادهم الكبيرة مصدر إزعاج للمصلين، وقد اتخذ بعض المؤدبين مكاناً معيناً لحلقته لتعليم الصبيان، فهذا عطاء بن أبي رباح (ت١١٤هـ/٧٣٢م) يمارس مهنة التعليم منذ مرحلة مبكرة، فقد

---

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص٢٨٦، ج ٥، ص١٩٨.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧، ص١٤٣.

(٣) الذهبي: السير، ج ٧، ٣٢٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص ٣٦٧.

بدأ حياته العلمية مُعلمَ كُتاب، وعندما بلغ من العلم شأواً انتقل من تعليم الصغار لتصدر حلقة في المسجد الحرام ليعلم ويفتي الناس(١).

كما حفل المسجد الحرام بالعديد من الحلقات العلمية التي تتميز عن غيرها في الإجابة على الأسئلة المطروحة من قبل العديد من الناس والخاصة بالفتيا، وتزداد تلك الحلقات في موسم الحج وفي رمضان، إذ يفد الوفود من الزوار إلى المسجد الحرام في هذه المواسم(٢). فكان عبد الله بن عباس من الصحابة الذين برزوا في الفتوى في المسجد الحرام، وكذلك سعيد بن المسيب يُسأل خلال أيام الحج فيفتى الناس في أحكام الحج ومناسكه(٣)، ولم تقتصر الفتوى في المسجد الحرام على فقهاء مكة والمدينة بل شملت علماء الأمصار الإسلامية، فعلى سبيل المثال كان العالم البصري: جابر بن زيد الأزدي، خلال تأديته لفريضة الحج يلتقي العلماء ويفتى الناس(٤).

(١) عبد الرحمن أحمد حفظ الدين المصنف: الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين، (رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ٣٧؛ عبد العزيز الهلابي: الحركة العلمية في العصر الأموي، ص٣١.

(٢)عبد العزيز محمد اللميلم: رسالة المسجد في الإسلام، (ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ١٦٦؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٢٩؛ عبد اللطيف بن دهيش: التعليم في الحرمين الشريفين عبر العصور، (سلسلة مداولات اللقاء العلمي السنوي الثالث لجمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون، مسقط، جامعة قابوس، محرم – صفر ٤٢٢هـ/ إبريل ٢٠٠١م)، ص ١٣٨.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٦٠؛ الفاكهي: أخبار مكة،ج٢، ص٧٠؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص٥٥.

(٤) الأصبهاني: حلية الأولياء، ج ٣، ص٨٩؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ١، ص٧٢.

وتنوعت الحلقات العلمية في المسجد الحرام كالتالي:

١. الحلقات الدائمة:

وهى ذلك النوع الذي يعرف باستمراره لدى الكثير من العلماء الذين اتخذوا من المسجد مكاناً محدداً يلقون فيه دروسهم، ويأخذ عنهم طلابهم، ويقوم المتميزون من الطلاب بالتدريس بعد وفاة شيخهم، عرفاناً بأهمية نشر علمه، فلذلك حرص الكثير من العلماء على إقامة الحلقات العلمية في مختلف العلوم داخل المسجد الحرام، لاستشعارهم بأهمية العلم في حياة المسلم وبعد مماته، مما جعل الحلقات العلمية في المسجد الحرام دائمة ومتواصلة، بحكم وجود العلماء والمتعلمين فيها باستمرار [١].

ووجد الكثير من العلماء المشهورين سواء كانوا من علماء مكة أو المجاورين بها من تنسب إليهم الحلقات العلمية الدائمة، منها حلقة عطاء بن أبي رباح (ت١١٤هـ/ ٧٣٢م)[٢]، وحلقة سعيد بن منصور الخراساني (ت٢٢٧هـ/٨٤١م) المعروف بـ "شيخ الحرم"[٣]، وكذلك حلقة محمد بن معاوية بن أعين النيسابوري[٤]، المتوفي بمكة عام (٢٢٩هـ/ ٨٤٣م)، وكذلك حلقة المقرئ إسحاق بن أحمد بن نافع الخزاعي المكي (ت ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م)[٥].

(١) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٨١- ٨٣.

(٢) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص١٨٠ – ٢٨١.

(٣) الذهبي: السير، ج ١، ص٥٨٦ – ٥٩٠.

(٤) المزي: تهذيب الكمال، ج ٢٦، ص٤٧٨ – ٤٨٠.

(٥) الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، (تحقيق : بشار معروف ورفاقه، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج١، ص١٨٤؛ السير، ج١٤، ص٢٨٩.

وكانت هذه الحلقات في المسجد الحرام من الحلقات الدائمة التي درس فيها الكثير من العلوم، وهكذا يتضح لنا أن المسجد الحرام يمثل مدرسة متكاملة، تدرس فيها الكثير من العلوم والمعارف من خلال الحلقات العلمية الدائمة، التي كان العلماء يعقدونها على الدوام، خلال فترة وجودهم فيها، مما جعل طلبة العلم من الراحلين أو غيرهم يقصدونها ويرابطون فيها لتلقى العلم.

ب: الحلقات الغير دائمة:

هي نوع من الحلقات العلمية التي ترتبط بعلماء وافدين اتخذوا من المسجد الحرام مكاناً محدداً لفترة زمنية، وقاموا خلال تلك المدة بعقد حلقاتهم العلمية، يشرحون فيها علومهم ومصنفاتهم المختلفة، ويتفق هذا النوع مع سابقه غير أن هذه الحلقات غير منتظمة، نظراً لعدم انتظامها، بل بحيث نشاط العالم، ثم تتوقف عقب عودة أولئك العلماء إلى بلادهم بعد الانتهاء من مهماتهم التي أتوا من أجلها[1]، وقد تتفاوت المدة من عالم إلى آخر بحسب مهمته، فعلى سبيل المثال: كان لعبد الله بن محمد بن العباس الفاكهي المكي (ت٣٥٣هـ/ ٩٦٤م) وهو ابن العالم الفاكهي أبي عبد الله محمد بن إسحاق صاحب كتاب"أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه"[2]، فكان لعبد الله الكثير من الحلقات والمجالس يرتادها الكثير من طلاب العلم ولكنها لم تكن ثابتة بل تقام أثناء أوقات الفراغ.

---

(١) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص٨٣.

(٢) الذهبي: السير، ج ١٠، ص٣٥٤.

جـ . الحلقات الطارئة أو الموسمية:

هي تلك الحلقات التي تعقد لفترة قصيرة، وبشكل مؤقت في المواسم مثل موسم الحج وشهر رمضان المبارك[1]، وقد كان لهذا النوع من الحلقات في مكة خاصة إسهام كبير وتأثير إيجابي فاعل في التعليم، وذلك نتيجة لارتياد المسلمين لمكة في كل عام من مختلف الأقطار الإسلامية لأداء فريضة الحج والعمرة بصفته سبباً رئيساً ثم يأتي سببٌ آخر وهو التعبد والتنسك في المسجد الحرام لمدة قصيرة لا تتجاوز بضعة أشهر، وقد لوحظ اجتهاد العلماء وكثرة اشتغالهم بالعلم فيها، بل إن مكة خاصة تشهد خلال هذه المواسم في هذه المدة القصيرة حركة علمية قوية أكثر من أي مدة زمنية أخرى على مدار العام الكامل، وذلك نتيجة لتواجد الكثير من علماء الإسلام بمكة خلال تلك المواسم المباركة، فقد كان لهم تأثير إيجابي على الحياة العلمية في مكة[2].

وممن اشتهروا بإقامتهم لهذا النوع من الحلقات العلمية الطارئة على سبيل المثال جابر بن زيد الأزدي (ت ٩٣هـ/٧١٢م) الذي كان خلال تأديته لفريضة الحج يلتقي العلماء ويفتي الناس، وعندما لقي عبد الله بن عمر جابرَ بن زيد في الطواف قال له: (يا جابر إنك من فقهاء أهل البصرة، وإنك ستُستفتى، فلا تفتين إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية)[3].

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام،(ط١، دار ممفيس للطباعة، مصر،١٣٩٠هـ)، ص٧؛ خيرية آل سنة: الحياة العلمية في مكة، ص ٧٥.

(٢) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٨٤، ٨٥.

(٣) الأصبهاني: حلية الأولياء، ج ٣، ص ٨٦؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ ، ج ١، ص ٧٢.

وكذلك الفقيه المقرئ سعيد بن جبير الكوفي (ت ٩٥هـ/ ٧١٤م)[١] كان يداوم على الحج والعمرة، فيخرج من الكوفة إلى مكة مرتين في السنة، مرة للحج ومرة للعمرة، وكان يحرص على أن يعقد خلال تواجده في مكة حلقة علمية خاصة بتفسير القرآن الكريم[٢].

ولقد كان لهذه الحلقات أهمية خاصة، فلم يكن جميع الحجاج أو المعتمرين القادمين إلى مكة مُلمين بأحكام الحج والعمرة ومناسكهما، ولهذا كان لا بد لهم من السؤال عن الأحكام المتعلقة بهذه المناسك، ليؤدوا ما فرض عليهم على الوجه الأكمل والصحيح.

كما كانت هذه الحلقات العلمية بصفة عامة وسيلة للعلماء لتوثيق ما لديهم من علم، والاستفادة من بعضهم بعضا.

نظام التعليم في المسجد الحرام:

كان التعليم في المسجد الحرام يتم عن طريق حلقات العلم، حيث يجلس الشيخ مستقبل الكعبة، ويجلس الطلاب أمام الشيخ على شكل نصف دوائر من حوله[٣].

وكانت هذه الحلقات تعقد يومياً في المسجد الحرام، وكان المعلم أو الشيخ شديدَ الحرص على حضور حلقة الدرس بانتظام يومياً، لبث علمه بين الناس ، وقد تهيأ للطلاب في هذه الحلقات النهل من معين

---

(١) الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج٢، ص ١٦.

(٢) الأصبهاني: حلية الأولياء، ج٤، ص ٢٧٥.

(٣) الحلقة في اللغة: كل شيء استدار، كحلقة الحديد والذهب والفضة ، ابن منظور: لسان العرب، مادة حلق، ج١٠، ص٦١.

هؤلاء العلماء بتكافؤ في الفرص التعليمية، وهذا ما يميز المسجد – كجامعة – عن غيره من أماكن العلم، فالمسجد مفتوح لكل المسلمين، فلا فرق بين غنيهم وفقيرهم، أو صغيرهم وكبيرهم، فهو تعليم بدون قيدٍ أو شرط. كما أن حلقات العلوم بالمسجد أعطت الطالب الحرية التامة والمطلقة في اختيار الشيخ الذي يريد التعلم منه، والموضوع الذي يرغب به، فينتقل من حلقة لأخرى حسب ما تمليه عليه رغبته، وكأنه فراشة تتجول في بستان العلم والمعرفة، وينتقى من زهور المعرفة ما يشاء، حتى يستقر به الأمر إلى اختيار الموضوع الذي يلائم ميوله ورغبته(١).

والدراسة في المسجد الحرام لم تسر وفق مناهج محددة(٢)، إذ أن مناهج حلقات العلم في الحرم كانت متروكة للمدرس، فهو الذي يحدد مكان انعقاد درسه ووقته، وما يريد تدريسه فيه، وما على الطالب إلا أن يختار المدرس الذي يلائمه، وتستهويه طريقته في الإلقاء، ويرتاح لها، ومتى ما أحسن الطالب الاستماع لأستاذه، واستوعب دروسه، ونجح في الامتحان؛ حصل منه على إجازة التدريس في الموضوع أو الدرس الذي أتقنه، وبذلك يصبح مؤهلاً لتدريس ذلك العلم، وغالباً ما يحصل الطالب

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، (ط١، دار الفكر، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م)، ص ٣٨- ٤٠؛ بندر الهمزاني: اثر السلاطين والأمراء، ص٤١٣.

(٢) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم، ص ١٦؛ محمد عبد الرحمن الشامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، (ط٢، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ٩ – ١٠.

على إجازات من عدة مدرسين(١)، وتكون هذه الإجازة العلمية بمثابة الشهادة العلمية التي تُعطى في وقتنا الحاضر لطلاب العلم، بل تعد بمثابة الزمالة في وقتنا الحاضر حيث يأتي طالب العلم للعلماء ويأخذ منهم العلم والمعرفة، ومن ثم يرجع إلى بلده وهو يحمل شهادة تؤيده من المسجد الحرام، فيلقى الدرس في بلده بشهادة معترف بها من أعظم وأفضل جامعة إسلامية ألا وهى الحرم المكي.

وقد تنوعت الدروس الملقاة في حلقات العلم في المسجد الحرام، فترة البحث وإن كانت كلها في علوم الشريعة واللغة، فكان المسجد الحرام مركزاً علمياً شاملاً لتعليم الحديث والتفسير والفقه، إضافة إلى علوم اللغة النحو والشعر والبلاغة، والسير والمغازي، وعلم القراءات(٢).

أما بالنسبة لأوقات التدريس في المسجد الحرام، فكانت الدروس تبدأ في العادة بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء(٣).

وأما عن أماكن الدراسة فكانت متنوعة ، فمنها ما كانت في أطراف صحن المطاف، ومنها ما كان في أروقة الحرم، وقد سميت

---

(١) ابن فهد: إتحاف الورى، ص ٦٢، بندر الهمزاني: أثر السلاطين والأمراء، ص ٤١٥؛ عبد الله الشامخ: تاريخ التعليم في مكة، ص ٤٣؛ محمد الحسينى عبد العزيز: الحياة العلمية الدولة الإسلامية، (وكالة المطبوعات، الكويت)، ص٣٩.

(٢) ابن رشيد: ملئ العيبة، ج ٥، ص١٣١ ، ٢٦٣؛ التجيبى: مستفاد الرحلة والاغتراب، ص٣٦٢ ، ٣٨٢ - ٤٣٤.

(٣) العزيز بن فهد: بلوغ القرى، ج ٣، ص٧٧٢؛ محمد طاهر الكردي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، (ط١، بيروت،دار خضر،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)،ج ٥ ، ص٥٢٢.

بعض الأماكن قرب الأبواب عند باب إبراهيم، وباب العمرة، وباب الندوة، وباب أجياد، وغيرها من الأماكن الأخرى في الحرم[(١)].

وهكذا كان للمسجد الحرام دور علمي كبير وبارز، لم تقتصر فائدته على المكيين فحسب ، بل نهل من بحر هذا العلم وتزين بجواهره الثمينة علماء من شتى البلدان الإسلامية. وبذلك حصل التبادل العلمي بين علماء المسلمين تارة بعقد حلقات الدرس في المسجد الحرام، وتارة بتبادل الكتب العلمية، وتارة أخرى بإهداء إنتاجهم العلمي إلى مكتبة الحرم المكي فعمت فائدتها طلاب العلم قروناً تالية.

- **طريقة التدريس في الحرم المكي:**

لقد عمل علماء مكة وبعض المجاورين لبيت الحرام بالتدريس في الحرم المكي، فلا يكاد يخلو رواق إلا به حلقة علمية تدرس فيه العلوم الدينية واللغوية وغيرها من المعارف الأخرى – كما أسلفنا ذكره– وذلك لكون مكة مركزاً دينياً هاماً، وملتقاً لمختلف الثقافات الإسلامية، حيث كان يجلس الشيخ أو المعلم على منصة، بحيث يكون ظهره مستنداً إلى حائط أو أحد أعمدة المسجد، مستقبل الكعبة ، ويتحلق الطلاب أمامه،

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج ١، ص٣٦٧، ج ٢، ص ١١٦، ج ٤، ص١٨٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص ٢٢٣؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، ص١٥–١٦؛ الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص ١٠–١٤؛ بندر الهمزانى: أثر السلاطين والأمراء، ص ٤١٨.

فيجلس المستمعون بترتيب معين يتيح للشيخ النظر إليهم، ولإمكانية التواصل العلمي معهم، للهدف النبيل الذي أتوا من أجله(١).

وغالباً ما يُترك فراغ في الحلقة ليجلس فيه من يحب الاستماع إليهم أو من يحضر الدرس بغير انتظام، كما يحرص كل فرد من الأفراد الحاضرين لدرس الشيخ أو العالم على أن يكون قريباً منه، ولكن بحدود بحيث لا يتعدى المكان المخصص له(٢).

وفي العادة يفتتح الشيخ درسه بالبسملة، ومن ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، ثم يقرأ أحد الطلبة ما تيسر له من كتاب الله الكريم، ثم يتبعون ذلك بالدعاء للخلفاء ولجميع المسلمين، وبعد ذلك يبدأ الشيخ درسه.

ومنهم مَن يقوم بإلقاء درسه عن طريق "الإملاء"، أي يقوم المدرس بالإلقاء ويكتب الطالب خلفه، وكلما انتهى من فقرة من الدرس وضح ما غمض على الطلاب، وفي العادة يدون الطالب هذه الشروح وتلك التوضيحات على هامش الأوراق، وإذا اكتمل ما كتبه قرأ على

---

(١) الذهبي: معرفة القراء الكبار، ج ١، ص١٢٨؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، ص١٦ . ١٩.

(٢) ابن جماعة: بدر الدين سعد الله الكناني، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ص١٤٧ –١٥١؛ أحمد شلبي: موسوعة النظم والحضارة الإسلامية "التربية نظامها، فلسفتها، تاريخها"، (ط٦، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م)، ج ٥، ص٣٧٣ – ٣٧٤.

الشيخ ليصححه، وعلى سبيل المثال نجد أن الكثير من الطلاب يكتبون التفسير عن مجاهد بن جبر، وكان ابن جريج يملي على الطلاب كتابه الخاص بالتفسير(١).

أما في حالة إلقاء الدرس من كتاب معين، وتسمى هذه الطريقة بـ"القراءة"، والمتبع فيها: أن يحصل الطالب على نسخة من هذا الكتاب، وأن يقرأه قبل أن يلقيه المدرس، ثم يأتي دور المعلم فيقوم بإعطاء فكرة عن موضوع الدرس، ثم يقرأ الدرس والطلاب ينظرون في نسخهم، ويبدأ كل طالب بكتابة ما يعلق عليه المعلم على الموضوع كي توضح المعلومات الغامضة، أو الألفاظ الشاذة على هامش الأوراق(٢).

وقد يقوم أحياناً بمهمة القراءة أحد الطلاب الموجودين في الحلقة، فيقرأ على الشيخ مع متابعة زملائه له، وفي العادة يقوم بهذه المهمة أفصح الطلاب وأتقنهم للغة، وتسمى هذه الطريقة عند المحدثين بـ"العرض"(٣).

---

(١) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ١٦٣.

(٢) أحمد شلبي: موسوعة النظم والحضارة، ج ٥، ص٣٧٤ – ٣٧٥؛ عبدالعزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ١٦٢–١٦٣.

(٣) محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث علومه ومصطلحه، (ط١٠، دار المعارف، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م)، ص٣٣٤.

وتعد طريقة القراءة من أنجح طرق التعليم باعتبارها تعتمد على القراءة من كتاب معين، سواء كان هذا الكتاب من مؤلفات الشيخ أو لعالم آخر، وهذه الطريقة تضمن سلامة النص ودقته؛ وبذلك يتجنب العالم الخطأ ما أمكن، كما يتجنب نسيان بعض المعلومات، وقد يكون لهذه الطريقة أثر إيجابي على الطلاب، فيشعرون باطمئنان أثناء تدريس الشيخ أو المدرس لهم، ويبعد عنهم الخوف من سوء حفظ بعض العلماء وما ينتج عنه من عدم الدقة في سرد النص أو وقوعه في الخطأ.

ويحق لكل طالب من الطلاب السؤال عما صعب عليه فهمه، وهذا ما دعا إليه ديننا، ففي موضعين من القرآن قال تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، كما حثنا رسول الله ﷺ على السؤال عن العلم، بل واعتبره شفاء لجهل الجاهل، كما ورد أن العلم خزانة مفتاحها السؤال[2]، وإضافة إلى ذلك فقد جاء حثه عليه الصلاة والسلام على فهم أمور الدين، وأمره لأصحابه أن يسألوا عما يجهلونه من أمور دينهم[3]،

(١) سورة النحل، آية ٤٣، وسورة الأنبياء، آية ٧.

(٢) أحمد شلبي: موسوعة النظم الحضارة، ج ٥، ص٣٧٦.

(٣) الخطيب: أصول الحديث، ص٦٤.

كما حث على بن أبي طالب رضي الله عنه الطلاب ألا يهابوا السؤال، ويستحيوا منه فقال: "قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان"(١).

وأحياناً يقوم المعلم أو المدرس بدور السائل ؛ ليختبر مقدرة تلاميذه على الفهم والاستيعاب، فيلقى عليهم الأسئلة ليجيبوا عما يستطيعون الإجابة عليه، ويتولى هو الإجابة عما تعسر عليهم، وهو بذلك يستخدم طريقة جيدة لزيادة الفهم، ويفتح باب النقاش فيما بينه وبين تلاميذه(٢).

ومن الطبيعي أن يحرص الكثير من العلماء وقبل إلقائهم دروسهم على التعمق في المسائل العلمية والقضايا المطروحة للنقاش والبحث، مما يؤهلهم للرد على أي سؤال يمكن أن يوجه إليهم من قبل التلاميذ.

ومما لا يمكننا تجاهله أنه لابد على الطالب أن يتبع أسلوباً معيناً في إلقاء السؤال على معلمه وهو أسلوب اللين والرفق، ومتوشحاً بكثير من الأدب، وهذا ما حث عليه ديننا الحنيف، وما دعته إليه الأخلاق الحميدة(٣).

وتجدر الإشارة إلى أنه لم تكن المساجد الأخرى بمكة سيما مساجد المشاعر المقدسة بمنأى عن التعايش مع النشاطات العلمية

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، (ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م)،ج ٦، ص١٢٣؛ أحمد شلبي: موسوعة النظم والحضارة، ج ٥، ص٣٧٦.

(٢) أحمد شلبي: موسوعة النظم والحضارة، ج ٥، ص٣٧٧.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ١، ص٢٣٣؛ خالد الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص٣٢٨.

المتأججة آنذاك، فقد قامت هذه المساجد بإسهامات علمية متنوعة، خاصة في مواسم الحج من كل عام.

وينبغي أن لا نستبعد أيضاً انتشار بعض الحلقات العلمية أو الدروس في مساجد مكة الأخرى(١)، والتي شهدت في الوقت نفسه زيارات لبعض العلماء وطلابها وكذلك الطلاب الذين كانوا يحرصون بطبيعة الحال على تداول المعلومات الواردة عن هذا المكان وقدسيته(٢).



(١) الفاكهي: أخبار مكة، ج٤، ص ١٨، ٣٠. ٣٣.

(٢) عبدالعزيز السنيدي: الحياة العلمية بمكة، ص ١١٩

۞ التجـــارة

لم تزل التجارة سبيلاً من سبل التبادل الحضاري والثقافي بوجه خاص بين البلدان، ويعزى ذلك لأمور لعل من أهمها:

. ما ورد في السنة من الحث على التجارة، فعن رافع بن خديج أن النبي ﷺ قال: "أطيب الكسب عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور"(١)، ولذا اتجه الكثير من العلماء للعمل والتجارة، فنجد في نسبتهم: "الحداد، والنجار، والزجاج... الخ".

. ما كان من انتشار للإسلام في كثير من المناطق عن طريق التجارة كانتشاره في جنوب شرق آسيا وغيرها.

. كون التجار غالباً لهم من الأخلاق السمحة التي تمكنهم من كسب قلوب الناس لهم، وسعة صدورهم في الحديث مع الناس، مما يتقبل معه ما يملونه من علوم ومعارف خاصة إن كانوا من العلماء.

. كون التجارة تتطلب السفر غالباً، والناس يحبون أن يجلسوا للغرباء ليسمعوا منهم ما لا يجدونه ببلدانهم، فيكون ذلك سبباً لتعزيز العلاقات العلمية إذا كان التاجر عالماً. ومن هنا كان من الأهمية، أن تتم دراسة التجارة، كسبيل من سبل التبادل العلمي بين مكة والمشرق الإسلامي.

. كما أن التجارة أوجدت بيئة اقتصادية تحتاج إلى الكثير من الدراسات العلمية والفتاوى التي تضبطها شرعاً، من منع الربا وأحكام

---

(١) ابن حنبل: المسند، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، وصححه محمد ناصر الدين الألباني في: السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض)، ج٢، ص ١٦٠.

المبادلات والصكوك والسفاتج وأنواع المكاييل والموازين والنقود وبيوع الآجل وغير ذلك مما وجد في مكة كما يأتي ذكره.

ورغم طبيعة أرض مكة القاحلة، وفقر مواردها؛ نظراً لكونها بلد غير ذي زرع، إلا أن موقعها أكسبها أهمية تجارية كبيرة.

وترجع أهمية مكة التجارية إلى موقعها الجغرافي المتميز، ومكانتها التجارية، حيث يمر بها أهم طريق تجارى يربط الشام باليمن، والشرق بالغرب، فتحولت مكة بفضل هذا الطريق إلى مدينة تجارية مهمة، ونقطة التقاء القوافل بنقل البضائع والسلع بين هذين القطرين، وقد انفردت بهذه الميزة عن غيرها من البلاد، فصار أهلها ينظمون لأنفسهم الرحلات التجارية، ولعل أبرز تلك الرحلات ما عرف في التاريخ باسم "رحلتي الشتاء والصيف"(١).

ومما ساعد أيضاً على ازدهار التجارة بها أهميتها الدينية بوجود الكعبة المشرفة والمشاعر المقدسة، حيث يجتمع فيها آلاف المسلمين من جميع أنحاء المعمورة لأداء مناسك الحج والعمرة، إضافة إلى أنهم يعملون على تنشيط أسواقها التجارية، التي تجتمع

---

(١) صالح أحمد العلي: الحجاز في صدر الإسلام دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص٥٥٧؛ محمد حسن العمادي: التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن الرابع الهجري، (مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، إربد)، ص٢٣؛ عطية القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٤م)، ص٢٣.

فيها البضائع المختلفة من الهند والصين واليمن والشام ومصر والحبشة، مما يعمل على تنشيط الحركة التجارية الداخلية[١].

ومن جانب آخر فإن قرب مكة من موانئ ساحل البحر الأحمر كمينائي جدة والسرين[٢]، أعطاها ميزة أخرى، حيث استطاع المكيون الاتصال بالعالم الخارجي عبر الموانئ المقامة على هذا الساحل، وأصبحوا بذلك يتبادلون السلع التجارية مع سكان هذه البلاد، فانتعش الاقتصاد المكي، وتنوعت فيها المتاجر والأسواق.

ولم يقتصر استيراد مكة للمواد الغذائية من المدن والقرى القريبة، بل كانت التمور ترد إليها من إقليمي اليمامة وهجر، اللذين اشتهرا بجودة التمور وتنوعها[٣]، فضلاً عن الميرة وأنواع الطعام التي

---

(١) الزيعلي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ١٥٦؛ العناقرة: الحياة الاقتصادية، ص ٧٧.

(٢) السرين: ميناء على ساحل البحر قريبة من جدة، تصلها المراكب التجارية المحملة بالمتاجر من اليمن، وتعد الواجهة البحرية الثانية لمكة بعد جدة، تقع بالجنوب منها، وتمثل دورا اقتصاديا مهما لمكة. انظر: محمد حسن الحارثي: الثغور البحرية الحجازية من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي، (رسالة ماجستير، غير منشورة، مكة المكرمة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، ١٤٢٢ هـ)، ص١٢٥؛ مشعل نايف الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، (رسالة ماجستير، غير منشورة، مكة المكرمة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ص ٣١٦ – ٣٢٠.

(٣) ابن الفقيه، أحمد بن محمد: مختصر كتاب البلدان، (ليدن، ١٣٠٢ هـ)، ص٢٩.

تقع اليمامة بين الحجاز واليمن، أحسن بلاد الله وأكثرها خيراً ونخلاً وشجراً. القذويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، (دار المعارف ، القاهرة)، ج ١ ، ص٥١.

أما هجر فهي مدينة كبيرة وقاعدة بلاد البحرين، ذات خيرات كثيرة من النخل والرمان والتين والأترج والقطن. القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ج١ ، ص١١٢.

تصلها من مصر عن طريق البحر[١].

ولقد تنوعت الأسواق بمكة، وتباينت فيها البضائع، ولاسيما وقت الموسم حتى غدا السوق المكي يباع فيه كل شيء، وقد لحظ هذا ابن جبير فقال: "فما على الأرض من سلعة من السلع، ولا ذخيرة من الذخائر؛ إلا وهى موجودة فيها مدة الموسم، فيباع في أسواقها الجواهر والياقوت والمسك والعنبر والكافور والعود، ومنتجات أخرى هندية وحبشية وعراقية ويمنية ومصرية"[٢].

وبذلك شهدت التجارة الداخلية نشاطاً ملحوظاً، ويتجلى ذلك النشاط في الأسواق التي لم تقتصر على النشاط التجاري فحسب، بل كانت لها إسهامات ثقافية واجتماعية وسياسية، فكان يرتادها الناس لمآرب شتى، وغايات مختلفة، فالشعراء يلقون فيها أشعارهم مفاخرين بقبائلهم، والحكماء يفصلون فيها بين الناس، والخطباء يلقون فيها المواعظ[٣]، كما يقضى كان فيها بين المتخاصمين أفراداً وعشائر وقبائل[٤].

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبى يعقوب: البلدان، (طبع مع كتاب الأعلاق النفسية لابن رسته، ليدن، ١٨٩١م)، ص٣١٣ – ٣١٧ – ٣٤٠.

(٢) الرحلة: ص٩٧.

(٣) كان قس بن ساعدة الأيادي الذي مات قبل البعثة قد حضر سوق عكاظ وألقى فيها خطبة سمعها رسول الله ﷺ، وأثنى عليها لما اشتملت عليه من مواعظ وحكم حسنة. ابن سعد: الطبقات، ج١، ص٣١٥؛ الأصفهاني: الأغاني، ج ١٥، ص٢٤٦.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ج ١٢، ص ٢٤٦ – ٣١٥.

وتنقسم الأسواق بمكة ونواحيها إلى أنواع، منها الموسمي مثل: سوق عكاظ(١) وسوق مجنة(٢) وسوق ذي المجاز(٣)، ومنها الدائمة، التي لا تخلو من عدد كبير من المجاورين وطلاب العلم والمعتمرين.

ومن هذه الأسواق ما كان مستمراً ومنها ما اندثر، وهي أسواق الجاهلية، بل منها ما كان في الإسلام واستمر ثم اندثر(٤)، مثل: سوق حباشة التي استمر نشاطها التجاري حتى نهاية القرن الثاني

(١) عكاظ: يقع شرق الطائف يميل نحو الشمال، ويبعد مسافة ٣٥ كلم تقريباً، وسميت بهذا الاسم لأن العرب كانت تجتمع فيها فيكظ بعضهم بعضاً أي بالفخار، وهى عامة لكل العرب، وقربها من مكة وموسم الحج ألزمها حرمة. الهمداني، محمد الحسن: صفحة جزيرة العرب، (تحقيق: محمد على الأكوع، طبعة بيروت، د، ج ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٢٩٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص١٤٢؛ سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، (الطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٣٧م)، ص ٢٤٨ – ٢٥٠؛ موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، (إعداد: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، المجلد الثاني، ١٤١٣ هـ)، ص ٥٣٢.

(٢) سوق مجنّة: اسم سوق للعرب كان في الجاهلية، وهى بمر الظهران قرب جبل يقال له: الأصفر، وهو أسفل مكة، وكانت تقام في العشر الأخير من ذي القعدة عقب الانتهاء من سوق عكاظ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص٥٨؛ موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ص ٥٣٣.

(٣) سوق ذي المجاز: سوق بعرفة، وتقوم أول يوم من ذي الحجة حتى اليوم الثامن منه، أي يوم التروية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٥.

(٤) ومن الملحوظ أن الأسواق الموسمية كانت تعقد في الأشهر الحرم، رجب، وذي القعدة، وذي الحجة، ومحرم، لما لها من حرمة لدى العرب، ولأن القتال فيها محرم، ولكي يأمنوا على أنفسهم وأموالهم عندما ينتقلون بين هذه الأسواق في الأشهر الحرم، ففي رجب تقام أسواق حباشة، وفي ذي القعدة تقوم سوق عكاظ، ومجنة، وفي شهر ذي الحجة تقوم سوق ذي المجاز، انظر: الأفغاني: أسواق العرب، ص١٦٦ – ١٦٧.

الهجري/ الثامن الميلادي، ففي سنة (١٩٧هـ/٨١٥م) قام بتخريبها والي مكة العباسي "داود بن عيسى"، فلم يعد لها شان يذكر بعد هذه السنة(١).

والواقع أن الأسواق هي أقدم أشكال النظم التجارية، وهي مقام أهل الصناعات والتجار على حد سواء، فيجد فيها القاصد المواد الغذائية من التمور والحبوب والفواكه إلى جانب تجارة المواشي والأغنام ومنتجاتها، إضافة إلى الملبوسات والعطور والأطايب، وباختصار يوجد فيها كل حاجات أهل البلاد(٢).

ولقد أشار المقدسي أيضاً إلى الأسواق المنتشرة في مكة، وخاصة التي تحيط بالمسجد الحرام، وحددها بقوله: "الأسواق من المشرق والجنوب"(٣). وقد ارتبطت الأسواق بالحرم حتى إن المقدسي ذكر أن أبواب الحرم سميت باسم السوق الذي تفضي إليه، مثل باب الزياتين، وباب البزازين، وحدد موقع هذين السوقين في الجهة الشرقية من المسجد الحرام عند ذكر مسميات الأبواب الشرقية للمسجد الحرام، أما مسميات

(١) وحباشة، بالضم، هي من أسواق العرب القديمة، وتقع جنوب مكة، وكانت من أبرز المحطات التجارية على الطريق الساحلي بين إقليمي الحجاز واليمن، وهى أخر سوق خربت من أسواق الجاهلية، وليس لحباشة شأن الأسواق العربية الكبرى، فإنها تأتى في الدرجة الثانية من حيث الأهمية. موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ص ٥٣٢.

(٢) عطية طه: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز من القرن الثالث حتى منتصف القرن السادس الهجري، (رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص١٣٠-١٣١؛نجلة الصباغ: بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب)، ص٨٥.

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٧٦.

الأبواب الجنوبية للمسجد الحرام فذكرها بقوله: "باب الدقاقين، وباب النجارين، وباب زقاق الشطوي"[١]، ففي ذكره هذه المسميات لأبواب المسجد الحرام دلالة واضحة لوجود الأسواق بالقرب من المسجد الحرام[٢].

كما أشار المقدسي وهو يتحدث عن المشاهد بمكة إلى سوقين شرق المسجد الحرام، وهما: سوق البزازين، وسوق العطارين، فقال: "ودار الأربعين بالبزازين، ودار خديجة خلف بالعطارين"، كما ألمح أيضاً إلى هذين السوقين دون أن يصرح باسمها وذلك عندما قال: "ويقع المسعى بين الصفا والمروة في السوق الشرقي"[٣].

وهذا يؤكد على انتشار الأسواق بشكل واسع حول المسجد الحرام، وقد كانت هذه الأسواق ذات تخصص كما يعرف من أسمائها، ومنها أيضاً سوق الحناطين، ويقع جنوب المسجد الحرام[٤]، ونتوقع أن هذا السوق يبيع الحبوب بصفة عامة، وليس مقصوراً على الحنطة، وكان بعض التجار يحملون القمح إلى مكة عن طريق ميناء جدة[٥].

وأما سوق العطارين فكان يعرض فيه العقاقير والأدوية[٦]،

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ص٧٦.

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ص ٩٦.

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٧٦.

(٤) الأزرقي: أخبار مكة،ج١، ص١١١، ٢٢٤،٢٧٣؛ الفاكهي:أخبار مكة، ج ٢، ص٢٠.

(٥) الفاكهي: أخبار مكة، ج ٢، ص٣٧١.

(٦) سعيد عبد الله القحطاني: تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة التاسع والعاشر للميلاد، (دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٤ هـ)، ص ١٦٨.

وهناك سوق الزياتين، وسوق الدقاقين، وسوق التمارين، وسوق الفاكهة، وسوق خاص لأصحاب السمك ويطلق عليه سوق الحواتين[(١)]؛ فكان الصيادون يقدمون مكة من جدة بحيتان فتباع في هذا السوق[(٢)]، أما تجار الأقمشة فهناك سوق البزازين، ويقع شرق المسجد الحرام[(٣)]. كما كانت هناك أسواق خاصة لأصحاب الحرف منتشرة في أرجاء مكة، ومنها على سبيل المثال: سوق النجارين، والدباغين، والخياطين وغيرهم[(٤)]. وكذلك وجدت أسواق خاصة لتجارة المواشي التي تقوم في ساحات مكشوفة بعيدة عن المسجد الحرام، وربما روعي وضعها في خارج الحرم حفاظاً على نظافة المسجد والمنطقة المجاورة له، ومثلها سوق الحطب لتجنب المصلين والحجاج أذاها[(٥)].

وظهرت أسواق عامة في مكة كسوق الحزورة[(٦)]، وسوق الأبطح، وسوق الليل، وسوق الردم[(٧)]، كما توجد أسواق خاصة بتحويل الدنانير

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة، ج ٢، ص٢٣٩ – ٢٤٤؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج ٢، ص ٣٧١، ج٣، ص ٢٧٩.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٠٢؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج ٣، ص٢٧٨.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٤) الفاكهي: أخبار مكة، ص٢٥٤ – ٢٧٠؛ عبد العزيز صالح الهلابي: الأسواق في مكة مكة حتى نهاية العصر الأموي، (بحث منشور في مجلة العرب، الرياض، دار اليمامة)، ج٩، ص٤١١.

(٥) ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ٢، ص٢١٠؛ سعيد القحطاني: تجارة الجزيرة العربية، ص ١٦٤.

(٦) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٧٣.

(٧) الأزرقي: أخبار مكة ، ج ٢، ص٨٨.

إلى دراهم وهى ما تسمى بسوق الصرافين[1]، هذا فضلاً عن أسواق المشاعر المقدسة كمنى وعرفات[2]، والتي تعج بالحركة التجارية في موسم الحج، حيث يستغل التجار فرصة تجمع أعداد كبيرة من المسلمين فيجلبون ما لديهم من سلع وبضائع.

وتبعاً لنشاط حركة التجارة الداخلية في مختلف أسواق مكة؛ عرف التجار في هذه الفترة أساليب عدة للتبادل التجاري من أبرزها النقود، فقد كان التجار يعتمدون في كثير من معاملاتهم وفي بيعهم وشرائهم على الدراهم والدنانير[3] إضافة إلى بعض العملات التي كانت سائدة في

(١) إلهام بابطين: الحياة الاجتماعية، ص١٥٧.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٩١.

(٣) أقر الرسول ﷺ النقود على حالها التي كان يتداول بها أهل الحجاز، وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضربت الدراهم الكسروية، وزاد في نقش بعضها عبارة التوحيد، ولما آلت الخلافة للدولة الأموية ضرب معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه الدراهم والدنانير، ولما قام عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في مكة ضرب دراهم مدورة، وعندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة ضرب الدنانير الإسلامية سنة (٧٧هـ/٦٩٦م)، على أرجح الأقوال، ووحّد العملة على وزن واحد، ولما أتت دولة بني العباس ضرب السفاح الدراهم بالأنبار ومثله فعل أبو جعفر المنصور، وكذلك الخلفاء من بعده، وضربت في بعض الولايات على رسم الخلافة. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر: إغاثة الأمة بكشف الغمة، (ط٢، تحقيق: محمد زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٧م)، ص ١٥-٦٥؛ شذور العقود في ذكر النقود، (تحقيق: محمد عبد الستار، القاهرة، مطبعة الأمانة،١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص ١٢٥- ١٢٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص٢٨٠.

الأمصار الإسلامية، ومنها: العثرية[١] والمطوقة[٢]، والمحمدية[٣]، والمزيقة[٤].

وكذلك ظهرت في مكة معاملات مالية جديدة في الأسواق، ومن هذه المعاملات: المقابضة، وتستعمل في تجارة الألبسة والمواد الغذائية والرقيق، ومن هذه التعاملات أيضاً: البيع المؤجل، فكان الناس يشترون من التجار، ويؤجلون دفع الثمن حين يخرج عطاؤهم[٥].

وأيضاً من هذه المعاملات ما تسمى بـ "الصكوك"، وهى أمر خطي يدفع بواسطته مقدار من النقود أو الرزق إلى الشخص الوارد اسمه فيه، فيروى أن خالداً القسري كتب صكاً بثلاثين ألف درهم وقّعه لأحد ضيوفه، فدفعه إلى الخازن واستلمها منه[٦].

(١) النقود العثرية: نسبة إلى مدينة عثر التي ضربت فيها هذه النقود في عهد الأمير الزيادي أبى الجيش إسحاق بن إبراهيم . انظر: ابن الديبع، وجيه الدين عبد الله بن عبد الرحمن: بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، (تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ١٩٧٩م)، ص٤٠.

(٢) المطوقة: هي التي لها إطار يكتب عليه – أي: هامش–، وهي في الأصل نقود يمنية استخدمت في مكة. الهمدانى، أبو محمد الحسن : الجوهرتان العتيقتان المائعتان، الصفراء والبيضاء، (أعده للنشر: حمد الجاسر، الرياض، المطابع الأهلية للأوفست ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٩١ – ٢٥٧.

(٣) المحمدية: نسبة لمحمد بن سليمان الذي ثار بمكة سنة (٣٠١هـ/٩١٣م). ولمزيد من المعلومات انظر: الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية ص١٦١.

(٤) المزيقة: هي العملة المزيفة. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٩٩؛ الزيلعي: مكة وعلاقاتها الخارجية، ص١٦١؛ أدام متز: الحضارة الإسلامية ج ٢، ص٢٨٧.

(٥) السيف: الحياة الاقتصادية، ص١٤٣.

(٦) السيف: الحياة الاقتصادية، ص١٤٤ – ١٤٥.

ومن هذه التعاملات أيضاً ما يسمى بالسفاتج "جمع سفتجة" أي: الحوالات(١). أما وحدات المقاييس والمكاييل المعتبرة في أسواق مكة في صدر الإسلام فتشابه إلى حد كبير ما كان سائداً في الأمصار الإسلامية الأخرى، فعُرِف المنّ(٢) كوحدة خاصة بالوزن(٣). أما وحدات الكيل فكانت الصاع(٤) والمد(٥)، والمكوك(٦).

(١) السفتجة: –بضم السين وفتحها– هي كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالاً قرض يأمن به خطر الطريق. القونوي، قاسم بن عبد الله : أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، (تحقيق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية،١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ص ٨٢؛ وعبر عنها الزبيدي في تاج العروس من جواهر القاموس بأنها: "قرض استفاد به المقرض سقوط خطر الطريق بأن يقرض ماله عند الخوف عليه ليرد عليه في موضع أمن". (دار الهداية)، ج٦، ص٣٩.

(٢) المنّ: يعادل وزنه رطلين، ويساوى الرطل اثنتا عشرة أوقية، والأوقية: مكيال يساوى أربعين درهما. سامح عبد الرحمن فهمي: المكاييل في صدر الإسلام، (مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ/١٩٨١)، ص ٤٦.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٩٤.

(٤) الصاع: يعادل خمسة أرطال وثلث، تكال من الحبوب. ومقدار الصاع في الوزن الحالي الحالي يساوي (٢,٤٠٠) كليو غرام، أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، (تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٦،١هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٥١٧؛ عمر أفا: النقود المغربية في القرن الثامن عشر – أنظمتها وأوزانها– (الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص ١٤٤.

(٥) المد: يساوى ربع الصاع. الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، (طبع عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة)، ص٢٩٥؛ سامح فهمي: المكاييل في صدر الإسلام، ص٣٢.

(٦) المكوك: صاع ونصف الصاع. ابن المنظور: لسان العرب، ج ٧، ص٤٢٤٩، " مداة مكك"؛ محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م)، ص ١٣٤١.

ولهذه العوامل المجتمعة نشطت الحركة التجارية في مكة، مما كان دافعاً إلى توثيق العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي، فنجد الكثير من العلماء قد مارس التجارة فيها(١)، واشتغل البعض منهم بالبيع والشراء في أسواقها ، فكان عبد الله بن كثير عطاراً(٢)، وباع حماد بن دليل نزيل مكة التمر في أسواقها(٣).

وكان التجار يقدمون إلى مكة من أرجاء العالم الإسلامي للحج والتجارة معاً(٤)، فينشط تبعاً لذلك التبادل النقدي الذي يغذي الأعمال المصرفية في أسواق مكة، فكان أهل مكة ينتفعون كثيراً من الحجاج، فيروي ابن المجاور أن أهل مكة كانوا يقولون: (حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب والسرو(٥)، وأمنا نكسب منها قوتنا)(٦). كما اعتاد بعض العلماء القادمين إلى مكة على جلب البضائع المتنوعة من ديارهم إلى

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج: صفة الصفوة، (ضبط: عبد الرحمن اللاذقي، وحياة شيحا اللاذقي، ط٢، دار المعرفة، بيروت)، ج ١، ص ٥٥٨.

(٢) السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور: الأنساب، (ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج ٢، ص٤٤٣.

(٣) ابن شاهين، أبو حفص عمر بن احمد: تاريخ أسماء الثقات، (تحقيق: صبحي السامرائي، ط١، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص ٦٦.

(٤) السمهودي، نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفي، المصطفي، (تحقيق: محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة)، ج ١، ص ١٠٥؛ أحمد الشريف: مكة والمدينة، (القاهرة، دار الفكر العربي)، ص١٩.

(٥) السرو: المروءة والشرف. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ٢٥٢ – ٢٥٦. ٢٥٦.

(٦) ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ص٦٢.

مكة وبيعها في أسواقها، كعبد الله بن مبارك[١]، وقد مارس التجارة أثناء التردد إلى مكة الإمام أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، فقيه الملة، عالم العراق، إمام مدرسة الرأي، قال يحيى بن أبي بكر: "كان أبو حنيفة يقول: مررت يوماً على الشعبي وهو جالس فدعاني، وقال: إلى من تختلف؟ فقلت: أختلف إلى السوق، وسميت أستاذي، فقال: لم أعن الاختلاف إلى السوق عنيت الاختلاف إلى العلماء، فقلت له: أنا قليل الاختلاف إليهم، فقال: لا تغفل وعليك بالنظر ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك يقظة وحركة، قال: فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق وأخذت في العلم، فنفعي الله تعالى بقوله"[٢]، وهذا يدل على انشغال الإمام أبو حنيفة بمهنة التجارة مع أبيه ثم انصرف بعد ذلك إلى حلقات الدرس. أيضاً مارس التجارة بمكة الإمام إسماعيل بن مسلم المكي (ت١٦٠هـ/ ٧٧٦م)، وهو من أهل البصرة، ولكن لكثرة تردده على مكة أطلق عليه المكي، كان يكثر من مزاولة التجارة في مكة أثناء المواسم[٣]. وكذلك الإمام المجمع على إمامته وعلمه عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ/ ٧٩٧م)، عرف عنه انه تاجر ذو مال كثير، حتى قيل عنه كان ينفق في السنة ما يزيد على مائة ألف درهم على الفقراء،

(١) أحمد بن محمد الخلال: الحث على التجارة والصناعة والعمل، (ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٧هـ)، ص٧٥.

(٢) وهبي سليمان غاوجى: من أعلام التربية العربية الإسلامية، (المجلد الأول، مكتبة التربية العربية لدول الخليج)، ص١٢٩.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٠٨ – ٣٠٩؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢٨٩ – ٢٩٠.

وكان ينفق بسخاء على طلاب العلم[١]، وهذا مكي بن إبراهيم التميمي (ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، كانت له أموال كثيرة يفصح هو عن ذلك بقوله: "حججت ستين حجة،... وجاورت بالبيت عشر سنين، وكتبت عن سبعة عشر نفساً من التابعين، ودفعت في كراء بيوت مكة ألف ديناراً ومائتي ونيفاً"[٢]، وكذلك الحال بالنسبة للإمام الحافظ سعيد بن سليمان الواسطي (ت٢٢٥هـ/٨٤٠م) كان كثير الأموال، حتى روى أنه حج ستين حجة[٣].

ومن المجاورين الذين عملوا في التجارة دعلج بن أحمد بن دعلج (ت٣٥١هـ/ ٩٦٢م)، وهو محدث فقيه، عمل في التجارة فسمع بأماكن كثيرة، منها مكة[٤]، وقد اشترى داراً بمكة وهي دار العباسية بثلاثين ألف ديناراً[٥]، وكان كثير المعروف والصدقات، وله أوقاف على أهل الحديث والعلم في مكة[٦].

وهناك علماء وطلاب علم قدموا إلى مكة طلباً للعلم والتجارة معاً، ومنهم أحمد بن خالد أو الجذامي (ت٣٧٨هـ/ ٩٨٨م)، الذي رحل إلى أماكن كثيرة منها مكة طلباً للعلم والتجارة، وساعده ذلك على التبادل

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص١٧٩.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ١١٦ – ١١٩؛ ابن عبد الهادي، أبو عبد الله محمد: طبقات علماء الحديث، (تحقيق: أكرم البوشني، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص ٥٤١، ٥٤٢.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص٤٨١، ٤٨٢.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣، ص٥٣؛ وسير الأعلام، ج١٦، ص٣؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج٢، ص ٣٤٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص٢٠٤.

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص٢٩١ –٢٩٣.

(٦) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٤، ص ١٤٣.

الثقافي، وكثيراً ما استخدم ماله لمساعدة إخوانه العلماء[١]، ومنهم الإمام أحمد بن محمد الخطابي أبو سليمان (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، الذي رحل إلى مكة، وتاجر في أثناء رحلته، وحصل على أموال كثيرة [٢]، وأحمد بن عمر بن خرشيذ (ت٣٩٤هـ/ ١٠٠٤م)، كان تاجراً، ورحل إلى مكة من أجل التجارة والعلم معاً، فحدث بأماكن كثيرة منها مكة، وهو شيخ مسند[٣].

ويبدو أن حرمة مكة كانت خير ملاذ للأثرياء الذين تقع ديارهم في فتن، فيفرون إليها لأداء فريضة الحج، وحفاظاً على أموالهم وأنفسهم، فيروي المسعودي أن الخليفة العباسي الأمين عندما ضاق الحصار على بغداد طلب من قائديه ذُريح والهرش أن يتتبعا أصحاب الأموال والودائع والذخائر، فهرب الناس بعلة الحج حتى قال الشاعر علي الأعمى:

أظهروا الحج وما يبغون بل من الهرش يريدون الهرب[٤]

ولقد شهدت أسواق مكة حركة تجارية عامرة على مدار السنة، وكان يتضاعف نشاطها مع موسم الحج والعمرة ؛ لكثرة المجاورين

---

(١) ابن الفرضي، عبد الله بن محمد: تاريخ علماء الأندلس، (تحقيق: روحية السويفي، دار الكتب العلمية، ، بيروت، ١٩٩٧م)، ص٥٦.

(٢) هو عالم في الحديث والفقه، شاعر وأديب، سمع عنه في مكة أبو ذر الهروي (ت٤٣٤هـ)، في مجلس وعظ أثناء رحلته إلى مكة. ابن العديم، عمر بن أحمد: بغية الطلب في تاريخ حلب، (دار الفكر، دمشق، ١٩٧٨م)، ص ٨٢؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٤، ص٢٥٠؛ الفاسي: العقد الثمين، ج ٤، ص ٥٦٨.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص٥٦٢.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٤١٦ – ٤١٧.

وطلاب العلم والحجاج الذين يقصدونها من مختلف الأقطار الإسلامية، ومما لا ريب فيه أن زيادة أعداد الحجاج الذين يقصدون مكة لأداء الفريضة تؤدى إلى تضاعف نشاط أسواق مكة سواء في المواسم أو غيرها، فكان التجار يجلبون إليها مختلف البضائع المتباينة الإنتاج والجودة، حتى غدت أسواقها من أنشط الأسواق، حيث يتوفر لها من الرواج التجاري ما لا يتوفر لغيرها بحكم مكانتها الدينية التي اجتذبت قلوب المسلمين من أنحاء المعمورة، بالإضافة إلى موقع مكة الجغرافي الإستراتيجي.

وبذلك يبدو جلياً أن السوق كان مركزاً اقتصادياً هاماً، يتبادل فيه أهل مكة والواردون عليهم السلع بالبيع والشراء، كما أنه مركز اجتماعي مهم يجتمع فيه الناس لقضاء احتياجاتهم، كما كان مركزاً ثقافياً، يرد إليه الناس، ويجلسون بجوار الحوانيت، لتبادل الأحاديث والثقافة وسماع الأخبار عن مجتمع مكة وغيرها من الأمصار الإسلامية[1].

(١) الهمزاني: الأسواق، ص ٤١١.

ومن خلال ما تم سرده في هذا الفصل يتبين لنا عدة أمور منها:

- أن مكة قد تفردت عن باقي أقطار الأرض بأن فرض الله تعالى الحج إليها، فيقصدها المسلمون كل عام لأداء هذه الشعيرة العظيمة، وذاك الركن من أركان الإسلام، ويلتقي الحجيج العلماء الذين يفدون إلى مكة، وربما يطيب لبعضهم بعد انتهاء الموسم البقاء بجوار هذا البيت العتيق، ليستفيدوا من علماء مكة وفقهائها.

- أسهم الحكام والأمراء في تنشيط الحركة العلمية بمكة عن طريق تشجيعهم للعلماء وإكرامهم.

- ولمكانة الحرم فكثير من العلماء ابتدأ طلبه العلم من جنبات المسجد الحرام في مواسم الحج، كالإمام مسلم بن الحجاج، كما أن بعضهم يقوم بتصنيف كتبه في مكة، كالإمام البخاري.

- كان المسلمون يجاورن في مكة رغبة في التفرغ للعبادة والاعتكاف ، وكان منهم الكثير من العلماء.

- تنوع الأسباب والدوافع التي أدت إلى المجاورة فكان منها الدافع الديني والسياسي والاقتصادي والعلمي .

- حرص المسلمون على المجاورة ببلاد الحرمين الشريفين، لتوفر الجو العلمي بهما.

- غدا المسجد الحرام بالنسبة لغيره من المساجد الأخرى بمثابة القلب النابض من الجسد، حيث امتلأ برجال العلم، وانتشرت في أروقته الحلقات العلمية المختلفة.

- وقد اعتاد أن يتخذ المدرسون بالمسجد الحرام مكاناً معيناً لإلقاء دروسهم ذات التخصصات المختلفة.

- تنوعت العلوم التي كانت تدرس في المسجد الحرام، فكان في مقدمتها العلوم الدينية من تفسير وفقه وحديث، إضافة إلى تدريس بعض مواد اللغة العربية مثل النحو والبيان وغيرها من العلوم.

- أشتمل المسجد الحرام على أماكن لتعليم صغار السن مبادئ القراءة والكتابة .

- تنوعت الحلقات العلمية بالمسجد الحرام من حيث إلقاء العلوم أو أماكن وزمن تواجدها.

- أعطت حلقات العلوم بالمسجد الحرام الطالب الحرية في اختيار الشيخ الذي يريد التعلم منه، والموضوع الذي يرغب به.

- كان النشاط التجاري بمكة دور في تنشيط الحياة العلمية بها، وأصبح عاملَ جذب للعلماء الذين عملوا في التجارة إلى جانب طلب العلم.

- مما ساعد على ازدهار التجارة بمكة أهميتها الدينية بوجود الكعبة المشرفة والمشاعر المقدسة.

المبحث الثاني: العلوم والآداب

لم تكن العلوم التي كانت مكة تحتضنها في فترة البحث مقتصرة على علم دون آخر، بل ظهر الكثير من الفنون والثقافات في البلد الحرام، فلقد تزايد دور العلماء ونشاطهم العلمي المتدفق في المجالات العلمية المتنوعة، لنشر العلم والمعرفة بين عامة المسلمين، فقد اشتمل المسجد الحرام على العديد من الأنشطة العلمية، والتي تزامنت مع هذه الحقبة التاريخية، وبذلك أصبح بمثابة جامعة متعددة التخصصات، تُشد الرحال إليها في سبيل طلب العلم.

ويُعد موسم الحج في حد ذاته ظاهرة علمية تتيح للكثير من العلماء إقامة حلقاتهم العلمية فيه، ويتساوى الأمر هنا بين العلماء المكيّون وإخوانهم القادمين من أقطار إسلامية أخرى، ومن خلال هذه الحلقات العلمية تنبثق المناقشات وتطرح الآراء وتعقد الندوات(١).

فهذا التجمع السنوي للحجاج يتيح الفرصة لأبناء العالم الإسلامي كافة وطلاب العلم في مكة المكرمة للقاء العلماء البارزين، والخروج بحصيلة علمية في كثير من المسائل الخلافية في مختلف فنون العلم، وذلك عن طريق أولئك الذين جاءوا إلى الحج من علماء الأمصار الإسلامية، حيث انتقلت الكثير من الأفكار والآراء العلمية؛ ويتبادل فيها الجميع المؤلفات العلمية سواء كان ذلك من إنتاج علماء مكة أو غيرهم من علماء المشرق الإسلامي، وشكل ذلك في حد ذاته تاريخاً معرفياً

(١) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٤٣٤.

وثقافياً واسعاً بين أبناء المسلمين مما كان له بالغ الأثر في ازدهار الحياة العلمية بمكة[١]، كما أدت العلاقات العلمية والرحلات التي كان يقوم بها العلماء إلى ازدهار الإنتاج العلمي والأدبي، وهو ما يمثل نشاطا للحياة العلمية، وفيما يلي أبرز تلك العلوم.



(١) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٤٣٤ – ٤٣٥.

۞ العلوم الدينية

من المتوقع أن تكون علوم الشريعة من قراءات وتفسير وحديث وفقه، هي أكثر العلوم المنتشرة في مكة، نظراً لمكانة مكة الدينية إذ إن الشرع منهج حياة، وعلماء الشريعة هم حياة الأمة، والعالم مسئول عن الأمة كلها، فالعلماء كما قال الإمام ربيعة بن عبد الرحمن: "الناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم، ما أمروا به ائتمروا، وما نهوهم عنه انتهوا"، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: "علامة هلاك الناس هلاك علمائهم، فإن بهم صلاح الدين، وقمع المعتدين، ومعرفة رب العالمين"(١)، "فالحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"(٢).

وقد تعددت علوم الشريعة، وقد نبغ في كل علم من هذه العلوم علماء من مكة والمشرق الإسلامي أسهموا في تعزيز العلاقات العلمية فيما بينهم، وكان لهم التأثير الأكبر في ازدهار النشاط العلمي الذي لم

---

(١) محمد بن عبد الرحمن الحبشي: نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف، (ط١، دار المنهاج، جدة، ١٩٩٧م)،ج١، ص ٣٩.

(٢) ابن حنبل: الرد على الزنادقة والجهمية، (تحقيق: حسن راشد، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٣هـ)، ج ١، ص ٦.

يتوقف طيلة الحقبة التي تتناولها الدراسة، ومن أهم العلوم التي يتناولها هذا البحث:

علوم القرآن الكريم

القرآن لغة: مصدر قرأ يقرأ، وهو اسم غير مشتق من شيء، بل هو اسم خاص بكلام الله تعالى[١]، وإطلاق لفظ القرآن على كتاب الله أمر توقيفي لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[٣]

واصطلاحاً: هو الكلام المعجز المنزل على محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته وأحكامه[٤].

ومنذ أن نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ اقترن به النشاط الفكري في تاريخ الإسلام، فقد تعاهده المسلمون حفظاً ودراسةً وتطبيقاً، وأصبح محور النشاط الفكري، فنشأت على إثر ذلك علوم القرآن، وكان أهمها: القراءات والتفسير.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة "زين"، ج ١٣، ص٢٠٢.

(٢) سورة الإسراء: آية٩

(٣) سورة النمل: آية٧٦

(٤) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م)، ص ٢٧٧؛ السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، (دار الندوة الجديدة، بيروت)، ج١، ص ٨٠.

أ- **علم القراءات:**

هو علم يُبحث فيه عن صور تنظيم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، وهو مرتبط بعلوم اللغة العربية، والغرض منه ضبط هذه الاختلافات صوناً لكلام الله من أن يتطرق إليه التحريف[١].

ولقد بلغ القرآن الكريم الغاية في التوثيق، فقد حفظه الله تعالى، قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٢]، كما ثبت في المتواتر من الحديث أن النبي ﷺ قال: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه"[٣]، وقد تلقى الصحابة القرآن مشافهة من النبي ﷺ بحروفه المتعددة[٤].

ومع الفتوحات الإسلامية وانتشار الصحابة في الأمصار يقرؤون القرآن بما سمعوه عن النبي ﷺ وتعددت أوجه القراءة، فبدأ الخلاف ينشأ من الاختلاف على هذه الأحرف، فقام الخليفة الراشد عثمان بن عفان (ت٣٥هـ/ ٦٥٥م) بجمع القرآن الكريم في القراءات المتواترة عن الرسول ﷺ على حروف قريش، وأرسل بنسخ من المصحف إلى عدد من الأمصار الإسلامية، وترك لقراء الأمصار أن يقرؤوا الحرف الواحد

(١) حاجي خليفة، مصطفي بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (عني في تصحيحه: محمد شريف وَرفعت الكلبي، المطبعة الحكومة، اسطنبول، ١٩٤١ – ١٩٤٣م)، ج ٢، ص٣١٧.

(٢) سورة الحجر: آية ٩.

(٣) مسلم: الجامع الصحيح، (٤٨) باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، ج٢، ص ٢٠٢، ح (١٩٣٦).

(٤) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، بيروت)، ج ٩، ص٢٣.

بأوجه الأداء التي تلقوها من رسول الله ﷺ من تحقيق الهمز أو تسهيلها أو الإمالة وما إلى ذلك بشرط موافقة الرسم وصحة التلقي[١].

وقد بدأت الأمصار تأخذ عن بعض هؤلاء الصحابة، فالشام تأخذ عن أبي الدرداء، وأبي بن كعب والمقداد بن الأسود، والكوفة عن عبد الله بن مسعود، والبصرة عن أبي موسى الأشعري[٢]، حتى إذا كان القرن (٤هـ/ ٩م)، ظهر في هذا العصر، أئمة القراءات كابن مجاهد أبو بكر أحمد البغدادي المقرئ (ت٣٢٤هـ/ ٩٣٥م)، شيخ القراءات في وقته، صنف في القراءات كتاب "القراءات السبعة"، قصده الطلبة للتعلم منه[٣]، فاختار سبعة قراء من أئمة القراءات في زمانه، وهم: ابن عامر[٤] ، وابن كثير[٥] ، وعاصم[٦] ، وأبو عمرو بن العلاء[٧] ،

---

(١) ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر، (تصحيح ومراجعة: علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت)، ج ١، ص٧ – ٨.

(٢) خليل داود الزرو: الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، (دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩١٨م)، ص ٣٣.

(٣) الذهبي: معرفة القراء، ج ١، ص ٢٦٩.

(٤) عبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ/٧٣٦م). ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، (برجستراسر، مكتبة الخانكي، القاهرة، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، ج ١، ص٤٢٣.

(٥) عبد الله بن كثير المكي الداري (ت١٢٠هـ/٧٣٧م). الذهبي: معرفة القراء ،ج١، ص٨٦.

(٦) عاصم بن أبي النجود الكوفي(ت ١٢٧هـ/٧٤٤م). الذهبي: معرفة القراء، ج ، ص٨٨

(٧) أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمي البصري (ت١٥٤هـ/٧٧٠م). الذهبي: معرفة القراء، ج ١، ص١٠٠.

وحمزة [١] ونافع[٢] والكسائي[٣].

كما صنف كتاباً في كيفية أدائهم المتلقي بالإسناد عن قراء الأمصار عن رسول الله ﷺ، واختار بعضهم بعده ثلاثة آخرين، فأصبح المشهورُ عشرَ قراءات[٤].

ويعتبر علم القراءات من أهم العلوم الدينية؛ وذلك لاتصاله بقراءة القرآن الكريم وتعلم قراءته، وكانت ومازالت مكة من أبرز المراكز الإسلامية التي شغف عدد من أبنائها بعلم القراءات القرآنية دراسةً وتطبيقاً، فتألق في ساحاتها العلمية الكثير من القراء المتميزين، ممن عرفوا بجهودهم المتواصلة واجتهاداتهم العلمية النيرة، ومن أشهر العلماء المكيين في هذا العلم ترجمان القرآن عبد الله بن العباس – رضي الله عنهما – الذي أخذ عنه الكثير من أهل مكة منهم: عكرمة بن خالد المخزومي (ت ١١٦هـ/ ٧٨٢م)[٥]، والإمام والإمام مجاهد بن جبر الذي عني

(١) حمزة بن حبيب الكوفي الزيات (ت ١٥٦هـ/٧٧٢م). ابن الجزري: غاية النهاية ،ج١، ص٢٦١.

(٢) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ/٧٨٥م). ابن الجزري: غاية النهاية، ج٢، ص٣٣٠ –٣٣٤.

(٣) على بن حمزة بن عبد الله الكسائي (ت ١٨٩هـ/٨٠٤م). الذهبي: معرفة القراء، ج ١، ص١٢٠– ١٢٨.

(٤) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج ١، ص٩؛ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص٢١١.

(٥) ابن الجزري: غاية النهاية، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ج١، ص٤٢٦.

بعلوم القرآن، فقال: (استفرغ علمي القرآن)[١]، وأصبح مجاهد من أبرز القراء في مكة، واقتدى به عدد كبير من العلماء، أمثال عبد الله بن كثير (ت١٢٠هـ/٧٣٧م) الذي نال مكانة مرموقة في القراءات[٢]، وحميد بن قيس الأعرج (ت١٣٠هـ/٧٤٧م) قال عنه الإمام أحمد بن حنبل:" لم يكن بمكة أحد أقرأ منه وعبد الله بن كثير"[٣] ، وكان لحميد بن قيس مجلس للإقراء في المسجد الحرام، يتكاثر الناس حوله عند ختم القرآن الكريم[٤].

كما قام الكثير منهم بعقد حلقات في المسجد الحرام لتدريس هذا العلم، منهم: إسماعيل بن مسلم المخزومي (١٦٠هـ/٧٧٦م)[٥]، وشبل بن عياد (١٦٥هـ/٧٨١م)[٦]، وإسماعيل بن عبد الله (١٩٠هـ/ ٨٠٥م)[٧].

(١) ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله: تاريخ دمشق الكبير، (عناية: محمد الطرهوني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٧هـ)، ج ١٦، ص٢٥٤.

(٢) الذهبي: معرفة القراء، ج ١، ص٩٥ – ٩٨.

(٣) أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث: سؤالات أبي داود لأحمد بن حنبل في جرح الرواة وتعديلهم، (دراسة وتحقيق: زياد محمد منصور، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م)، ص٢٢٩.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ج ٥، ص٤٨٦ ؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج ٤، ص٣٦.

(٥) يعرف بالمكي، قرأ على ابن كثير، واستفاد من علمه الكثير منهم عبد الوهاب بن عطاء وإبراهيم المدني وغيرهم. ابن الجزري: غاية النهاية، ج ١، ص١٦٩.

(٦) أبو الوليد المكي، تتلمذ على عبد الله بن كثير، وكان من المهتمين بالقراءات والحديث. الذهبي: معرفة القراء، ج ١، ص١٣٠ ؛ ابن الجزري: غاية النهاية، ج ٢، ص٣٠٣.

(٧) يعرف بالقسط، وهو من موالي بني مخزوم وشيخ القراء بمكة، وكان من تلاميذه وهب بن واضح والشافعي وعكرمة بن سليمان وغيرهم. الذهبي: معرفة القراء، ج ١، ص ١٤١ – ١٤٤؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص ٣٠٠–٣٠١.

كما برز علماء من القرنين الثالث والرابع الهجريين منهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي المكي (ت٢٠٤هـ/٨١٩م) الذي جوّد القرآن على إسماعيل بن قسطنطين مقرئ مكة في عصره، وكان الشافعي أول من ألف في "أحكام القرآن"(١)، ومنهم: عبد الله بن يزيد العدوي المكي المقرئ (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، أحد الأئمة في علم القراءات، أخذ عنه الكثير من حملة العلم في مكة والبصرة، وقام بتدريس القرآن في البصرة لمدة ثلاث سنوات، فضلاً عن تدريسه للقرآن بمكة لمدة خمس وثلاثين سنة (٢).

وأحمد بن محمد بن عبد الله البزي (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م) مقرئ مكة ومؤذنها، تلا عليه القرآن الكثير من علماء مكة والوافدين إليها(٣)، وكذلك أبو محمد إسحاق بن أحمد الخزاعي (ت ٣٠٨هـ/٩٢٠م) مقرئ أهل مكة في عصره(٤).



(١) الداودي، محمد بن علي بن أحمد: طبقات المفسرين، (تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢)، ج٢، ص ٩٨ - ١٠٠.

(٢) السيوطي: طبقات الحفاظ، (تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ج١، ص ١٥٦-١٥٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٢٩٨، ٢٩٩ ؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٢ ، ص٢٩.

(٣) مقرئ مكة ومؤذنها، أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن أبي بزة المخزومي مولاهم الفارسي الأصل ولد سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م)، سمع من ابن عيينة. الذهبي: سير الأعلام، ج ٨، ص ٣٥٠.

(٤) الإمام المقرئ المحدث، أبو محمد إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن نافع الخزامي، المكي، شيخ الحرم، جود القرآن على البزي، فكان متقناً ثقة، وله مصنفات في القراءات. الذهبي: سير الأعلام، ج ٩، ص٤٩٧.

كما كـان للوافدين على مكـة من مجـاورين وحجـاج من مختلف الأقطار الإسلامية دور بارز في علم القراءات، فممن برع في علم القراءات في بلدانهم وأسهموا في تطور هذا العلم: أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٩م)[١]، ومكي بن أبي طالب القيسي (ت٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) كان كثير التردد على مكة للحج والجوار، أقام أربعة أعوام بمكة، وألف العديد من الكتب في هذا العلم منها كتاب: "الكشف في وجوه القراءات"[٢] وغيرهم من علماء القراءات الذين وفدوا إلى مكة، وعملوا على إقراء الناس القرآن وشرح مؤلفاتهم، مما أفسح المجال أمام حملة العلم الشغوفين لهذا العلم بالإنتاج والتوسع العلمي في هذا المجال.

ب – علم التفسير:

التفسير في اللغة:

مصدر فسر بتشديد السين مأخوذ من الفسر بمعنى البيان.

أما في الاصطلاح:

فعُرف بأنه: علم يبحث عن كيفية النطـق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية.

---

(١) الإمام المقرئ أبو عبيد القاسم البغدادي، حج في سنة ٢١٩هـ، ومكث في مكة مجاوراً حتى وفاته بها، أقام الكثير من حلقات العلم بالمسجد الحرام وإقراء الناس لهذا العلم. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٤٠٦ –٤١٢؛ الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة)، ص ١٣٦ –١٤١.

(٢) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، (تحقيق: أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، بيروت)، ج ٤، ص ٧٣٧ –٧٣٨.

وعرفه بعضهم بأنه: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه [١].

وهو علم يبحث في نزول الآيات، وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، وترتيب مكيها ومدنيها، ومتشابهها وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها ، وغيرها[٢].

وهو من أجل العلوم الدينية وأرفعها قدراً، وأشرف العلوم موضوعاً وغرضاً وحاجة إليه؛ لأن موضوعه كلام الله تعالى، الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، وأما من جهة الغرض منه فهو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وأما من جهة شدة الحاجة إليه؛ فلأن كل كمال ديني ودنيوي، لابد أن يكون موافقاً للشرع وموافقته متوقفة على علم بكتاب الله تعالى[٣].

وللارتباط مابين علمي القراءات والتفسير؛ فإنه يمكن اعتبار القراء من المفسرين أيضاً، حيث إن كل من العلمين يدلي للآخر، فالمقرئ لابد أن يعرف وجوها في التفسير، ولاسيما في تفسير الأحرف التي تختلف طرق أدائها بالقرآن، ولذلك عُرف الكثير من الصحابة

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٤٨ ؛ السيوطي: التحبير في علم التفسير، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص١٥-١٦.

(٢) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص٣٨٣ ؛ التهانوي، محمد بن علي الفارقي: كشاف اصطلاحات الفنون، (دار صادر، بيروت)، ج ١، ص٢٤.

(٣) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ج ٢، ص ٣٨٦.

رضي الله عنهم بتفسيرهم للقرآن الكريم، لمعرفتهم الكاملة وإلمامهم التام بمعانيه ومناسبات نزوله[١].

ولقد اشتُهر الكثير من التابعين وتابعيهم في مكة، وتمكنوا من الإلمام التام بعلم التفسير[٢]، فقد أُثر عن التابعي الجليل مجاهد وهو من أئمة التفسير[٣] قوله: "لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود، لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت"[٤]. في حين أن مجاهداً أخذ تفسيره كله عن ابن عباس، قال ابن أبي مُليكة قال: "رأيت مجاهدًا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحُه، فيقول له ابن عباس: "اكتب"، قال: حتى سأله عن التفسير كلِّه"، وعن مجاهد قال: "عرضتُ المصحفَ على ابن عباس ثلاث عَرْضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقِفه عند كل آية منه وأسألُه عنها"[٥].

ولقد ظهر علماء أجلاء اهتموا بهذا النوع من الدراسات القرآنية، وأسهموا في تطور علم التفسير وذلك عن طريق إقامتهم الحلقات والمجالس العلمية في المسجد الحرام، فضلاً عن قيامهم بتصنيف العديد من الكتب المختصة بهذا العلم، فمن هؤلاء العلماء على سبيل المثال:

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة، (ط٢، مؤسسة الكتب الثقافية،١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ج١، ص ١٧١.

(٢) فائقة إدريس عبد الله: التفسير في القرن الأول الهجري، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ)، ص٩٦ –١٣٢.

(٣) محمد عبد الله الخضيري: تفسير التابعين، ج١، ص ٨٣.

(٤) الترمذي: السنن، ج ٥، ص٢٠٠.

(٥) الطبري: جامع البيان ، ج١، ص ٩٠ ، ١٠٧، ١٠٨.

عكرمة مولى عبد الله بن العباس (ت ١٠٧هـ/ ٧٢٥م) كان بارعاً في علوم القرآن الكريم، حتى كان مقصداً للعلماء والفقهاء الذين يقدمون إلى مكة حاجين(١)، كما ساهم عطاء بن أبي رباح أحد أعلام مدرسة التفسير بمكة بجهود جبارة في استنباط وتفسير بعض الآيات القرآنية(٢)، وبعدهم من تلاميذهم كان عبد الملك بن جريح (ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، وهو من العلماء الذين جندوا أنفسهم لخدمة جوانب التفسير المختلفة، سواء كان ذلك بالرواية أو بنقل تفاسير مشايخه(٣).

ومن العلماء من صنف في تفاسير القرآن منهم: الإمام عبدالرازق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ/ ٨٤٢م)(٤) الذي رحل إلى مكة وطلب العلم فيها، ونبغ في الكثير من العلوم الدينية مثل التفسير فكان من مصنفاته كتاب "التفسير"، وكتاب "المصنف"، كما أن أبا بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (ت٢١٩هـ/ ٨٣٤م) تتلمذ على الإمام سفيان بن عيينة وغيرهم من علماء التفسير، مما أهله لأن يكون أحد علماء التفسير في عصره، فصنف كتاب "المسند" وكتاب "النوادر"، وأخذ عن الكثير من حملة العلم المكيين والوافدين إليها(٥). وكذلك محمد بن

(١) ابن سعد: الطبقات، ج ٥، ص٢٨٨، ج ٧، ص١٧٩ – ١٨٠.

(٢) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٢٣٣.

(٣) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٢٣٤.

(٤) الذهبي: سير الأعلام، ج ٧، ص٣٢٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص٢١٦، الفاكهي: أخبار مكة، ص٦٦.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، (تحقيق: عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١١هـ) ، ص ١٧٥ ؛ سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص٦٦٢.

إبراهيم بن المنذر أبو بكر النيسابوري (ت٣١٨هـ/٩٣٠م) الذي كان أحد الأئمة في وقته، والمجمع على إمامته، ووفور علمه، بدأ في طلب العلم في سن مبكر وأخذ من علماء بلده نيسابور، ثم ارتحل لسماع الحديث والتفسير والفقه وأصوله، وطاب له المقام في مكة، واشتغل بالتدريس والفتوى والتصنيف، وارتفع شأنه حتى صار شيخ الحرم(١)، وله مؤلفات في الحديث والفقه منها في التفسير: كتاب ضخم في بضعة عشر مجلداً، فسر فيه القرآن بكامله بالتفسير بالمأثور، وبالأحاديث الصحيحة، والآثار الثابتة والمسندة من أقوال الصحابة والتابعين كما هو معروف عن طريق السلف الصالح في تفسير القرآن(٢).

وهناك الكثير من العلماء الذين أثروا الدراسات التفسيرية في مكة في هذا العصر ، وكان لجهودهم في التصنيف والمحاضرات والدروس أبلغ الأثر في الارتقاء بهذه العلوم ومواصلة مسيرة الازدهار العلمي في شتى العلوم والمعارف، فخلّدوا بصمات واضحة في مسيرة العلم وتطوره.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص٤٩١ ؛ تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ٧٨٢ ؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٣٢٨ ، ابن النديم: الفهرست، ص٣٦١؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ص٤٤٠ ؛ الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص٢٩٤.

(٢) ابن المنذر، محمد بن إبراهيم: الإشراف على مذاهب العلماء، (ط١، دار طيبة، الرياض)، ص٧؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، (ترجمة: محمود فهمي حجازى، مراجعة: عرفة مصطفي وَسعيد عبد الرحيم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج ٣، ص٢٠٠.

- علم الحديث:

علم الحديث من أشرف العلوم بعد كتاب الله تعالى وأجلها، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(١). فهو علم يعرف به أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأحواله(٢).

يعرفه ابن خلدون بأنه: "معرفة الناسخ والمنسوخ، والنظر في الأسانيد، ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند كامل الشروط، لمعرفة صدقه على الرسول ﷺ، كذلك معرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط، وإنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة، ويكون لنا ذلك دليلاً على القبول أو الترك، ومعرفة مراتب النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحداً واحداً، وكذلك معرفة الأسانيد التي تتفاوت باتصالها وانقطاعها، بأن يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه، وبسلامتها من العلل الموهنة لها"(٣).

وقد كان للجهود التي بذلها علماء الحديث في سبيل حفظه، والقواعد التي وضعوها في نقد الأخبار والمرويات هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص، حيث تمكنوا من دراسة الأسانيد ونقد الرواة، ووضعوا قواعد عامة لتقييم الحديث وتمييزه إلى صحيح وحسن وضعيف، ولشدة اهتمامهم بهذا النوع من العلوم الشرعية فقد تفرع منه

---

(١) سورة الحشر: آية ٧.

(٢) الكافيجي ، محي الدين محمد: المختصر في علم الأثر، تحقيق: علي ذوين، دار الراشد، الرياض، ج ١/١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م، ص١١٠.

(٣) المقدمة: ج ٢، ص٢٥٣.

عدة علوم تخص الحديث مثل الجرح والتعديل، وناسخ الحديث ومنسوخه، وغريب الحديث، وأصول الحديث وغيرها من العلوم[١].

وبذلك صار علم الحديث يطلق على قسمين: علم الحديث رواية[٢]، وعلم الحديث دراية[٣].

واعتنى الصحابة بهذا العلم فحدثوا بعد وفاة النبي ﷺ، ثم حمله من جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم، ووضعوا لنا القواعد والضوابط في قبول الرواية أو ردها.

(١) علي محمد بن سعيد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية "٢١٢-٤٨٤هـ/٨٢٦-١٠٩١م"، (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٠م)، ص٢٨١؛ هدى بنت جبير السفياني: الحياة العلمية في الري وإقليم الجبال في العصر البويهي"٣٣٠/٤٢٠هـ-٩٤١م/١٠٢٩م"، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإسلامية قسم التاريخ والحضارة، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ٢٠٢.

(٢) علم الحديث رواية: علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول عليه الصلاة والسلام من حيث أحوال رواتها ضبطاً وعدالة، ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً. السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، (تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص٥٣؛ صبحي الصالح: علوم الحديث و مصطلحه، (ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م)، ص١٠٧.

(٣) علم الحديث دراية: علم يبحث في المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المراد منهما مبنياً على قواعد اللغة العربية وضوابط وقواعد الشريعة، ومطابقاً لأحوال النبي ﷺ. السيوطي: تدريب الراوي،ج١، ص٥٣-٥٤؛ صبحى الصالح: علوم الحديث، ص١٠٧؛ طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، (تحقيق: كامل بكري عبد الوهاب، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة)، ج ٢، ص ٨-١٢.

لقد مضي القرن الأول الهجري دون تدوين السنة النبوية[١] وكان الصحابة والتابعون معتمدين في ذلك على حفظها في صدورهم، وبدأ التدوين للسنة النبوية في أوائل القرن الثاني للهجرة، وذلك نتيجة لظهور الفرق السياسية، ووجود الثقافات الغير عربية، وفضلاً عن ظهور من يتعمد الكذب على النبي ﷺ وهذا ما جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز(ت ١٠١هـ/ ٧٢٠م) يقرر تدوين الحديث[٢].

وكانت مكة من مراكز العلم الأولى في تدوين هذا العلم، فتذكر لنا المصادر التاريخية أن أول من جمع الحديث بمكة ابن جريج (ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م)، وبالمدينة ابن إسحاق (ت١٥١هـ/ ٧٦٨م)، والإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، كما قام نظراؤهم من مختلف الأمصار الإسلامية بنفس هذا الدور تجاه حفظ هذا العلم[٣].

(١) تامر محمد عبد الرحمن رمضان: الاتصال العلمي في التراث الإسلامي من صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي، (دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة)، ص٤٨ -٥٢.

(٢) السيوطي: تدريب الراوي، ج١، ص٤٤؛ عبد الستار الشيخ: عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، (ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م)، ص ٧٤-٧٩.

(٣) وفي البصرة الربيع بن صبيح (ت١٦٠هـ/٧٧م)، وسعيد بن أبي عروبة (ت١٥٧هـ/ ٧٧٤)، وحماد بن سلمة (ت١٦٥هـ/٧٨٢)، وفي الكوفة سفيان الثوري (ت١٦١هـ/ ٧٧٨م)، وفي الشام الأوزاعي (ت ١٥٩هـ/٧٧٦م). الرامهرمزي، القاضي الحسن بن عبد الرحمن: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، (تحقيق: محمد عجاج الخطيب، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٤م)؛ حسن أحمد محمود وَ أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، (ط٥ ، دار الفكر العربي، القاهرة)، ص٣٦٢؛ أحمد أمين: فجر الإسلام، (ط١، القاهرة، ٢٠٠٩م)، ص ٢٧٠.

ولقد نالت مكة الصدارة العلمية بالنسبة لعلوم السنة النبوية، حتى أصبح علماؤها حجة في ضبط هذا العلم[١]، ويؤكد ذلك قول الإمام الشافعي: "إذا جاوز الحديث الحرمين ضعف نخاعه"[٢]، ويوجز أحد مؤرخي الإسلام كل ذلك في قوله: "أصح طرق السنن ما يرويه أهل الحرمين مكة والمدينة"[٣].

ونظراً لتلك المكانة العلمية التي نالها علماء الحديث بمكة، صارت مكة مقصداً لطلبة العلم والعلماء والذين منهم على سبيل المثال: مجاهد بن جبر الذي روى عن الكثير من الصحابة[٤] وعطاء بن أبي رباح الذي أدرك مائتين منهم[٥]، وكذلك عبد الله بن أبي مليكة الذي أدرك ثلاثين من الصحابة، وقيل مائة وثلاثين منهم[٦]، وسفيان بن عيينة الذي روي الكثير من الحديث، وصنف مصنفات عدة جامعة في الحديث، سكن مكة مجاورا فنسب إليها وهو أحد أئمة الحديث، لَهُ مصنفات كثيرة"، وذكر الذهبي أنه صنف كتابه "السنن" بمكة[٧].

(١) القاضي عياض: المدارك، ج١، ص٦٢.

(٢) الرازي: ابن أبي حاتم: آداب الشافعي ومناقبه، (تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، مكتبة التراث الإسلامي، حلب)، ص٢٠٠.

(٣) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (تحقيق: محمد رأفت سعيد، ط١، دار الفلاح، الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١ م)، ج١، ص ٣٤٣.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص٥٤٠.

(٥) ابن حبان، محمد بن حيان البستي: الثقات، (ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ج ٦، ص٢٦٥ .

(٦) البخاري: التاريخ الكبير،(مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ج٥، ص١٣٧.

(٧) المزي: تهذيب الكمال ، ج١١، ص ٨١.

كما استفاد الكثير من حملة العلم من مسند يعقوب بن حميد بن كاسب(ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)[١]، ومحمد بن يحي بن أبي عمر المدني المكي (ت٢٤٣هـ/ ٨٥٧م)، الذي نزل مكة للالتقاء بعلمائها، وهو من شيوخ مسلم والفاكهي، وله العديد من المؤلفات منها: "المسند"، و"الإيمان" وسمع ولازم سفيان بن عيينة[٢].

ومن الطبقة التي تليها كان كذلك مسلم بن الحجاج الذي درس بنفسه هذا العلم في أحد المواسم[٣]، ومحمد بن إسماعيل البخاري الذي عني بالتدريس بمكة وأخذ ينهل من علوم علمائها وخاصة الحديث[٤]، والحسين بن الحسن المروزي (ت٢٤٦هـ/٨٦٠م) حدث عن ابن المبارك وعن سفيان بن عيينة، وجاور بمكة، وتتلمذ عليه الفاكهي، وألف "البر والصلة"[٥]. وأبو محمد الحسن بن على الخلال الحلواني (ت٢٤٢هـ/ ٨٥٦م) نزيل مكة، طلب علم الحديث من علمائها إلى أن أصبح إماماً

---

(١) ابن كاسب من علماء المدينة ومحدثيها البارزين، نزل مكة، وسمع من إبراهيم بن سعد الأنصاري وعبد العزيز بن أبي حازم وغيرهما، وكما حدث عن البخاري وابن ماجه وأحمد بن حنبل. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٢، ص ٤٦٦-٦٦٧.

(٢) الذهبي: معرفة القراء،ج١، ص٢٢٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ٣٨٧ – ٣٨٨.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص٣١١.

(٤) عرف بحبه الشديد لعلم الحديث، وأخذه عن علماء مكة والمدينة، وكان يكثر الرحلة في في طلب الحديث، وكتابة أكبر قدر من الحديث عن العلماء، حتى ذكر أنه حجب نفسه في المدينة سنة كاملة كتب فيها الحديث. السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٤٩.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٤٢٦ ؛ الفاكهي: أخبار مكة، ص٦٧؛ الفاسي: الفاسي: العقد الثمين، ج ٤، ص١٨٩ – ١٩٠.

عالماً بالرجال، قيل عنه: "بقي اليوم في الدنيا ثلاثة الذهلي بخراسان، وابن الفرات بأصبهان، والحلواني بمكة"(١).

وبعدهم من أئمة العصر المبرزين في الحديث وعلومه أيضاً أحمد ابن علي بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، شيخ الإسلام أحد أئمة الدنيا في الحديث صاحب السنن، رحل إلى مكة لسماع الحديث، وعرف بشغفه الشديد لعلم الحديث(٢)، كما كان أبو أحمد محمد بن أحمد العسال الأصبهاني (ت ٣٤٩هـ/٩٦٠م) من أشهر علماء الحديث، فقد بدأ سماعه منذ وقت مبكر، فسمع ببلده، ثم رحل إلى الحرمين وأخذ عن علمائها هذا العلم(٣)، وقد تميز العسال في هذا المجال وشهد له الكثير من علماء عصره بذلك، ذكر صاحب "طبقات المفسرين" أن العالم ابن منده امتدحه فقال: "طفت الدنيا شرقاً وغرباً فلم أر مثل أبي أحمد العسال"(٤)، وللعسال مصنفات حسان في هذا العلم منها كتاب: "السنة"، و"مسند الأبواب على غريب الحديث" وغيرها(٥).

---

(١) ابن عبد الهادي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الصالحي: طبقات علماء الحديث، (تحقيق: أكرم البوشني، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ج٢، ص١٩٩.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٣، ص١٤.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص١٧٠ ؛ السمعاني: الأنساب، ج ٤، ص١٩٠.

(٤) السمعاني: الأنساب، ج ٤، ص١٩٠.

(٥) الداودي: طبقات المفسرين، ج ٢، ص٥٣؛ البغدادي: هدية العارفين، ج ٦، ص٤٣.

وقد تميز المحدثون بمكة أيضاً في دراستهم للحديث بأن رخَّص بعضهم في رواية الحديث بالمعنى(١)، بشرط عدم الإخلال بمضمون الحديث ومعناه(٢).

كما وافق بعض المحدثين المكيين على قبول خبر الواحد، بل والاحتجاج به إذا كان الراوي متمتعاً بالثقة والثبات(٣).

ولا أدل على قوة الحديث في مكة من قول الإمام المحدث الخطيب البغدادي: "أصح طرق السنن ما يرويه أهل الحرمين مكة والمدينة فإن التدليس فيهم قليل والاشتهار بالكذب ووضع الحديث عندهم عزيز"(٤).

- الفقه وأصوله:

الفقه: هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة وهي ملتقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه(٥).

---

(١) أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال، (تحقيق: وصي الله عباس، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت،١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج ٢، ص٤٣٥.

(٢) الشافعي، محمد بن إدريس: الرسالة، (تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، ص ٣٧٠.

(٣) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٢٦٥.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص١٢٨.

أما **علم أصول الفقه**، فيهدف إلى معرفة مراتب الأوامر والمناهي المذكورة في الكتاب والسنة، ومعرفة ما أجمع عليه الأئمة وما قاسوه، بالاجتهاد عن طريق الاستنباط[١].

وكان يُطلق منذ العهد النبوي على العالم الملم بالعلـوم الشرعية الفقيه، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: "من يرد الله به خيراً يفقه في الدين"[٢].

ومن المعروف أن الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان اللذان تم الاعتماد عليهما في التشريع الإسلامي، فاستنار بذلك الصحابة الكرام بإتقانهم وإلمامهم التام بهما، كما أنهم استهلوا الاجتهاد بالرأي، المبني على عدم التجاوز لتعاليم الدين الإسلامي وقواعده والخروج عنها، وقد لجأ الصحابة الكرام إلى استخدام باب الاجتهاد بالرأي منذ حياة الرسول ﷺ، وأقرهم النبي ﷺ على ذلك، بل وحثهم عليه[٣]، وأصبح باب

(١) زاده: مفتاح السعادة، ج ٢، ص١٩٤.

(٢) البخاري: الصحيح، كتاب بدء الوحي، (١٤) باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ج١، ص ٢٧، ح (٧١).

(٣) وذلك يثبت بأنه لما أراد رسول الله ﷺ أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: "كيف تقضى إذا عرض لك قضاء. قال: أقضى بكتاب الله. قال: فإن لم تجد في كتاب الله. قال فبسنة رسول الله ﷺ . قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله. قال أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله ". أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، (دار الكتاب العربي، بيروت)، (١١) باب اجتهاد الرأي في القضاء، ج٣ ، ص ٣٣٠، ح (٣٥٩٤). وانظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، (تحقيق: مجموعة من المحققين، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج ٢٤، ٣٧٢.

الاجتهاد مصدراً ثالثاً يضاف إلى الكتاب والسنة، ثم صار اتفاق هؤلاء العلماء المجتهدين دليلاً وحجة، وهو ما عبر عنه بالإجماع[١].

كما وصل إلينا عن الصحابة مصدر آخر من مصادر الفقه الإسلامي، وهو القياس[٢]، حيث كانوا يعتمدون عليه من خلال الأحداث والنوازل المحيطة بهم، وهذا الأمر شجع الكثير من فقهاء الأمة في عصر التابعين[٣] ومن بعدهم حتى نهاية القرن الثاني للهجرة، فاستدلوا بان على الأحكام بنظائرها مما كون ثروة فقهية أسهمت – بدورها– إسهاماً كبيراً في تطور علم الفقه[٤].

وهذه المصادر الفقهية احتاجت إليها الأمة لعدة أمور منها:

---

(١) الإجماع: هو علم باتفاق مجتهدي العصر من أمة محمد ﷺ على حكم شرعي استناداً إلى الكتاب والسنة أو القياس. موسوعة الفقه الإسلامي المقارن، (القاهرة، وزارة الأوقاف المصرية)، مج ١، ج ١، ص ١٨.

(٢) القياس: هو حجة ودليل من الأدلة الإجمالية ومصدر فقهي، وعلى القياس يقوم أكثر الفقه الاجتهادي. موسوعة الفقه الإسلامي المقارن، مج١، ج١، ص ١٨؛ محمد الحسيني عبد العزيز: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، (ط١، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت)، ص٧٢.

(٣) ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر، أعلام الموقعين عن رب العالمين، (تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد، ط٢، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ص١٧٦.

(٤) ناصر عقيل الطريفي: تاريخ الفقه الإسلامي، (ط١، شركة العبيكان، الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص٣٥-٩٣؛ شعبان محمد إسماعيل: التشريع الإسلامي ومصادره وأطواره، (ط١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص ٢١٠-٢١٥؛ محمد علي السايس: تاريخ الفقه الإسلامي، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م)، ص٨١ -٨٢.

- امتداد رقعة الإسلام شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، بعد أن فتح الله على المسلمين بلدانا كثيرة كالعراق والشام وإفريقيا وفارس وما وراء النهر وغيرها[١].

- كما أن الدولـة الإسلاميـة ضمت بيئات مختلفة ، ودخل في الإسلام أقوام من حضارات متعددة منها الفارسية والهندية والرومانية وغيرها، فاستجدت أمور من امتزاج المسلمين بغيرهم، فواجه الفقهاء على أثر ذلك أحداثاً جديدة تتعلق بالمعاملات، وتنظيم الصِلات بين الأفراد والجماعات، ونجم عن ذلك مشاكل جديدة، فكان اللجوء إلى الاجتهاد والقياس من الضرورة بمكان، لإيجاد الحلول المناسبة لها، يقول صاحب كتاب "الملل والنحل": "وبالجملة نعلم قطعاً ويقيناً أن الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد، ونعلم قطعاً أيضاً أنه لم يرد في كل حادثة نص، ولا يتصور ذلك أيضاً، والنصوص إذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية،... عُلم قطعاً أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدر كل حادثة اجتهاد"[٢]. وبذلك ازدهرت الدراسات الفقهية في مكة، فأصبحت مع بداية القرن (٢هـ/٨م) من أهم المراكز العلمية في ظل وجود عدد من الفقهاء الذين تأثروا بفقه ابن عباس –رضي الله عنهما–، ونهجوا طريقته، مؤسسين بذلك مدرسة فقهية بمكة[٣].

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص١١٥؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٩٤.

(٢) الشهرستاني، محمد عبد الكريم: الملل والنحل، (تحقيق: محمد بن فتح الله بدران، مطبعة الأزهر، القاهرة، ١٩٤٧م)، ج١، ص١٩٩.

(٣) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٢٦٧ ؛ فاطمة حمدان حمود اليماني: الحياة السياسية والثقافية في مكة والمدينة المنورة في العصر العباسي الأول، (رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم التاريخ كلية التربية للبنات، جدة، ١٤٠٥هـ)، ص١٨٦.

وهكذا توسعت الدراسات الفقهية في مكة، ونبغ الكثير من علماء مكة والوافدين إليها، مقتفين في ذلك أثر أسلافهم فقهاء مكة خاصة وأقطار المشرق الإسلامي عامة [١] وممن برعوا في ذلك: عبد الله بن أبي نجيح (ت١٣٢هـ/٧٥٠م)[٢]، والإمام أبو عُبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت٢٢٤هـ/٨٣٩)[٣]، قدم من بغداد إلى مكة للحج، وقد حمل معه العديد من مصنفاته في علم الفقه، قام بشرحها على طلبة العلم بمكة، فاستفاد منهم خلق كثير، حتى أن بعض تلاميذه قام بتدريسها للطلبة ومحبي العلم منهم على بن عبد العزيز اليعقوبي، والذي قام بتدريس هذا العلم على حملة العلم بمكة[٤]، وعلي بن حكيم بن السعدي الفقيه (ت٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)[٥]، والإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م) رحل إلى مكة فتلمذ على أشهر علمائها في الفقه كالشافعي وغيره، عرف بأنه إمام للفقه ودقائقه[٦]، وكذلك أبو بكر محمد

(١) الشافعي، محمد بن إدريس: جامع العلم، (تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤ م)، ص٤٢-٤٦.

(٢) هو عبد الله بن أبي نجيح بن يسار الثقفي المكي، كان ثقة كثير الحديث، ومفتياً لأهل مكة في كثير من مواسم الحج بعد عطاء بن أبي رباح. ابن سعد: الطبقات، ج ٥، ص٤٨٣؛ ابن حجر: تهذيب، ج ٣، ص٢٨٤ -٢٨٥؛ تقريب التهذيب، (دار الرشيد، حلب، ١٤٠٦هـ)، ج٢، ص ٧٠١.

(٣) السيوطي: طبقات الحفاظ، ص ١٧٩، ١٨٠.

(٤) القزويني، أبو يعلى الخليل بن عبد الله: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، (تحقيق: محمد سعيد إدريس ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ج ٢، ص٧٧٨.

(٥) ممن جاور بمكة قرابة العشرين سنة، له الكثير من الكتب، كان فقيهاً ثقةً زاهداً، عرف بعلي البكاء لكثرة بكائه. الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ١٥٥، ١٥٦.

(٦) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٢، ص٩٦.

ابن الحسين الآجري الفقيه (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)[١]، الذي أقام بمكة مجاوراً ما يقرب من ثلاثين سنة، وخلال هذه الفترة قام بالتصنيف والتدريس، فمن كتبه: "مختصر الفقه"، و"الشريعة" ، و"أحكام النساء"، و"النصيحة"، وغير ذلك[٢].

كذلك تأثر الكثير من حملة العلم بمكة بمعلميهم خصوصاً بعد ملازمتهم لهم فترة من الزمن، فهذا الإمام الشافعي الذي قضي حياته العلمية في مكة وبرز نبوغه العلمي فيها، كان تأثير اتجاهه الفقهي واضحاً على حملة العلم بمكة، والشافعي "أول من صنف في أصول الفقه صنف فيه كتاب الرسالة، وكتاب أحكام القرآن، واختلاف الحديث، وإبطال الاستحسان وكتاب جماع العلم وكتاب القياس الذي ذكر فيه تضليل المعتزلة ورجوعه عن قبول شهادتهم، ثم تبعه المصنفون في الأصول. قال الإمام أحمد بن حنبل: لم نكن نعرف الخصوص والعموم حتى ورد الشافعي، وقال الجويني في شرح الرسالة: لم يسبق الشافعي أحد في تصانيف الأصول ومعرفتها"[٣].

وعن الشافعي أخذ المكيون، فقد نقلوا عنه آراءه الفقهية[٤]، فممن تأثر بعلمه: موسى بن أبي الجارود المكي الفقيه، من علماء القرن

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص٣٥.

(٢) ابن النديم: الفهرست، ص٢٦٤ ؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، (الهيئة المصرية العامة لكتاب، ١٩٧٧م)، ج ١، ص٣١٤.

(٣) الزركشي: بدر الدين محمد بن بهادر: البحر المحيط في أصول الفقه ، (تحقيق: محمد محمد تامر، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ج١، ص ١٨.

(٤) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ٢٦٩ –٢٧٠.

الثالث الهجري، تتلمذ على الشافعي وتفقه به، حتى أصبح من أبرز تلاميذ الإمام الشافعي، وقد روى عن الشافعي بعض كتبه، منها كتاب "الأمالي"[(١)]، كما تفقه على الشافعي الإمام عبد الله بن الزبير الحميدي المكي، فقد لازمه في مكة، وأخذ منه بعض المسائل الفقهية المختلفة، ورحل مع الشافعي إلى مصر ولزمه حتى مات الشافعي ثم رجع إلى مكة. وقال يعقوب بن سفيان الفسوي: ما رأيت أنصح للإسلام وأهله من الحميدي[(٢)].

ولعل أشهر من أخذ الفقه على الشافعي بمكة فقيهي أهل الحديث أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، الذي تتلمذ على الشافعي بمشورة الإمام أحمد، حيث ذكر أنه قال له: "جالس هذا الرجل – يعنى الشافعي، قلت ما أصنع به سنه قريب من سننا! أترك ابن عيينة والمقري؟ قال ويحك إن ذاك لا يفوت وذا يفوت، فجالسته"[(٣)].

ومن خلال ما أوردته كتب التراجم والأنساب المتاحة من معلومات عن علماء الحديث والفقه بمكة خلال فترة البحث ؛ يمكن القول بأن الإنتاج العلمي في كافة العلوم الدينية كان إنتاجاً ضخماً نظراً لكثرة عد ما صنفوه ، كما كان إبداعياً إلى درجة بعيدة في المحتوى فبالنظر إلى بعض منصفاتهم يرى المرء أنه أمام جهود جبارة ،

(١) الأسنوي: طبقات الشافعية، (تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج ١، ص٢٩–٣٠؛ المزي: تهذيب الكمال، ج ٢٩، ص٤١ –٤٢.

(٢) الإسنوي: طبقات الشافية، ج ١، ص٢٢؛ طبقات الفقهاء ، ص: ٦٩ . ٩٩.

(٣) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ، ج٧ ، ص ٢٠٢.

ودراسات مستفيضة ، لاسيما فقه الخلاف وعلوم الحديث عامة، فقد أسهم هؤلاء العلماء بشكل كبير ومتميز في تطور هذه العلوم ، وكان لذلك أثره الكبير في تطور الحركة العلمية في مكة، والذي بدوره أثرى الحياة العلمية في دار الإسلام بوجه عام [١].



(١) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٢٤ – ٢٢٥.

۞ علوم الأدب واللغة

اللغة العربية إحدى اللغات السامية، والتي تحدث بها سكان الجزيرة العربية، وإليها تنسب فهي أقرب اللغات السامية إلى أصلها؛ لأن العرب لم تخالط غيرها كثيراً، ولم تدخل تحت حكم أمة أعجمية مدة طويلة[(١)].

يذكر المقدسي أن اللغة العربية هي لغة أهل الجزيرة العربية بصفة عامة، باختلاف لهجات القبائل، وذلك من خلال قوله: "وجميع لغات العرب موجودة بوادي هذه الجزيرة إلا أن أصحها لغة هذيل"[(٢)]، وأشار المقدسي إلى فصاحة وتميز أهل مكة في اللغة عن غيرهم من أهل الأمصار الإسلامية الأخرى[(٣)].

وهذا الذي أشار إليه الخليفة الراشدي عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ/ ٦٥٦م) ، فقد أمر كتاب المصاحف عند كتابة المصحف أن يكتبوه بلغة قريش، وكانوا إذا اختلفوا في وضع الكتابة على أيِّ لغة، رجعوا إلى عثمان، كما اختلفوا فى التابوت٢ أيكتبونه بالتاء أو الهاء؟ فقال زيد بن ثابت: إنما هو التابوه، وقال الثلاثة القرشيون: إنما هو التابوت، فترافعوا إلى عثمان فقال: اكتبوه بلغة قريش؛ فإن القرآن نزل بلغتهم[(٤)].

---

(١) أحمد الإسكندري ومصطفي عثمان: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، (دار المعارف، مصر)، ص٥.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٩١.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٤١.

(٤) ابن كثير: فضائل القرآن ، (مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٦هـ)، ص: ٧١.

فقد شرف الله تعالى العرب واللغة العربية فأنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فأضحت لغة العرب جزءاً من الدين انتشرت بانتشاره، وقدر لها الخلود لارتباطها بقرآنه.

وقد تعددت فروع اللغة العربية بعد تدوين العلوم، وصار علم اللغة يعرف بأنه: علم يبحث عن مدلولات الألفاظ والمفردات، وغايته الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني والوقوف على ما يفهم من كلمات العرب، ومنفعته طلاقة العبارة وجزالتها، والتمكن من التفنن في الكلام وإيضاح المعاني بالبيانات الفصيحة(١).

وبذلك حظيت علوم اللغة بالاهتمام البالغ من قبل علماء الأمة الإسلامية من حيث كونها تخدم علوماً متنوعة أهمها العلوم الشرعية، فبها يستطيع الإنسان تقويم لسانه من الاعوجاج وتجنب اللحن المؤدي إلى فساد المعني(٢).

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون ، (دار الفكر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ج ٢، ص٤٦٧ ؛ علي بن محمد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية، ص٣٦٨، رشاد بن عباسي معتوق: الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي"٣٣٤ – ٤٤٧هـ/٩٤٥-٨-١٠٥م" (ط١، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص٣٢٧.

(٢) الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد بن علي: الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة، (تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط١، دار ابن زيدون للطباعة والنشر، بيروت)، ص٥٤؛ القنوجي، صديق بن حسن: أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، (أعده للطبع وفهرسه: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، دمشق، ١٩٧٨م)، ج ١، ص٢٣٢؛ محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، (ط٢، دار المغرب، الرباط، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ص٥٦.

وتنقسم العلوم اللغوية إلى قسمين هما:

أ- علم اللغة والنحو:

من المعلوم تاريخياً أنه قد اشتركت جميع أقاليم الدولة الإسلامية في التراث اللغوي والنحوي، ولم تختص بلدة به دون الأخرى لحاجة جميع البلاد له، ولذلك لم يظهر كتاب من كتب اللغة في منطقة من مناطق الدولة الإسلامية، إلا ونجد نحوه في مكان آخر، وتنتقل هذه الكتب بين أقاليم العالم الإسلامي[١].

وساعد على ذلك التنقل للمؤلفات ، العلماء الرحالون وطلبة العلم فقد جمعوا الكتب ونقلوها لشتى الأصقاع ومنها مكة، حيث كان موسم الحج بمنزلة مكتبة متنقلة كبيرة أثرت فرص الإطلاع وتبادل الكتب وتلاحم الأفكار بين العلماء وطلبة العلم[٢].

وكان الشغف الكبير لدى أبناء تلك الأقاليم خصوصاً حملة العلم منهم من محبي اللغة وآدابها يدفعهم إلى التوافد على مكة والتردد على بواديها لمشافهة أهلها وأخذ اللغة العربية عنهم.

ومنهم على سبيل المثال: إمام العربية علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م) الذي عرف عنه أول أمره أنه كان يلحن[٣] في

(١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي "عصر الدول والإمارات . الجزيرة العربية، والعراق، وإيران" (دار المعارف، مصر)، ج ٥، ص٦٢.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص٨١ – ص٣٩٢.

(٣) يذكر أن الكسائي تعلم النحو على كبر وسبب ذلك: أنه جاء إلى قوم وقد أعيا، فقال: قد عييت، فقالوا له تجالسنا وأنت تلحن، قال: كيف لحنت؟ قالوا له: إن كنت أردت من التعب فقل: أعييت، وإن كنت أردت انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل: عييت، ⇦

كلامه، فاضطره ذلك للخروج إلى الحجاز على كبر سنه ليأخذ عن أهلها علم العربية ويشافههم بها، فرجع بعد أن دون ما سمعه عن لغة العرب واستهلك في سبيل ذلك خمس عشرة قنينة من الحبر سوى ما حفظ(١).

وقد ظهر في مكة عدد من العلماء الذين اشتهروا بالفصاحة ومعرفة اللغة العربية ومنهم يحيى بن المبارك اليزيدي (ت٢٠٢هـ/ ٨١٧م)، النحوي اللغوي البارز في مكة(٢)، وكذلك محمد بن مناذر الذي كانت له الدروس المتنوعة في النحو واللغة بالمسجد الحرام(٣)، وكذلك

فأنف من ذلك، وقام من فوره، فسأل ممن يعلم النحو، فدل على معاذ الفراء، فلزمه ولقي الخليل الفراهيدي، ثم خرج إلى بادية الحجاز لتعلم النحو واللغة، واستمر في ذلك مدة من الزمن. الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص١٠٠-١٠٧؛ الخوارزمي، أبي عبد الله محمد بن أحمد: مفاتيح العلوم، (تحقيق: فان فلوتن)، ص١٩.

(١) ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة)، ص٦٧-٩٦ ؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، (دار المستشرق، بيروت)، ج ١٣، ص١٦٧ -١٦٩.

(٢) أحد علماء النحو في البصرة، عرف بعلم النحو والقراءات، وأدب الخليفة المأمون بن الرشيد، وله بعض الأشعار. الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسين الأندلسي: طبقات النحويين واللغويين، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة)، ص٦١-٦٥؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج ٢، ص٣.

(٣) يذكر عن أبي سعيد عبد الكريم بن روح قال: قال أهل مكة لمحمد بن المناذر البصري الشاعر: ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة، وإنما الفصاحة لنا أهل مكة، فأنتم تسمون الطلع الكافور والأغريض، ونحن نسميه - أهل مكة – الطلع، قال فذكر عشر كلمات لم أحفظ منها إلا هذا. الجاحظ: البيان والتبيين، (تحقيق: فوزي عطوي، ط١، دار صعب، بيروت، ١٩٦٨م)، ص ٢٥؛ ابن المعتز، عبد الله بن المعتز: طبقات الشعراء، (تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٤، دار المعارف، القاهرة)، ص ١١٩.

الإمام الشافعي الذي عُد حجة في اللغة العربية، وقد استفاد منه في اللغة أيضاً الإمام أحمد بن حنبل خلال وجوده في مكة(١).

كما استفاد من علماء مكة إمام القراءة خلف بن هشام بن ثعلب البغدادي (ت٢٢٩هـ/٨٤٣م) الذي رحل إلى مكة فنهل من علوم علمائها، وخاصة في علم اللغة والنحو(٢)، كذلك رحل إلى مكة طلباً للعلم الفضل بن محمد بن باذان الشعراني (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) ، حيث تتلمذ بها على أيدي مجموعة من علمائها(٣)، كما كان محمد بن أحمد القرشي (ت٣١٩هـ/٩٣١م) من العلماء البارزين في علمي النحو والحديث بمكة(٤)، وكذلك إمام اللغة المشهور عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م) الذي انصب اهتمامه على النحو، **فصنف** في الحرم كتابه المعروف "الجمل"(٥).

ب- علم الأدب:

يُعد هذا العلم من أهم العلوم التي ينبغي معرفتها والإلمام بها للمشتغلين بعلوم اللسان ودراسة الأدب بأشكاله المختلفة من شعر ونثر،

(١) ابن أبي يعلى، محمد بن الحسين بن خلف: طبقات الحنابلة، (دار المعرفة، بيروت)، ج ١، ص٢٥٢-٢٨١.

(٢) قال خلف: (أُشكل عليَّ باب من النحو، فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حذقته). الداوودي: طبقات المفسرين، ج ١، ص١٦٤.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٢، ص٣٥١.

(٤) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (دار المعرفة، بيروت)، ص٢٠٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص٣٧٧.

(٥) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق: الأمالي، (تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧ م)، ص١١.

وله أهميته البالغة أيضاً في العلوم الشرعية كالتفسير والفقه، وهو يشتمل على العديد من العلوم الأدبية من شعر وكتابة وخطابة سياسية ودينية(١).

- – **الشعر:**

لقي الشعر اهتماماً بالغاً، وإقبالاً متزايداً، في القرنين الأول والثاني للهجرة، على عكس ما كان عليه فيما بعد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، فقد غلب النثر، وانتشر انتشاراً واضحاً، ولعل ذلك يعود لأسباب عديدة أهمها:

– أن بلاد الحجاز عامة لم تُعد عاصمة الدولة الإسلامية كسابق عهدها، فلم تُعد أرض جذب للشعراء ليمدحوا الساسة والقادة(٢).

– نظراً للانتقادات التي كانت توجه من قبل بعض العلماء لبعض الشعراء، وإبداء النصح لهم بتركه، والاهتمام بعلم الشريعة بدلاً من ذلك، مما أدى إلى عزوف الكثير من مجيدي الشعر عنه، وإقبالهم على تعلم العلوم الشرعية منهم: الإمام محمد بن إدريس الشافعي(٣)، الذي أقبل على الشعر ونظم فيه القصائد الهادفة وذلك قبل أن يتجه إلى العلوم الشرعية، والتي كرس جهده ووقته فيها، وبرع وعلا نجمه في سمائها، ومن نظمه في الشعر:

---

(١) انظر تعريف علم الأدب بتوسع : ابن خلدون : المقدمة، ص ٣٥٧.

(٢) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، (مكتبة النصر، الرياض، ١٣٨٦هـ/١٩٦٥م)، ج ١، ص٣٩٣.

(٣) الداودي: طبقات المفسرين، ج ٢، ص٩٩.

فلولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد[١].

وقال النووي عن الكرابيسي في "تهذيب الأسماء": "ما رأيت مثل الشافعي ولا رأى الشافعي مثل نفسه، وما رأيت أفصح منه ولا أعرف، ما رأيت مجلسًا قط أنبل من مجلس الشافعي، كان يحضره أهل الحديث، وأهل الفقه، وأهل الشعر، وكان يأتيه كبار أهل اللغة والشعر، فكل يتكلم منه"[٢].

وهكذا كان يجلس ليعلم العلم الشرعي من حديث وفقه إضافة إلى الشعر، فقد كان يعلم بعض حملة العلم بمكة والوافدين إليها الشعر فضلاً عن قيامه بتفسير معانيه لهم[٣].

وكان شعر الزهد والتنسك والحرص على طلب العلم هو الشعر السائد في مكة فترة البحث ويعود ذلك لمكانة مكة الدينية، ومنزلتها في قلوب المسلمين، لذا كان اتجاه المكيين والوافدين عليها هو التخصص في هذا اللون من ألوان الشعر، فنرى الكثير من حملة العلم في مكة والوافدين عليها يقبلون على شعر الزهد تعلماً وتعليماً، كذلك تناول علماء مكة والوافدين عليها بعض موضوعات الشعر الأخرى ذات الصلة بجوانب الحياة المحيطة بهم[٤]، خاصة ما كان يمس الأوضاع السياسية.

---

(١) البيهقي، أحمد بن حسين: مناقب الشافعي، (تحقيق: أحمد صفر، دار التراث)، ج٢، ص ٦٢.

(٢) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ص٨٧.

(٣) النووي: تهذيب الأسماء، ٥٠ . ٥١؛ عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٣٠٠ . ٣٠١.

(٤) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٣٠١ . ٣٠٢.

ومن بين الشعراء الذين أسهموا بنصيب في هذا المجال "السائب بن فروخ"[١]، الذي ناصر الأمويين بشعره، وأسرف في مدحهم[٢].

وكذلك "كثير بن كثير السحمي"، فقد تعاطف مع العلويين وناصر قضيتهم ، منتقداً سياسة بني أمية في التضييق عليهم ، وقد عبر عن ذلك من خلال شعره[٣].

ومن الشعراء الذين أكثروا الإنشاد بمكة: عيسى بن عمر أبو محمد اليزيدي، وكان عفيفاً تقياً، وقد ذكر ابن المعتز عن ابن الأشعث المكي قال: قدم علينا اليزيدي مكة في رجب فأقبل على العبادة والاجتهاد والصوم والصدقة. وكان أصحابنا من أهل الأدب مجتمعون له ليؤانسوه فيقول: ما شيء أحب إلي من مشاهدتكم ومحادثتكم، ولكن هذا بلد يتقرب فيه إلى الله بالأعمال الصالحة، وإنما أقيم شهراً أو شهرين ثم انصرف إلى بلدي، فإن رأيتم ألا تجروا في مجلسي رفثاً ولا خناً ولا هجاءً في شعر ولا غيره فافعلوا، يقول ابن المعتز: "وقال بمكة أشعاراً كثيرة في الموعظة والحكمة، ولا يتعدى ذلك إلى غيره. وأشعاره كثيرة، وهو مؤدب المأمون"[٤].

---

(١) أبو العباس المكي ، شاعر أعمى، روى بعض الأحاديث، وهو ثقة صدوق، عاش في زمن بني أمية، ولم يذكر تاريخ وفاته. الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص ٥٠٨.

(٢) الكتبي، محمد بن شاكر: فوات الوفيات والذيل عليها، (تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م) ، ج٢، ص ٤١.

(٣) كثير بن كثير بن أبي وادعة السحمي، شاعر مكي، روى الحديث عن أبيه وعن سعد بن جبير وغيرهما. لم يذكر تاريخ وفاته. الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص٩١ . ٩٢.

(٤) ابن المعتز، عبد الله العباسي: طبقات الشعراء، (تحقيق: صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال ، ٢٠٠٢م)، ص ٢٧٥.

ومن شعراء القرن (٤هـ/١٠م) الشاعر علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)، وهو أحد أعلام فقهاء الشافعية، كان شاعراً مجيداً، عرف بفصاحته وبلاغته في النظم، طاف البلاد، وخالط العلماء، واقتبس العلوم والآداب، تأثر بشعره العديد من الشعراء منهم الشاعر سعد بن علي الزنجاني، والذي جاور بالحرم المكي في نهاية القرن الرابع الهجري، وكان ينشد شعر الزهد والورع ، خاصة أشعار الأديب علي بن عبد العزيز، فممن أنشده له قوله:

ما تطعمت لــــذة العيش حتى   صرت للبيت والكتاب جليساً
ليس شيء أعز عندي من العلم   فلــم أبتـغ ســـواه أنيســـاً
إنما الذل في مخالطـــة الناس   فدعهـم وعش عزيزاً رئيسـاً[١].

وقد عبر المجاورون بمكة عن مدى فرحتهم بمجاورة البيت العتيق، وأن يديم عليهم نعمة المجاورة مدى العمر فأنشد بعضهم قائلاً:

بمكة قد طابت مجاورتي فـــيا   إلهي فاجعلها مدى العمر سرمداً
فأنت الذي أحللتني ساحة الهوى   وعـــودت قلبي عــادة فتعودا[٢].

ومما أنشده أحد المجاورين وهو ابن بابويه الصوفي[٣] المحدث وهو يطوف بالبيت أثناء حادثة القرامطة، والسيوف تنهشه قائلاً:

ترى المحبين صرعى في ديارهم   كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا[٤].

---

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٤، ص ١٥٩.
(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة، مج ١، ج٢، ص ١٥٨.
(٣) هو علي بن بابويه الصوفي، المحدث، (ت ٣١٧هـ/٩٢٩م)، من مجاوي الحرم المكي، اعتنى بالشعر، ونظم فيه الأبيات الرائقة حتى في اللحظات الأخيرة من حياته في فتنة القرامطة. الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص ١٤٢.
(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج٦، ص ١٤٣.

وكانت مكة في المواسم وخاصة موسم الحج، تعرض فيها من قبل الوافدين عليها من مختلف العالم الإسلامي مشرقه ومغربه الكتب المصنفة في العلوم المتنوعة ومنها تلك المتعلقة بدواوين الشعر، والتي كانت تعرض من قبل مصنفيها أو من يمتهنون مهنة الوراقة، مما جعل الكثير من المهتمين بالشعر والمتتبعين لكل جديد فيه يرتادون أسواق مكة، خاصة في موسم الحج، واقتناء الكتب المصنفة في هذا العلم[(١)]، فعلى سبيل المثال حرص الشاعر ابن الصباح، وهو في مكة لأداء مناسك الحج، أن يشتري لأحد وزراء العراق ديوان ابن القم، حيث أنه قد أُنشد بعض من قصائد هذا الديوان في إحدى السنين، فأعجب به الوزير، وأراد اقتنائه[(٢)].

*** الخطابة:**

الخطابة أحد أركان علوم اللغة المهمة، وهي وثيقة الصلة بغيرها من علوم اللغة، حيث لا يستطيع أحد إجادة فن الخطابة دون إلمامه بقواعد

(١) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٢٩٥ . ٢٩٧.

(٢) "يذكر ابن الصباح أنه لما دخل العراق وحضر مجلس الوزير يومئذ وعنده جماعة يتذاكرون الشعر، فقال له: هل تحفظ شيئاً لأحد من أهل اليمن، فأنشده قول ابن القم – وهو شاعر يماني يسمى الحسين بن علي – من قصيدته:

الليـل يعلم أني لـست أرقـده ... فلا يغرنك من قلبي تجلـده

فإن دمعي عصوب المزن أنشره ... وإن وجدي كحر النار أبرده

وكان الوزير يسمع له وهو جالس متكئاً، فاستوى جالساً واستعادها مراراً، ثم بعثني في الموسم إلى مكة فاشتريت له الديوان". الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين يوسف: السلوك في طبقات العلماء والملوك، (ط١، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج١، ص ٢٦٠.

اللغة العربية الأخرى، ويوضح لنا ذلك الجاحظ بقوله: (وفي الخطباء من يكون شاعراً ويكون إذا تحدث أو وصف أو احتج بليغاً مفوهاً بيناً)[١].

والعرب أكثر الناس فصاحة وبلاغة نزل القرآن الكريم بلغتهم قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾[٢]، وقد نهضت الخطابة في مكة وخصوصاً الخطابة الدينية والسياسية، وذلك لأهمية مكانة مكة الدينية في نفوس المسلمين كافة، وما تشهده من تجمع إسلامي سنوي، مما جعل كل الدول الإسلامية المتعاقبة تحرص على بقاء مكة والمدينة تحت سيطرتها، وأن يكون ولاؤهما لدولة الخلافة، مما يكسبها أهمية سياسية فضلاً عن أهميتها الدينية[٣]، فلقد حرصت الدولة الأموية ومن بعدها العباسية والتي تعاقب خلفاؤها على بسط نفوذهم على منطقة الحرمين الشريفين على إقامة الخطب الدينية في أيام الجمع والأعياد ومواسم الحج، وأن يكون من موضوعاتها الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر، وكسب الأعوان والأنصار للتعاطف مع الخلافة، والتمسك بالجماعة وعدم شق يد الطاعة، وذلك ليضمنوا توفر الجو المناسب من الأمن والاستقرار في مكة والمدينة، والذي ينعكس بدوره على بقية مناطق الخلافة[٤]. بل حرص الخلفاء على أن يؤدوا الخطبة بأنفسهم حين

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ص ٣٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٩.

(٣) محمد عبد المنعم خفاجي: تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول، (ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ٤٦.

(٤) سليمان كمال: إمارة الحج في العصر العباسي، ص ٤٠ . ٤٤؛ عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ص ٣١١. ٣٢٠.

قدومهم مكة، منتهزين فرصة تواجد المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية رغبة في كسب الأعوان والأنصار للتعاطف معهم[١].

وممن اعتلى منبر الخطابة بمكة داود الهاشمي (ت٣ ق هـ/ ٩م)، فقد وصف بأنه من أنطق الناس وأجودهم ارتجالاً واقتضاباً بالقول، كان يلقي خطبه دون أن يحبرها[٢]، أما أحمد بن عبد الله بن محمد المعقلي (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) فقد كان يلقي خطبه أمام حشود الحجاج من داخل المسجد الحرام[٣].

كما عقدت بمكة أيضاً: المناظرات العلمية بين العلماء، والتي حتمت على العالم أن يكون بارعاً في الأدب ضليعاً في فن النثر والبيان[٤].

كذلك انتشرت الرسائل والمكاتبات بين العلماء المكيين أنفسهم أو بينهم وبين طلابهم سواء كان ذلك داخل مكة أو خارجها، ولقد تنوعت هذه الرسائل والمكاتبات من استفسارات علمية أو فتاوى دينية أو رسائل اطمئنان متبادلة بين العلماء المجاورين وذويهم.

(١) فمن هؤلاء الخلفاء أبو جعفر المنصور، وهارون الرشيد، والواثق بالله؛ فالواثق بالله عندما أراد الحج كتب إلى واليه على مكة بذلك، فعمل له ثلاثة منابر: منبر بمكة، ومنبر بمنى، ومنبر بعرفة. انظر: ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي: ذم الدنيا، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص ١١٨.

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين، ص ١٧٥.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص ٧٢.

(٤) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي "العصر العباسي الأول"، ص ٤٥٧؛ محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، (ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤م)، ص ٢٤١.

فمن هذه المكاتبات تلك التي جرت بين الفقيه الأديب إبراهيم الصائغ(١)، وبين أمه، فقد كان يومئذ مجاوراً بمكة، فأرسلت إليه من مرو تسأله القدوم عليها فكتب إليها بكتاب فيه : "إن مرو التي تعجبك ملاقاتي إياك فيها، ليست بدار دوام، ولكن مرو منزل أسفار، وإنما سبيل المقام فيها بين الأمهات والأولاد يسير، حتى تصيروا منها إلى دارين: إحداهما فرقة لا تواصل فيها، والأخرى صلة لا فرقة فيها، فإن كنت في شك من ذلك فأين الملوك الذين نزلوها، وأين الجموع الذين كانوا فيها....فأما أهل الدنيا فمتحولون منها عن قريب. والسلام"(٢).



(١) هو إبراهيم بن ميمون الصائغ المروزي، يروي عن أبي حنيفة وعطاء، روى عنه حسان بن إبراهيم وغيره، كان فقيهاً فاضلاً، قتله أبو مسلم الخرساني بمرو سنة ١٣١هـ. عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، (تحقيق: مير محمد، كتب خانه، كراتشي)، ص ٤٩.

(٢) ابن أبي الدنيا: ذم الدينا، ص ١٤٨.

۞ العلوم الاجتماعية

۞ أولاً . علم التاريخ والتراجم:

يمكن اعتبار التاريخ الإسلامي من العلوم النقلية، وذلك لاتصاله في بادئ الأمر بعلم الحديث(١)، فالعرب في جاهليتهم وفي سني إسلامهم الأولى لم يقوموا بأي نشاط تدويني – باستثناء القرآن الكريم – وإنما كانوا يكتفون في الغالب بالذاكرة فيحفظون فيها ما شاءوا، ليست لمجرد أنهم يجهلون الكتابة، ولكن لتحبيذهم الحفظ على الكتابة، وكانت ملكة الحفظ تمنح صاحبها تميزاً اجتماعياً أكثر مما تعطيه الكتابة، ولذا كان تاريخ العرب الأول لا يخرج عن كونه وقائع وأيام وغزوات تحفظها الذاكرة وترددها الألسنة(٢).

ولقد ساعد على ذلك طبيعة الحياة الصحراوية الخالية من التعقيدات وكثرة التفاصيل(٣).

---

(١) عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية، (المطبعة التعاونية، دمشق، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ص ٦٥؛ موريس ديمومبين: النظم الإسلامية، (ترجمة: صالح الشماع وفيصل السامر، بغداد، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)، ص ٢٦١.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٢٦؛ ديمومبين: النظم الإسلامية، ص ٢٦١.

(٣) وبعد تفرق العرب في الأمصار ضعفت ملكة الحفظ لديهم، وظهرت الحاجة للتدوين، كما كان العرب في أمس الحاجة إلى ضبط ونقل الحديث النبوي لضبط أمور الناس في دينهم ودنياهم، وكان هذا بداية تدوين التاريخ الإسلامي، فكان أول ما تم تدوينه في التاريخ الإسلامي يعتمد على الذاكرة الإنسانية، بالنقل من فلان عن فلان، وهو ما عرف بـ "الأسانيد"، وبالتالي فقد أخذ التاريخ طريقة علم الحديث في أوائل تدوينه، بل إن التاريخ كان يتم جمعه من نفس رواة الحديث في سلسلة الإسناد الموثوق بها، مما جعل المؤرخ السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م) يؤكد على الصلة بين علم التاريخ وعلم الحديث ⇦

ومع مرور الزمن تحول المؤرخ الإسلامي من مجرد إخباري إلى باحث عن الخبر في ذاته(١)، ومحلل له، وبدأ المنحى التاريخي يأخذ مبدأ النقد شعراً له، وهو المبدأ الذي اعتمده المحدثون في نقد الروايات، وبدأ الفكر الإسلامي يتحرر من ربقة الروايات الموضوعة والمكذوبة، والتي نعى ابن خلدون على أصحابها بشدة(٢)، لأنهم اعتمدوا على النقل والرواية دون نقد المتون، ولم يتأملوا الحقيقة في ذاتها ومناقشتها وتبيين العلل والأسباب(٣).

ويعد هذا من ابن خلدون محاولة للفت النظر إلى التحليل التاريخي، وهو قائم عند العلماء، إلا أن عصور الرواية غلبت فيها الروايات للتدوين، لكن هذا لا يمنع نقد المتون فيما ينبني عليه حكم شرعي.

عرف ابن خلدون علم التاريخ بأنه: "فن غزير المذهب ، جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يقف على أحوال الماضي من الأمم في

بقوله: (إنه لم يستعن على الكذابين في الحديث بمثل التاريخ). الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، (عناية : المقدسي، دمشق، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م)، ص ٩؛ فتح الباري، ج١، ص٨؛ وانظر كذلك: ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ١٠٢٤.

(١) ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص ٤٨؛ ابن خلدون : المقدمة، ج١، ص ٢. ٢٣.

(٢) فممن هاجمهم ابن خلدون على طريقتهم: ابن إسحاق (ت١٥٢هـ/٧٦٩)، الطبري (ت٣١٩هـ/٩٢٣م)، المسعودي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، ابن عبد ربه (ت٣٤٩هـ/ ٩٦٠م)، الثعالبي (ت٤٣٩هـ/١٠٣٧م)، البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م). المقدمة ، ج١، ص٣ .١٢.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ج١، ص ٢ . ٢٣.

أخلاقهم"[١]، إذاً فعلم التاريخ هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك، وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء، والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية، وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن، ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار ويستجلب نظائرها من المنافع[٢].

وينقسم التاريخ إلى قسمين رئيسين، هما:

أ. علم السير والمغازي:

لقد أقبل الدارسون من حملة العلم المكيين وغيرهم من الوافدين على تعلم سيرة النبي المصطفى ﷺ ومغازيه، فبرع منهم العديد، وأصبحت كتاباتهم مرجعاً أصيلاً لغيرهم، لكونهم من العلماء البارزين المشهورين في الإتقان والتثبت في هذا العلم، واتضح دورهم جلياً من خلال إنتاجهم العلمي الذي أثرى علم السير والمغازي بالعديد من المصنفات[٣].

(١) ابن خلدون: المقدمة، ج١، ص ٧.

(٢) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، (تحقيق: فرانز روزنتال، ترجمة: صالح العلي، بغداد)، ص ٦ . ٧؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٢٥٥.

(٣) عبد الحفيظ بن حمدي السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي "٦٤٨ . ٩٢٣هـ" ، (رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الشريعة ، قسم الدراسات العليا التاريخية الحضارية، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ . ١٤٢٥هـ)، ص ٢٥٨.

فممن انبرى لهذا العلم: موسى بن عقبة (ت١٤١هـ/ ٧٥٨م)، قال الإمام الشافعي عن كتابه: "ليس في المغازي أصح من كتاب موسى بن عقبة، مع صغره وخلوه من أكثر ما يذكر في كتب غيره"(١)، وموسى قد رأى بعض الصحابة، فقد سئل عن ذلك فقال: "حججت وابن عمر بمكة عام حج نجدة الحروري ورأيت سهل بن سعد متخطأ علي فتوكأ على المنبر فسار الإمام بشيء"(٢).

كما كان الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م) من أعلم أهل عصره بالمغازي والسير، وفي كتابه "الأم" مقتطفات من ذلك معروفة(٣). وكذلك كان محمد بن عمر بن واقد الواقدي (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)(٤)، صاحب التصانيف في علم المغازي والسير والطبقات، وأخبار النبي ﷺ، التي تداولها واقتناها الكثير من حملة العلم المكيين وغيرهم(٥).

(١) صالح أحمد العلي: تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام، (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص ٩٦.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٦٢).

(٣) ابن كثير: مناقب الشافعي، (تحقيق: خليل إبراهيم خاطر، ط١، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص ٢٠٣ . ٢٠٤؛ عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٤٠.

(٤) محدث، مؤرخ، أديب، ولد بالمدينة المنورة، وانتقل إلى بغداد، وأقام بها إلى أن توفي، كانت له مكانة عند الخليفة العباسي المأمون، من تصانيفه: "تفسير القرآن"، "السنة والجماعة"، تاريخ الفقهاء"، وغيرها. ابن النديم: الفهرست، ص ١٤٤.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٦١؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٤٠٤.

ومن مؤرخي السيرة أيضاً: علي بن محمد المديني (ت٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، له العديد من المؤلفات منها: "عهود النبي ﷺ"، و"كتاب الردة"، و"أمهات النبي ﷺ"(١)، ومن أصحاب السير أيضاً محمد بن عبد الله بن الوليد الأزرقي (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٥م)(٢).

ب . **علم الأخبار والأنساب:**

هو أحد فروع علم التاريخ، كونه يهتم بالبحث عن الوقائع العظيمة والأهوال الشديدة بين القبائل العربية قبل الإسلام، فضلاً على أن الراوي لتلك الحروب التي شهدتها القبائل العربية مع بعضها البعض كان لا بد له من معرفة أنساب تلك القبائل ومثالبها ومفاخرها، حتى يستطيع تدوين ذلك بشكل أوفى وأوضح، وهذا ما جعل العرب يولون اهتمامهم لهذا العلم(٣).

ومع انتشار التصنيف والتدوين في الأقطار الإسلامية عموماً، برز عدد من العلماء اشتغلوا بعلم الأخبار والأنساب، وقاموا بتدوين ما تحصلوا عليه من أخبار الماضيين وأنسابهم، فأثروا بذلك هذا العلم بمصنفاتهم العديدة، فممن برز في هذا العلم: عبد الملك بن عبد العزيز،

---

(١) المديني مؤرخ ، راوية للشعر، نشأ بالبصرة، وسكن المدائن، ثم انتقل إلى بغداد، له العديد من المصنفات منها: "أخبار المنافقين" وغيرها. ابن النديم: الفهرست، ص ١٤٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ١٤٠٠.

(٢) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص ١٣٢؛ ابن النديم: الفهرست، ص ١٦٠ . ١٦١؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص ٣٤٨.

(٣) القنوجي، صديق بن حسن: أبجد العلوم ، ج٢، ص ١٢١؛ مشعل الدهاس: الحجاز من خلال كتب الرحالة، ص ٢٩٢.

المعروف بـ(ابن جريج) (ت١٥٠هـ /٧٦٧ م) فقيه الحرم المكي، كان إمام أهل الحجاز في عصره[١]، ومحمد بن إسماعيل الصائغ، فعادة ما كان يتضمن سنده تعريفاً بالمغمورين من رجاله[٢]، وممن له باع في هذا العلم أيضاً: مصعب بن عبد الله بن مصعب القرشي (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، والذي عُد في وقته من أفقه قريش في علم الأخبار والأنساب[٣]، وأحمد بن حفص بن المغيرة المخزومي، من وفيات القرن (٣هـ/٩م)، وصف بأنه علامة بأنساب بني مخزوم، وقد استفاد من علمه الكثير من طلاب العلم المكيين والوافدين عليها[٤].

ومن علماء الأنساب أيضاً: الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)[٥]، من تصانيفه: "أنساب قريش وأخبارها"، و"أخبار العرب وأيامها"، و"الأوس والخزرج"[٦].

(١) البخاري: التاريخ الكبير، ج٧، ص ١٥٤؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ ج١، ص١٦٠.

(٢) ابن جريج، عبد الملك بن عبد العزيز: جزء ابن جريج، (تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الرشيد، ط١، مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤١٢هـ)، ص ٦٥ . ٦٩.

(٣) ابن الجوزي : المنتظم، ج ١١، ص٢٤٦؛ المزي: تهذيب الكمال، ج ٢٨، ص ٣٤ . ٣٨.

(٤) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٣٥.

(٥) عالم نسابة، أخباري ، من أهل المدينة، حدث ببغداد، سكن مكة، وولي قضاءها إلى أن توفي بها، له العديد من المصنفات التاريخية، منها: "نوادر المدنيين" وغيرها. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص ٣٤٨.

(٦) ابن النديم: الفهرست، ص ١٦٠.١٦١؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٣ ، ص ٣٤٨.

كما اعتنى عدد من العلماء بتاريخ مكة، وصنفوا فيه المصنفات القيمة، منهم: محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)، له كتاب: "أخبار مكة"(١)، وعمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) (٢)، له "كتاب مكة"(٣)، ولمؤرخ مكة محمد بن إسحاق الفاكهي (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) كتاب "تاريخ مكة"(٤)، ولمحدث مكة المفضل الجندي (ت ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م)، كتاب "فضائل مكة"(٥).

ومن خلال هذا السرد يتضح لنا المكانة الكبيرة التي يحتلها علم التاريخ في الثقافة الإسلامية، وذلك من خلال هذه المصنفات والموسوعات التي وثقت تاريخنا، وبلغت مرحلة النضج والعطاء في نهاية القرن الثاني وطوال القرن الثالث الهجريين، ثم كانت مرحلة الانتشار في العصور اللاحقة وحتى العصر الحديث، فكان التاريخ جزءاً أساسياً في ثقافة المجتمع(٦).

(١) ابن النديم: الفهرست، ص ١٤٤؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٣٩٤.

(٢) أديب نحوي، لغوي ، مؤرخ، نشأ بالبصرة، له مصنفات كثيرة في التاريخ والطبقات، منها"طبقات الشعراء"، و"أمراء المدينة"، و"تاريخ المدينة المنورة". ابن النديم: الفهرست، ص ١٦٣؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٤، ص ٤٦٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ٣٦٩.

(٤) ابن النديم: الفهرست، ص ١٥٩.

(٥) الجندي، مؤرخ ومحدث بمكة، توفي بها، كانت له حلقة بالمسجد الحرام ، من مؤلفاته "فضائل المدينة". ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٢، ص ٢٥٣؛ الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٢٨٠.

(٦) مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، (ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ٤٢٨.

ثانياً: الجغرافيا والرحلات:

الجغرافيا في اصطلاح الأقدمين تعنى صورة الأرض، ويتم التعرف من خلال هذا العلم على أقاليم الأرض، وعرض البلدان وأطوالها، ومدنها، وجبالها، وبراريها، وبحارها، وأنهارها[١]. كما يختص هذا العلم بوصف سطح الأرض من ناحية تكوينه وأشكاله، ومن ناحية أقسامه الطبيعية والسياسية، ومن ناحية المناخ والإنتاج والسكان [٢].

وقد ازدهر علم الجغرافيا في الإسلام، فقد أوجبت الشريعة على المسلمين التوجه إلى القبلة في الصلاة، مما تطلب معرفة جهاتها، كذلك رحلة الحج وقصد مكة لأداء فريضة الحج من جميع الأقطار يحتاج تعرف على الجغرافيا، كما الجهاد وإبلاغ الحق إلى الخلق في ربوع الدنيا احتاج معرفة تفصيلية بالبلدان التي فتحت أو التي في سبيلها إلى الفتح، ووضع الخطط اللازمة لذلك.

ونظراً لاتصال الجغرافيا بالتاريخ والفلك والجيولوجيا، فقد نشطت الجغرافيا حيث نشطت هذه العلوم، فالتاريخ مثلاً لا يدرس إلا على أساس جغرافي، وبعبارة أدق فالتاريخ هو دراسة الزمان، والجغرافيا دراسة المكان، ولا تستغني أحداث الزمان عن المكان[٣].

---

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٤٦٤؛ ناصر محمد عبد الرحمن: الاتصال العلمي في التراث الإسلامي من صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي، (تقديم: حشمت قاسم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة)، ص ٧١.

(٢) فؤاد محمد الصقار: دراسات في الجغرافيا البشرية، (ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٥م)، ص ٥ . ٦.

(٣) البلوي: تاج المفرق، ص ١١٣ . ١١٦.

ومع التوجه إلى الحج نشطت كتب "جغرافيا الرحلات"، فظهر العديد من المصنفات التي تتناول هذا الجانب، من وصف المدن والأمصار والأقاليم، وما فيها من أحوال سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها، وقد كان لمكة النصيب الأوفر في الكلام عنها من حيث موقعها الجغرافي ، وحدودها، والطرق المؤدية لها، ومناخها، وتضاريسها ونباتاتها وحيواناتها، إضافة إلى وصف المسجد الحرام ، وغير ذلك من معلومات سياسية واجتماعية واقتصادية في غاية الأهمية لتاريخ مكة، وممن كان له باع في هذا العلم من علماء المشرق الإسلامي، أبو العباس أحمد بن يعقوب بن واضح اليعقوبي البغدادي (٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)، صاحب كتاب "البلدان"، وهو كتاب في غاية الأهمية للمكتبة الإسلامية، ذكر فيه اليعقوبي أسماء الأقطار والأجناد، وما في كل مصر من المدن والأقاليم[١]، كما كان لأبي القاسم عبد الله بن أحمد بن خرداذبة – فارسي الأصل ، سكن بغداد– (ت ٢٩٩هـ/٩١٢م) كتابه المشهور في الجغرافيا والموسوم بـ "المسالك والممالك"، وهو كتاب يصف فيه طرق ودروب الأقاليم، مع تقديم معلومات دقيقة عن المحطات ومراحل البريد وجباية كل إقليم[٢]، وساهم أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) في هذا العلم بكتابه "صورة الأرض"، حيث ألفه على صفة أشكال الأرض، ومقدارها، وأقاليم

---

(١) اليعقوبي: البلدان، ص ٣١٢ . ٣١٣.

(٢) شاكر خصاك: كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي، (مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٩م)، ص ٢١.

البلدان[١]، ويعتبر المقدسي أبو عبيد الله محمد بن أحمد البشاري (٣٨٠هـ/٩٩٠م) من أبرز الجغرافيين الذين خدموا هذا العلم بكتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، حيث اقتصر كتابه على التعريف بديار الإسلام، فتناول الجغرافية الطبيعة والبشرية والاقتصادية للمناطق التي زارها، مع ذكر المسافات وطرق المواصلات[٢].

كما كان لعلماء مكة إسهامات في هذا العلم فمنهم على سبيل المثال أبو علي هارون بن زكريا الهجري (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، فبجانب كونه محدثاً، ومؤدباً، عالماً بالغة والأدب، وعلم الأنساب، كان له باع في علم الجغرافيا[٣].



(١) عمر كحالة: التاريخ والجغرافيا، ص ٢٥٣؛ سهام مصطفى أبو زيد : الرحلة في طلب العلم إلى مكة المكرمة من خلال الرحالة ابن حوقل عام ٣٣١هـ/٩٤٢م، (بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية عام ١٤٢٦هـ)، ص ٣٠.

(٢) عدي يوسف مخلص: المقدسي البشاري، حياته ومنهجه، (ط١، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٩٣هـ)، ص ٦٨.

(٣) حمد الجاسر: أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، (ط١، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٨م)، ص ١٧ . ٢٩.

❁ العلوم التطبيقية

يقصد بها العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان، من حيث إنه ذو فكر، فهي غير مختصة بملة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم، ويستوون في مداركها ومباحثها، ويبني بعضهم على ما انتهى إليه الآخر، وقد تسمى هذه العلوم علوم الحكمة[١].

وأهم هذه العلوم: علم الطب والكيمياء.

أ . علم الطب:

يعد علم الطب من أشرف العلوم الدنيوية، لأنه به تُحفظ الأبدان، ولما يقوم به من دور في حياة الناس، وقد تفرد هذا العلم من بين سائر العلوم بهذا الشرف، وحظي بمكانة عالية في الإسلام، بل لقد ارتفع شأنه في تاريخ الحضارة الإسلامية على بقية العلوم العقلية، ووجد لأهله من التبجيل والمكانة الرفيعة ما لم يكن لغيرهم من العلماء، ولاسيما وقد حفلت السنن النبوية بأمثلة كثيرة من الطب النبوي الذي هو أساس العلوم الطبية المقطوع بها.

فنتج عن ذلك تطور كبير في العلوم الطبية من قبل الأطباء الذين أبدعوا فيها، وأخرجوا كماً هائلاً من الدراسات العلمية التي تناولت علم الطب، وركزت على إظهار أفضل المناهج والطرق العلمية لدراسته، فألغيت الكثير من النظريات اليونانية الخاطئة، وكشفت الكثير عن الظواهر الطبية التي لم تكن معروفة من قبل، وأصبح تعلم الطب مبني

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٩٠.

على العلم النظري والعملي في آن واحد، بعد أن كانت علوم نظرية مجردة لا حياة فيها(١).

ولقد برع الكثير من العلماء في هذا العلم منهم على سبيل المثال: ذو النون ثوبان بن إبراهيم المصري (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦١م)، الذي رحل من مصر إلى مكة فأقام عند علمائها مدة من الزمن، وأظهر اهتمامه بعلم الطب ونبغ فيه، وهذا يوحي لنا أنه اقتبس وأضاف لما لديه في هذا العلم من العلماء الموجودين في مكة والوافدين عليها، فألف فيه كتاب "الثقة في الصنعة"(٢)، وأما يحيى بن سليم الطائفي (توفي في القرن ٣هـ/ ٩م)، فقد ذكر عنه أنه كان يمارس الطب في مكة إلى أن وافته المنية بها(٣)، كما أثرى الطبيب أبو بكر محمد بن أحمد بن مسلمة الأنصاري المرزوي (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) علم الطب بعدد من المصنفات الطبية منها : "الجامع"، و"الأعصاب" و"الطب" وغير ذلك(٤).

(١) مريزن عسيري: تعلم الطب في المشرق الإسلامي، نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري، (معهد البحوث العلمية، مكة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ص ٨ . ٩؛ عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، (ط١٠، دار المعارف)، ص ٧٨ . ٧٩؛ حسين حمادة: تاريخ العلوم عند العرب، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧م)، ص ٦٣؛ عمر فروخ وَ ماهر عبد القادر حلاق: تاريخ العلوم عند العرب، (دار النهضة، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص ١٦٤؛ تاج السراج أحمد حران: العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، (ط٣، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص ٦٦ . ٦٧.

(٢) الذهبي: سر أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٣١٢.

(٣) ابن النديم: الفهرست، ص ٤٣٨.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج ١٤، ص ٣٥٤. ٣٥٥ ؛ السيوطي : طبقات الحفاظ، ص ٣١٩.

وممن مارس مهنة تطبيب المرضى ومعالجتهم من بعض الأمراض البسيطة بمكة من المجاورين الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢١م)(١)، وعرف أيضاً بالطب أبو الحسن علي بن محمد البغدادي المعروف بالمزين (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، فقد مارس مهنة الحجامة أثناء مجاورته بمكة(٢).

ونتيجة لانتشار البيمارستانات أو المستشفيات في حواضر العالم الإسلامي فترة البحث نحن لا نستبعد وجودها بمكة، سواء كانت أعدت من قبل أولياء أمور المسلمين، أم من قبل أهل البر والإحسان من أهل مكة أو ممن جاور المسجد الحرام(٣).

ب . علم الكيمياء(٤):

الكيمياء علم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية، وجلب خاصية جديدة إليها، وهو من أهم العلوم التطبيقية

(١) ابن النديم: الفهرست، ص ٢٣٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٣، ص ٢٠١ . ٢٠٢، والحلاج قتل في الزندقة، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٧): (ويمكن أن يكون تزندق في وقت، ومرق، وادعى الإلهية، وعمل السحر والمخاريق الباطلة مدة، ثم لما نزل به البلاء ورأى الموت الأحمر، أسلم، ورجع إلى الحق، والله أعلم بسره، ولكن مقالته نبرأ إلى الله منها، فإنها محض كفر –نسأل الله العفو والعافية– فإنه يعتقد حلول البارئ –عز وجل– في بعض الأشراف، تعالى الله عن ذلك).

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١٣، ص ٣٨٨؛ القاسي: العقد الثمين، ج٦، ص ٢٥٢.

(٣) عبد الرحمن المصنف: الحياة العلمية في الحجاز، ص ٢٤٧.

(٤) الكيمياء: اسم عربي، واشتقاقه من كي يكمي إذا ستر وأخفى، والمحققون لهذه الصناعة يسمونها الحكمة على الإطلاق، والبعض يسميها الصنعة. الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ٢٥٧؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص ٥٢٦.

التي اهتم بها المسلمون، فكان لهم فيها فضل كبير واكتشافات قيمة، فلهم الفضل في وضع الكثير من أسس وقواعد هذا العلم، يقول داربر: "العرب هم الذين أنشأوا في العلوم العلمية علم الكيمياء، وكشفوا بعض أجزائها المهمة، كحامض الكبريتيك وحامض النتيريك، وهم الذين استخدموا ذلك العلم في المعالجات الطبية، فكانوا أول من نشر تركيب الأدوية والمستحضرات المعدنية"[(١)].

ونظراً للارتباط الوثيق بين علمي الكيمياء والطب، فإن الكيميائي قدم خدمات جليلة للطبيب، كتقديمه للعقاقير الطبية المتنوعة التي يحتاجها الطبيب، لذا عُدَّ الكيميائي في تلك الأزمنة صيدلانياً لمعرفته بخواص العناصر المؤلفة للأدوية، وعادة ما كان يطلق على الذين اشتهروا بإتقان علم الطب والكيمياء بـ "أصحاب الصنعة"[(٢)].

ولقد برز العديد من العلماء الذين ساهموا في هذا العلم منهم على سبيل المثال: يوسف بن أحمد المكي (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، وقد عرف بـ "الصيدلاني"، أي الكيميائي، فقد كان يحضر العقاقير الطبية للأطباء وغيرهم من العلماء في هذه الصنعة[(٣)].

كما شهدت مكة إقبالا من حملة العلم والوافدين عليها من مختلف الأقطار الإسلامية على تعلم الكيمياء، فأقيمت الحِلَق والمجالس العلمية

---

(١) محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، (دار الكتب العصرية، ١٣٥٣هـ/١٩٧٤م)، ج١٤، ص ٢١٧.

(٢) ابن النديم: الفهرست، ص ٣٠٢؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١، ص ٣٤٩ . ٣٥٠.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٧، ص ٤٨٢.

في هذا العلم، وأمَّها المهتمون بها من طلبة العلم، فهذا أبو القصن بدر الصيدلاني القرطبي (ت٣٩٠هـ/ ٩٩٩م)، يطيب له المجاورة بمكة، والعكوف على دراسة علم الكمياء والصيدلة من قبل علمائها، أمثال أبي الحسن الهمداني، المتوفي في القرن (٤هـ/ ١٠م)، فنراه يتنقل بين حلقات العلم ومجالس الدرس التي كان يعقدها الهمداني ليستفيد من علمه(١)، ولعل مؤلفاته التي ألفها بمكة خير دليل على مدى ما حصله من علم في هذا المجال، فمن مؤلفاته ما أسماه "الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء –الذهب والفضة–" وغيرها(٢).



(١) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي: تاريخ علماء الأندلس، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م)، ج١، ص ٩٦.

(٢) عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع: الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، (رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة، غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص ٤٠٩ . ٤١١.

والخلاصة أنه ظهر الكثير من الفنون والثقافات في البلد الحرام،

- فلقد تزايد دور العلماء ونشاطهم العلمي المتدفق في المجالات العلمية المتنوعة، وأهمها العلوم الدينية: نظراً لمكانة مكة الدينية، فكانت أكثر العلوم المنتشرة في مكة. ومنها علوم القرآن؛ وأهمها: القراءات والتفسير. وكانت ومازالت مكة من أبرز المراكز الإسلامية التي شغف عدد من أبنائها بعلم القراءات القرآنية دراسةً وتطبيقاً.

- كما كان للوافدين على مكة من مجاورين وحجاج من مختلف الأقطار الإسلامية دور بارز في علم القراءات. وللارتباط مابين علمي القراءات والتفسير؛ فإنه يمكن اعتبار القراء من المفسرين أيضاً.

- كانت مكة من بين المدن السباقة في تدوين علم الحديث، ونالت الصدارة العلمية بالنسبة لعلوم السنة النبوية، حتى أصبح علماء مكة حجة في ضبط هذا العلم.

- كذلك كان الأمر في الفقه وأصوله، فقد أصبحت مكة مع بداية القرن (٢هـ/٨م) من أهم المراكز العلمية في ظل وجود عدد من الفقهاء الذين تأثروا بفقه ابن عباس –رضي الله عنهما–، ونهجوا طريقته، مؤسسين بذلك مدرسة فقهية بمكة.

- أيضاً تأثر الكثير من حملة العلم بمكة بمعلميهم خصوصاً بعد ملازمتهم لهم فترة من الزمن، كالإمام الشافعي، وبمكة تتلمذ عليه فقيها أهل الحديث أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه.

- حظيت مكة بقسط وافر من علوم اللغة والنحو، فقد كان الشغف الكبير لدى أبناء الأقاليم الإسلامية من محبي اللغة وآدابها دافعاً

إلى التوافد على مكة والتردد على بواديها لمشافهة أهلها وأخذ اللغة العربية عنهم.

- كما لقي الشعر اهتماماً بالغاً، وإقبالاً متزايداً، في القرنين الأول والثاني للهجرة، وكان أكثره شعر الزهد والتنسك والحرص على طلب العلم ويعود ذلك لمكانة مكة الدينية، ومنزلتها في قلوب المسلمين. عكس ما كان عليه فيما بعد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، فقد غلب النثر، وانتشر انتشاراً واضحاً.

- نهضت الخطابة في مكة وخصوصاً الخطابة الدينية والسياسية، وذلك لأهمية مكانة مكة الدينية في نفوس المسلمين كافة، وما تشهده من تجمع إسلامي سنوي.

- انتشر في المحيط العلمي بمكة أيضاً: المناظرات العلمية بين العلماء، والتي حتمت على العالم أن يكون بارعا في الأدب ضليعا في فن النثر والبيان.

- كذلك انتشرت الرسائل والمكاتبات بين العلماء المكيين أنفسهم أو بينهم وبين طلابهم سواء كان ذلك داخل مكة أو خارجها، ولقد تنوعت هذه الرسائل والمكاتبات من استفسارات علمية أو فتاوى دينية أو رسائل اطمئنان متبادلة بين العلماء المجاورين وذويهم.

- حظي علم السير والمغازي باهتمام المكيين فأقبل الدارسون من حملة العلم المكيين وغيرهم من الوافدين على تعلم سيرة النبي المصطفى ﷺ ومغازيه.

- مع انتشار التصنيف والتدوين في الأقطار الإسلامية عموماً، برز عدد من العلماء اشتغلوا بعلم الأخبار والأنساب، وقاموا بتدوين ما

تحصلوا عليه من أخبار الماضيين وأنسابهم، فأثروا بذلك هذا العلم بمصنفاتهم العديدة، وأول هذه المصنفات مصنفات إمام الحرم المكي ابن جريج.

- اعتنى عدد من العلماء بتاريخ مكة، وصنفوا فيه المصنفات القيمة. كما ازدهر علم الجغرافيا في الإسلام، إذ أوجبت الشريعة على المسلمين التوجه إلى القبلة في الصلاة، مما تطلب معرفة جهاتها، كذلك رحلة الحج وقصد مكة لأداء الفريضة الحج من جميع الأقطار يحتاج تعرف على الجغرافيا، كما الجهاد وإبلاغ الحق إلى الخلق في ربوع الدنيا احتاج معرفة تفصيلية بالبلدان التي فتحت أو التي في سبيلها إلى الفتح، ووضع الخطط اللازمة لذلك.

ومع التوجه إلى الحج نشطت كتب "جغرافيا الرحلات"، فظهرت العديد من المصنفات التي تتناول هذا الجانب، من وصف المدن والأمصار والأقاليم.

- وأما عن علم الطب فهو من أشرف العلوم الدنيوية، لأنه به تُحفظ الأبدان، وأقام بمكة عدد من الأطباء ووضعوا بها عدد من المصنفات في هذا العلم، كما إن علم الكيمياء كان يمد الطب بالأدوية حتى عُدَّ الكيميائي في تلك الأزمنة صيدلياً صاحب أدوية، ولقد شهدت مكة إقبالا من حملة العلم والوافدين عليها من مختلف الأقطار الإسلامية على تعلم الكيمياء، فأقيمت الحِلَق والمجالس العلمية في هذا العلم.

الفصل الثالث

العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي

وفيه أربعة مباحث:

۞ **المبحث الأول:** العراق.

۞ **المبحث الثاني:** بلاد فارس.

۞ **المبحث الثالث:** خراسان والري وإقليم الجبال.

۞ **المبحث الرابع:** ما وراء النهر.



العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي

النوايا تجارة العلماء، فمن المأثور عن بعض علماء السلف قولهم "النية تجارة العلماء"، أي أن: العالم يتميز عن الجاهل بأنه يتفكر في العمل الصالح الذي يريد أن يعمله ويستحضر له من النوايا الصالحة ما يعظم أجره، بخلاف الجاهل؛ فإنه لا تحضره في نفس العمل إلا نية واحدة، والأعمال بالنيات، وقد ذكر العلماء في مسائل "تشريك النية" أنه يمكن في مسائل معروفة الجمع بين الحج وغيره من نيات السفر إلى مكة ، وذكروا منها: مسألة السفر للحج والتجارة، وأنه إذا كان الباعث الديني أغلب كان له الأجر بقدره[1]، ففي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (كان ذُو المَجَازِ، وعُكَاظٌ مَتْجَرَ الناس في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك ، حتى نزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾[2]، في مواسم الحج)[3].

فإذا كان هذا في التجارات الدنيوية، فما بال التجارات الأخروية!!

ومن هنا كانت همم العلماء منبعثة للسفر إلى البلد الحرام؛ رغبة في الخير بالحج والعمرة، وبالتقاء العلماء الوافدين إلى مكة لأداء المناسك تتلاقى علومهم في مجالس الوعظ والإرشاد وحلقات العلم، ويصبح المسجد الحرام كل عام ملتقى علماء الإسلام من شتى ربوع العالم.

---

(١) السيوطي: الأشباه والنظائر، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ /١٩٩٠م)، ص: ٢١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب التجارة أيام الموسم، ج٢، ص ١٨١،ح (١٧٧).

وقد كانت مكة، ولا تزال، تعد من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي، فقد كانت مجمع العلماء وملتقى الفضلاء من أهل العلم والآداب دون منازع، ومن أبرز مظاهر الحركة العلمية فيها، تلك الأعداد الكبيرة التي كانت تعج بها من نبلاء العلماء، من محدثين وفقهاء، وأدباء، وحكماء خلال مواسم الحج، وأوقات أداء العمرة والزيارة، فضلاً عن المجاورة فيها، مما جعل الكثير من حملة العلم يحرصون على شد الرحال للحرمين للاستفادة من ذلك، وليأخذ بعضهم عن بعضٍ في مختلف فنون العلوم؛ مما أدى إلى وجود علاقات وتبادل علمي متميز.

ولقد هيأت مكانة مكة الدينية المزيد من وشائج الصلة الدائمة بينها وبين الأقطار الإسلامية الأخرى، فقد حرص الطلاب على الأخذ عن علمائها لشهرة هؤلاء العلماء في العالم الإسلامي بكونهم من كبار العلماء،مما يجعل العلوم المتلقاة عنهم ينظر إليها بالاحترام والاطمئنان.

بل هذه المكانة للبلد الحرام أعطت مكة الفرصة الثمينة للتواصل العلمي والتفاعل الثقافي عن طريق وصول حملة العلم بين الحين والأخر حاجين أو معتمرين؛ الأمر الذي أتاح أيضاً لحملة العلم في مكة التتلمذ على أيدي هؤلاء العلماء القادمين إليهم، والعكس كذلك، ناهيك عن الأثر الإيجابي لذلك، وهو تلقيح الأفكار وصقلها والإلمام التام بمختلف العلوم التي تشتهر بها تلك الأقطار(١).

(١) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص٣١٣ – ٣١٤.

ولمّا كانت مكة ملتقى العلماء في موسم الحج والعمرة، فإن ذلك قد يسر على الكثير من طلاب العلم أمر الرحلة، فقد يجد العراقي بها عالماً من اليمن أو آخر من المغرب أو الأندلس، فيُكفى أمر الرحلة، فكانت مكة مركز إشعاع العلم، من خلالها ينتقل العلم من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه والعكس، من خلال موسم الحج والذي يجذب علماء الدنيا للاجتماع بها.

ومن طريف ما يورد في ذلك ما ذكره صالح بن أحمد بن حنبل قال: "عزم أبي على الخروج إلى مكة يقضى حجة الإسلام ورافق يحيى بن معين وقال أبي نخرج فنقضي حجنا إن شاء الله، ونمضي إلى صنعاء، إلى عبد الرزاق، فنكتب عنه ونسمع، فمضينا حتى دخلنا مكة وجئنا حتى نطوف طواف الورود فإذا عبد الرزاق في الطواف وكان يحيى بن معين يعرفه، فطاف عبد الرزاق وخرج إلى المقام فصلى ركعتين وجلس، فقضينا طوافنا، وجئنا إلى عبد الرزاق وهو جالس فسلم عليه يحيى بن معين وقال هذا أخوك أحمد بن حنبل، فقال: حياه الله وقربه، إنه ليبلغني عنه كل ما أسر به، ثبته الله على ذلك. وقام عبد الرزاق لينصرف فقال له يحيى بن معين إذا كان غدا إن شاء الله بكرنا إليك، وانصرف عبد الرزاق، فقال له أبي: لم أخذت على الشيخ الموعد قال: نسمع منه ونكتب، وقد أربحك الله مسيرة شهر ورجوع شهر والنفقة، فقال له أبي: ما كان الله يراني وقد نويت إليه نية أن أفسدها بقولك، فمضوا إلى عبد الرزاق إلى صنعاء فسمعوا منه"(١).

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥، ص٢٦٦، ٢٦٧.

وأيضاً فإن مكة بما للحرم من خصيصة ومزية كانت تستهوي العلماء لوضع ونسخ كتب العلم فيه، وقد سكن سعيد بن منصور مكة مجاوراً، فنسب إليها، وهو راوية سفيان بن عيينة، وأحد أئمة الحديث، له مصنفات كثيرة [١].

وتبعاً لهذا فقد راجت مهنة الوراقة في مكة وصارت أشبه بمعرض دولي للكتب، لحرص العلماء على استنساخ الكتب بمكة وحملها إلى بلادهم معهم.

وسوف نتناول في هذا الفصل الحديث عن العلاقات والصلات العلمية بين مكة وبعض أقطار المشرق الإسلامي خلال فترة البحث.



(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥٩٠.

المبحث الأول: العراق

يمكن اعتبار العراق في كثير من فترات التاريخ الإسلامي المركز الأول لنبع العلوم ومدرسة العلماء[1]، ولهذا أسبابه الكثيرة لعل من أهمها انتقال الخلافة إلى العراق منذ عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁، ونزول كثير من علماء الصحابة هذا المصر واستيطانهم به، أمثال فقيه الصحابة عبد الله بن مسعود ﵁، وحبر الأمة عبد الله بن عباس ﵁، وخادم النبي ﷺ أنس بن مالك ﵁، وغيرهم كثير. ومن الأسباب أيضاً تهيئة المناخ المناسب للعلماء لطلب العلم، وتشجيع الخلفاء والأمراء، إلى غير ذلك من الأسباب.

وقد ذكر علماء الجغرافيا أن أقاليم الأرض سبعة، وأن بابل[2] هي أوسط هذه الأقاليم وأعمرها، وفيها العراق، وفي العـراق بغـداد[3] وهى

(١) يمكن التأكد من ذلك بعمل بحث "تقريبي" في كتب التراجم عن نسبة (العراقي . البغدادي . البصري . الكوفي)، نجدها بالمئات، في حين نجد نسبة (الحجازي . المكي . المدني) بالعشرات فقط، فباستخدام الحاسب "المكتبة الشاملة"، وجدت النسبة الأولى ما يزيد عن الخمسمائة، في حين كانت الأخيرة لا تزيد عن ١٣٠ فحسب.

(٢) بابل: تقع على نهر الفرات، كانت عاصمة لدولة بابل التي اشتهرت بحضارتها، وبابل حالياً محافظة في جنوبي بغداد ولا تتجاوز مساحتها ٥٠كم، قاعدتها الحلة. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، (ط٢، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، ج١، ص ٣٠٩-٣١١؛ فرنارد توتل: المنجد في الأعلام، تحرير: لويس عجيل وآخرون، (ط٢٥، دار الشرق، بيروت، ١٤٩٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ١٠٠.

(٣) بغداد: اختلفت الآراء حول تفسير لفظ بغداد، وكان أرجحها أنه يتكون من كلمتين فارسيتين بغ ومعناها: الله، وداد ومعناها: عطية؛ أي: عطية الله. المسعودي: على بن ⇦

أوسـط هـذا الإقليم[1]، وتقع بين الطرق التي تمر بها أجزاء الدولة، وأقاليمها المختلفة مثل: الشام والجزيرة[2] ومصر وفارس[3] والأقاليم الأسيوية ويخترقها نهر دجلة[4].

ولقد أضحت بغداد من المراكز العلمية المهمة التي جذبت إليها العلماء، أسسها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(ت ١٥٨هـ/ ٧٧٤م) ودعاها "مدينة السلام"[5]، كما عرفت باسم "مدينة المنصور"، و"المدينة المدورة"، و"الزوراء"[6]. ومنذ أن أصبحت دار الخلافة ومقر

الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (دار الرجاء، القاهرة)، ج٣، ص ٢٩٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، (القاهرة ، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م)، ج ٢، ص ٣٦١.

(١) ابن الجوزي: مناقب بغداد، (تحقيق: د. زينهم محمد ، دار غريب، القاهرة)، ص ١٤.

(٢) الجزيرة: تقع بين دجلة والفرات، لذلك سميت الجزيرة، وتشتمل على ديار مُضَر وديار بكر. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٣٤.

(٣) فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول من وردها من جهة العراق، ومن جهة كرمان، ومن جهة ساحل بحر الهند، ومن جهة السند، وهي الآن بدولة إيران الواقعة في جنوب غرب آسيا، وعاصمتها طهران. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٢٦؛ فرنارد توتل: المنجد في الأعلام، ص ١٩٢.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٥٦-٤٥٩.

(٥) في هذا الموقع الذي بنيت عليه بغداد كانت تقوم قرية فارسية تقام فيها الأسواق، ويقصدها التجار، وقد أوردت المصادر اسم تلك القرية عند ذكرها للفتح الإسلامي للعراق، ودخلها الجيش الإسلامي عام (١٣هـ) بقيادة المثنى بن حارثة، كما وجدت نقوش أثرية تؤيد هذا الرأي، لمعرفة المزيد ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص ٢٦٢ – ٢٦٤.

(٦) لأن مداخلها كانت مزورة، بمعنى منحنية على شكل دهاليز أو منعطفات ملتوية لأغراض حربية ودفاعية. انظر: السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب "العصر العباسي"،(مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)،ج٣، ص٣٤٦.

خلفاء بني العباس لقرون عديدة اكتسبت مكانة علمية مرموقة بين بلدان العالم الإسلامي، وأضحت مقصداً للعلماء وطلاب العلم على حد سواء.

وقد امتازت بغداد بميزات كانت سبباً في نزول الناس والعلماء بها، وقد وصفها الرحالة والجغرافيون والعلماء عندما زاروها، فأكثروا من ذكر خصائصها وميزاتها ومحاسنها، فهذا اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) يقول: "وذكرت بغداد لأنها وسط العراق، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها؛ سعة، وكبراً، وعمارة، وكثرة مياه، وصحة... وأهل الأمصار والكور انتقلوا إليها من جميع البلدان القاصية والدانية، وآثرها جميع أهل الأفاق على أوطانهم، فليس من أهل إلا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف، واجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا"(١).

وأما المقدسي (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) فقال: "بغداد هي مصر الإسلام وبها مدينة السلام، ولها من خصائص الطرافة والقرائح واللطافة كلام رقيق، وعلم دقيق، كل جيد بها، وكل حسن فيها، وكلُ حاذقٍ منها، وكُل ظُرفٍ لها، وكل قلب إليها...، وهي أشهر من أن توصف، وأحسن من أن تنعت، وأعلى من أن تمدح"(٢).

وبذلك يمكن القول أنه كان لموقع بغداد المتميز على دجلة وقربها من الفرات،إضافة لكونها مركزَ الإشعاع العلمي كان له الأثر الواضح في جذب الناس والعلماء إليها.

---

(١) البلدان، (منشورات المطبعة الحيدرية، بغداد، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، ص ٢١٦.

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،(ط٢، مطبعة بريل، ليدن،١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)، ص٨.

وحيث إن بغداد كانت ملتقي قوافل حجاج المشرق الإسلامي المتجهين إلى مكة [١].

وكانت هذه القوافل تضم علماء تلك النواحي ومشايخهم، فكان نزولهم ببغداد عند المرور بها يتيح لهم التلقي والأخذ وأيضاً الإفادة بما لديهم من علوم، فإذا وصلوا مكة يكونون قد حملوا علوم المشارقة، فإذا رجعت تلك القوافل ونزلت ببغداد تبث فيها ما تلقته من علوم علماء الحرمين والوافدين من الحجيج، وكانت الطرق إلى بلاد المشرق ميسرة نوعاً ما، مما سمح بتنقل العلماء وطلاب العلم بين البلاد والأمصار حاملين معهم مؤلفاتهم، الأمر الذي ساعد على نشر العلوم والثقافات والآراء العلمية، وتبادل المناقشات والدروس، وكما حصل عدد من الطلاب على إجازاتهم العلمية في كثير من العلوم[٢].

ومن هؤلاء هيثم بن بشير بن أبي حازم (ت١٨٣هـ/ ٧٩٩م)[٣]؛ كان قد درس في مكة على كثير من علمائها، منهم: الزهري، وعمرو بن دينار[٤].

ومنهم علي بن الجعد (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) الذي وفد إلى مكة

---

(١) سبط ابن الجوزي: يوسف بن قزاوغلي بن عبدالله، مرآة الزمان وتاريخ الأعيان، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٧هـ/ ١٩٥٢م)، ج٨، ص ٥٣٣.

(٢) محمد مكية: بغداد، (دار الوراق للنشر، لندن، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص ١٢٣.

(٣) من أبرز علماء بغداد، ولد سنة (١٠٤هـ/ ٧٢٢م)، وقد برز في الحديث واشتهر بحفظه، وكما استفاد منه عدد كبير من طلبة العلم. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص ٨٥-٩٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٨ ، ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢٨٨.

لطلب العلم عدة مرات في سنة(١٥٧هـ/ ٧٧٣م)، وسنة(١٥٩هـ/ ٧٧٥م)[١]. ومنهم إمام الدنيا أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)[٢]، ففي أثناء رحلته إلى مكة لازم أشهر علمائها خلال فترات مختلفة من الزمن كان أولها سنة (١٨٧هـ/ ٨٠٢م)؛ ثم جاء إليها سنة (١٩٦هـ/٨١١م)، وأقام فيها سنة (١٩٧هـ/ ٨١٢م)، فنهل من علومهم الكثيفة مثل الإمام الشافعي[٣]، وسفيان بن عينة[٤] وغيرهما. ومنهم بشر بن موسى بن صالح الأسدي (ت٢٨٨هـ/ ٩٠٠م)، وهو من طلاب بغداد القادمين إلى مكة[٥]. ومنهم: محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م). والذي استوطن مكة ثلاثة عقود[٦].

(١) عالم بغدادي ولد سنة (١٣٤هـ/ ٧٥١م)، سمع من شعبة بن الحجاج وابن أبي ذئب وعدد كبير من علماء وقته. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٤٥٩-٤٦٨؛ ابن عدي: عبدالله بن الجرجاني: الكامل في ضعفاء الرجال، (تحقيق: سهيل زكار ويحيى غزاوي، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ج٥، ص ٢١٤.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج١١، ص ٢٨٦؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص ١٨٦؛ أحمد عبد الباقي: من أعلام العلماء العرب في القرآن الثالث الهجري، (سلسلة التراث القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، الأسكندرية)، ص ١٥-٢٨.

(٣) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، ج ١، ص ١١٦.

(٤) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٣٤١.

(٥) وصفه الخطيب البغدادي بأنه ثقة، أمين، عاقل، شيخ جليل، ولد سنة (١٩٠هـ/ ٨٠٥م)، وتوفي ببغداد سنة (٢٨٨هـ/٩٠٠م). تاريخ بغداد، ج٧، ص ٨٦-٨٨.

(٦) ينسب إلى آجر محلة ببغداد، حافظ، أخباري، ضابط صاحب تصانيف، انتقل إلى مكة مكة فعاش بها ٣٠ سنة، توفي بمكة سنة ٣٦٠هـ ودفن بها، وله من العمر ٩٦ سنة. محمد حبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص ٢٨-٢٩.

ولم تكن بغداد المركز العلمي الوحيد بالعراق الذي توطدت علاقته بمكة المكرمة؛ ففي العراق كانت الكوفة والبصرة وواسط أيضاً.

وقد قدم من مدينة **(الكوفة)** إلى مكة الإمام سفيان الثوري الكوفي (ت١٦١هـ/٧٧٧م)[١]. ودرس بها شاباً؛ فعن الوليد بن مسلم قال: "رأيت الثوري بمكة يستفتى ولما يخط وجهه بعد"[٢] – أي مازال شاباً صغيراً لم تنبت لحيته بعد–.

ومنهم: جرير بن عبد الحميد (ت١٨٨هـ/ ٨٠٣م)[٣]، كتب عنه عدد من طلبة العلم في مكة[٤].

وكذلك محمد بن سعدان الضرير الكوفي (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، أخذ علم القراءات عن علماء مكة[٥].

والحافظ عثمان بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (٢٣٩هـ/ ٨٥٣م)، الذي قدم إلى مكة ، فكتب عن علمائها في الحديث والتفسير[٦].

ولعل أشهر الكوفيين الوافدين إلى مكة ممن أثّر في العراق بعلوم المدرسة المكية هو إمام التابعين بالكوفة سعيد بن جبير الأسدي (ت٩٤هـ/ ٧١٣م)، فقد كان يفد إلى مكة مرتين في العام، فعن هلال

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص ٣٧١؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج ١، ص.

(٢) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ، ج٤، ص٢٢٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص ٣٨١ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، (ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، ج٩، ص ١٨.

(٤) البخاري: التاريخ الكبير، ج٣، ص ٣٧٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ١٢. ١٢.

(٥) السيوطي: بغية الوعاة، ص ٤٥.

(٦) المزي: تهذيب الكمال، ج١٩، ص ٤٧٨ – ٤٨٧ .

بن خباب، قال: خرجت مع سعيد بن جبير في رجب، فأحرم من الكوفة بعمرة، ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة، وكان يحرم في كل سنة مرتين؛ مرة للحج، ومرة للعمرة [١].

وكان في فترة بقائه بمكة يتعلم من الحبر البحر ابن عباس ﵄، ويكتب المسائل ويجتهد في كتابتها، يقول: ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى أملأها، وكتبت في نعلي حتى أملأها، وكتبت في كفي. وربما أتيته فلم أكتب حديثا حتى أرجع لا يسأله أحد عن شيء[٢].

وقد توسم فيه ابن عباس النجابة والعلم فصار يدربه على الفتوى، فعن مجاهد قال: قال ابن عباس لسعيد بن جبير: حدِّث. فقال: أحدث وأنت هاهنا؟ فقال: أوَ ليس من نعمة الله عليك أن تتحدث وأنا شاهد، فإن أصبت فذاك، وإن أخطأت علمتك ؟[٣].

ولم يلبث قليلاً حتى شهد له العلماء ومنهم شيخه ابن عباس ﵄، وصار يحيل عليه الفتيا، فعن جعفر بن أبي المغيرة قال: كان ابن عباس بعد ما عَمِيَ إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه قال: تسألوني وفيكم ابن أُمِّ دَهْمَاءَ؟ يعني سعيد بن جبير[٤].

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٤، ص٣٢٥.

(٢) السبكي : الطبقات الكبرى ، ج٦، ص ٢٦٨.

(٣) السبكي : الطبقات الكبرى ، ج٦، ص ٢٦٨.

(٤) السبكي: الطبقات الكبرى ، ج٦، ص٢٦٨.

وأما المركز العلمي الثاني بالعراق فهو (البصرة)، وقد وفد علماؤها على البلد الحرام ينهلون من العلوم مع ما كان من طلبهم الحج والعمرة.

ولعل من أشهر البصريين وفادة إلى مكة وتأثيراً بالبصرة إمام التابعين أبا العالية رفيع الرياحي (ت ٩٣هـ/٧١٢م)، الذي قال عنه أبو بكر بن أبي داود ليس بعد الصحابة أحد أعلم بالقرآن من أبي العالية وبعده سعيد بن جبير[١]، فقد كان أبو العالية أقرب أهل البصرة إلى المدرسة المكية في الفقه والاستدلال بأحكامه، بسبب كثرة وروده إلى مكة. قال ابن قتيبة حج أبو العالية ستين حجة[٢].

ولا شك أن هذا كان مؤثراً عليه في توجهه العلمي؛ فحمل العلوم المكية إلى العراق، واشتهر أنه حامل لواء المدرسة المكية في الاستدلال بالبصرة.

ومنهم: الشيخ علي بن إسماعيل البصري الخاشع من أهل القرن (٣هـ/٩م)[٣].

وأبو بكر محمد بن الحسن **بن دريد** الأزدي (ت٣٢١هـ/٩٣٣م) أخذ علم اللغة والأدب من أهل الحجاز عامة، وعرف عنه بأنه أشعر الشعراء في عصره[٤].

---

(١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ٣٦٧/١.

(٢) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤٥٤؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج١، ص٣٦٨.

(٣) الذهبي: معرفة القراء، ج١، ص ٢٧٢.

(٤) الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص ٢٤٩.

ومنهم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر العدوي البصري (ت٣٤٠هـ/ ٩٥٢م)[١]. والذي استوطن مكة وصار شيخاً للحرم في زمانه. ويحيى بن المبارك اليزيدي البصري (٢٠٢هـ/ ٨١٧م) درس عليه الكثير من طلاب مكة[٢].

ومحمد بن قمياز البصري (ت٢٤٩هـ/ ٨١٣م)[٣]. وأحمد بن هارون البرديجي من أهل القرن (٤هـ/ ١٠م)، وغيرهم من العلماء الذين عقدوا العديد من المجالس العلمية في المسجد الحرام أثناء أدائهم لفريضة الحج[٤].

ومن مدينة **(واسط)** سعيد بن سليمان الواسطي (ت٢٢٥هـ/ ٨٤٠م)، الذي أحب القدوم إلى مكة باستمرار، ولم ينقطع عنها منذ نشأته العلمية وحتى آخر أيام حياته، فأخذ عن علماء مكة وغيرهم من الوافدين عليها خصوصاً أثناء مواسم الحج التي اعتبرها فرصة ذهبية له في الجانب الديني، وهو: استمراره في أدائه للحج مدة زمنية تصل إلى ستين عاماً، وفي الجانب العلمي للنهل من كل تلك العلوم التي كانت تُدَرَّسُ في المسجد الحرام[٥].

---

(١) ولد بالبصرة سنة (٢٤٥هـ/٨٠٩م)، وقيل (٢٤٦هـ/٨١٠م)، ونشأ بها، وهو محدث اشتهر والعلم والدين، وأخذ بمكة عن المفضل الجندي، نزل مكة قبيل سنة (٤٠٦هـ/٨٢١م) وصار شيخ الحرم، قال عنه الذهبي: "كان شيخ الحرم في وقته سنداً وعلماً وزهداً وعبادة "، وصف بكثرة التأليف فكان له منها: كتاب الفوائد، وكتاب الوصايا وغيرها. محمد حبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، "جمع وعرض وتعريف"، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٤م)، ص ٢٥-٢٦.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٥٦٢؛ ابن العلماء الحنبلي: شذرات الذهب، ج٣، ص ٩.

(٣) المزي: تهذيب الكمال، ج٢٦، ص ٦٤٢-٦٤٥.

(٤) الذهبي: التذكرة، ج٢، ص ٧٤٦-٧٤٧.

(٥) الواسطي ، أسلم بن سهل الرزاز: تاريخ واسط، (تحقيق: كوركيس عواد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ١٩٣؛ الذهبي: التذكرة، ج١، ص ٣٩٨.

وبذلك شهدت مكة توافداً كبيراً عليها من أبناء العراق عامة للسماع من علمائها والدراسة عليهم في المسجد الحرام.



المبحث الثاني: بلاد فارس

بادئ ذي بدء يحسن بنا أن نتعرف أولاً على الموقع الجغرافي لبلاد فارس، يقول صاحب معجم البلدان: "فارس ولاية واسعة، وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق آرجان، ومن جهة كرمان السيرجان، ومن جهة بحر الهند سيراف، ومن جهة السند مكران.

واسم فارس ليس بعربي، بل هو اسم مُعرَّب أصله "بارس" ، فقُرب فقيل: فارس[١]. وفارس بلاد واسعة الحدود، مترامية الأطراف، تضم أمهات المدن الكبيرة، مثل : شيراز وغيرها[٢].

وكانت هذه البلاد ميداناً خصباً للعلوم والآداب، فقد أولاها حكامها رعاية واهتماماً في مجال العلم والمعرفة، فعلى سبيل المثال تذكر المصادر التاريخية أنه كان لعضد الدولة البويهي (ت٣٧٢هـ/ ٩٨٣م)[٣] مكتبة في شيراز طار صيتها في الآفاق، جمع فيها كتباً في مختلف العلوم، وقد وضعت في ثلاث خزائن بعد أن صنفت وفهرست ، وقد احتوت كل خزانة على فهرس لما تحويه من كتب كي ييسر للقاريء مهمة الحصول على الكتاب الذي يريد الإطلاع عليه ، وعلى أبواب

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص٣٠٣.

(٢) شيراز تقع في أواسط بلاد فارس، بنيت في الإسلام، وقيل أول من عمرها محمد بن القاسم الثقفي، توفي بها كثير من التابعين، اشتهرت بكثرة علمائها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٨٠.

(٣) هو أبو شجاع فناخسرو بن الحسن بن بويه، أحد المتغلبين الشيعة على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق، تولى ملك فارس والموصل وبلاد الجزيرة. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣١، ص ٢٩٥؛ الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ١٥٦.

الخزائن بوابون لا يأذنون إلا لخاصة القوم بالدخول والإطلاع، وكان يتناوب على الإشراف عليها والاعتناء بها عدد من العلماء، حرصوا على تزويدها بكل ما هو جديد في مجال العلم والمعرفة(١).

كما حفلت بلاد فارس بجمع كبير وعدد غفير من العلماء، ومن كافة التخصصات وشتى المجالات.

والأمر الذي يسترعي الانتباه في سير هؤلاء العلماء حرصهم على القيام برحلات علمية إلى كافة الأقطار لطلب العلم، وأخذه عن العلماء المشهورين، وقد كان كثير من هؤلاء العلماء ينزل مكة ويجاور بها، بل منهم من ألف بها مؤلفاته، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر من هؤلاء العلماء:

. عليّ بن الحسن بن أبي عيسى بن موسى بن مسيرة أبو الحسن الهلاليّ الدّارابجرديّ (ت ١٧٦هـ/٧٩٢م)، من أكابر علماء المسلمين، طلب الحديث بالحجاز، واليمن، والعراق، وخراسان. حجّ، والتقى في مكة بعدد من علمائها أمثال سفيان بن عيينة ، وقد برع في علم الحديث، فأخذ عنه: البخاريّ، ومسلم، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وغيرهم(٢).

. ابن جرير الطبري: هو شيخ المفسرين محمد بن جرير بن يزيد بن غالب ولد سنة (٢٢٤هـ/٨٣٨م) في طبرستان ببلاد فارس، وقد نزل

(١) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي ، (ط ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ، ص٢٩٨.

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢٠ ، ص ١٣٦.

مكة عام (٢٤٠هـ/٨٥٤)[(١)] ، وتوفي سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) ببغداد ودفن بها، طاف الأقاليم طلباً للعلم، وسمع من خلق كثير، اتجه إلى البصرة وسمع من علمائها، ثم انتقل إلى الكوفة، ورحل إلى الشام، وأقام بها فترة، ثم انتقل إلى مصر ليدرس مذهب الشافعي، ثم عاد إلى بغداد التي كانت حافلة بالمناظرات ومجالس العلم. وكان عالماً فقيهاً، ومؤرخاً ومفسراً، عاشقاً للعلم والمعرفة، سعى وراءها ولم يعرف في حياته سوى البحث والدراسة، لازم التدريس حتى وفاته، من أهم مؤلفاته: كتاب "جامع البيان في تفسير القرآن"، وكتاب "تاريخ الأمم والملوك"[(٢)].

. الحافظ أبو زرعة الكشي: هو محمد بن يوسف الجرجاني[(٣)]، أخذ عن علماء نيسابور[(٤)] وبغداد وهمذان والحجاز، وصنف المصنفات، وجاور بمكة لسنوات، إلى أن توفى بها سنة (٣٩٠هـ/٩٩٩م).

. أبو بكر أحمد بن علي الشيرازي: تفقه في حداثة السن، وتزهد وجالس الزهاد، سمع بالعراق بعد السبعين والثلاثمائة، ثم خرج إلى الحجاز وجاور حرم الله، وسمع الحديث من أهلها والواردين عليها،

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١١ ، ص٢٩٠.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١، ص٢٦٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ٢٦٩؛ ابن النديم: الفهرست، ص ٣٢٦؛ البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص ١٦٩.

(٣) جرجان: هي مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وقد قيل: إن أول من أنشأها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٨١.

(٤) نيسابور: هي مدينة ذات فضائل جسيمة، فهي من مدن الفضلاء ومنبع العلماء، فتحها المسلمون في خلافة عثمان بن عفان ﷺ سنة ٣١هـ . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٦٥.

وصنف في علوم الشريعة ودلائل النبوة وفي سير العباد والزهاد، وصارت تلك المصنفات في بلاد المسلمين تاريخاً لنيسابور وعلمائها المسلمين، توفي في أواخر القرن الرابع الهجري[١].

. أبو عبد الله محمد بن موسى بن إبراهيم الوتار الحارثي الاصطخري (ت٣١١هـ/٩٢٣م)، الحافظ، من أهل فارس، رحل وكتب الكثير، وكانت له معرفة بعلم الحديث[٢].

.أبو القاسم عبد العزيز بن بندار بن علي بن الحسن بن سلمى الشيرازي (ت بعد ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، من أهل شيراز، رحل إلى مكة طلباً لعلم الحديث ، فأقام بحرم الله تعالى إلى مدة مديدة، سمع فيها من عدد من علماء مكة، أمثال: أحمد بن إبراهيم بن فراس المكي. روى عنه أحمد بن محمد العثماني المكي[٣].



(١) السمعاني: الأنساب، ج٢، ص ٣٥١.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص ٥٧٣.

(٣) السمعاني: الأنساب، ج ٣، ص ٤٩٣- ٤٩٤.

المبحث الثالث: خراسان والري و إقليم الجبال

تعني كلمة "خراسان" في اللغة الفارسية القديمة: "بلاد المشرق"، أو "بلاد الشمس"؛ لأن "خر" تعني: الشمس، و "آسان": أصل الشيء ومكانه[١].

وقيل في تسميتها: إنها تنسب إلى: خراسان بن عالم بن سام بن نوح؛ لأن خراسان وهيطل أبناء عالم بن سام بن نوح خرجا من بابل، فنزل هيطل في البلاد المعروفة بالهياطلة، أو الهون البيض[٢]، وهو بلاد ما وراء نهر جيحون، ونزل خراسان في المنطقة المعروفة بخراسان في الوقت الحاضر، فسميت كل بقعة بالذي نزلها[٣].

وتقع خراسان في الشمال الشرقي من إيران، ويحدها من الشمال نهر جيحون، ومن الجنوب صحراء دشت كافر وخورستان وسجتان، ومن الغرب الصحراء الكبرى وطبرستان وبحر قزوين، ومن الشمال جبال هندكوش ونهر الأندس[٤].

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٥٠؛ أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، (دار صادر، بيروت)، ص ٤٤١.

(٢) الهياطلة أو الهون البيض يشكلون فرعاً من فروع المغول، وقد كانت المنطقة الواقعة مابين نهري جيحون وسيحون مأهولة بالأتراك الهياطلة الذين عرفوا باسم (الصفد). ياقوت الحموي:معجم البلدان، ج ٥ ، ص ٤٥.

(٣) ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، (دار صادر، بيروت، د . ت)، ص ٣١٤ ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٥٠.

(٤) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٤٤١.

وكان إقليم خراسان في أيام العرب ينقسم إلى أربعة أرباع، نسب كل ربع إلى إحدى المدن الأربع الكبرى ، التي كانت في أوقات مختلفة عواصم للإقليم ، وهذه المدن هي : نيسابور ، ومرو ، وهراة ، وبلخ، وبعد الفتح الإسلامي كانت (مرو) و (بلخ) عاصمتي إقليم خراسان(١).

(١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ٣٢١ ؛ الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي: مسالك الممالك، (دار صادر، بيروت)، ص ٢٥٣-٢٥٤؛ كي سترنج: بلدان الخلافة الشرقية، (ترجمة: بشير أنيس وآخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص ٤٢٤.

كان يطلق اسم خراسان بوجه عام في أوائل القرون الإسلامية على جميع الأقاليم الإسلامية الواقعة في شرق المفازة (الصحراء) الكبرى حتى حدود جبال الهند، وعلى ذلك فقد كان الحد الشرقي لخراسان هو نواحي سجستان والهند ، وفي الغرب مفازة الغزية ونواحي جُرجان ، وفي الشمال بلاد ماوراء النهر(نهر جيحون) وجزء من بلد الترك، وفي الجنوب مفازة فارس وقومس. إلا أن حدود إقليم خراسان هذه صارت بعد ذلك أكثر حصراً وأدق تعييناً؛ حيث أصبحت ازاذور بناحية نيسابور غرباً ، هي حد خراسان من ناحية الغرب، وطخارستان وغزنة شرقاً ، ولم يكن يمتد لأبعد من نهر جيحون في الشمال الشرقي، وفي الجنوب يحده إقليما سجستان وقوهستان ، وإقليم خراسان موزع الآن على خريطة آسيا السياسية على جمهوريات ثلاث، وهي: إيران وتضم قسماً من خراسان يعرف بهذا الاسم للآن، ويطلق على إحدى محافظات الجمهورية الإيرانية الإسلامية ومساحتها ١:٨ (واحد إلى ثمانية) من مساحة إيران حالياً وتقع في الشمال الشرقي من إيران ، وهي منطقة نيسابور في العصر الإسلامي. وقسم يقع في أفغانستان، وهما منطقتي هراة وبلخ في العصر الإسلامي. وقسم يقع داخل حدود جمهورية تركمانستان، وهي منطقة مرو في العصر الإسلامي. ولمزيد من المعلومات انظر : الصافي عبد العليم النجار : الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في خراسان في العصر السلجوقي الثاني "٤٨٥ - ٥٩٠هـ"، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ص٢٩- ٣١.

ويتفق المؤرخون العرب على أن خراسان فتحت في أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان (٢٢-٣٥هـ/ ٤٤٢ -٦٥٥م)، وعلى يد ابن خاله القائد العربي عبد الله بن عامر بن عزيز بن ربيعة بن عبد شمس[١]. وكان الخليفة عثمان بن عفان قد ولى عبدالله بن عامر ولاية البصرة سنة (٢٩هـ/ ٦٤٩م)، وهو ابن خمسة وعشرين عاماً، كما ولى في نفس العام سعيد بن أبي العاص على الكوفة، وأمرهما بإعادة فتح فارس والأقاليم الشرقية بعد أن انتقض أهلها[٢].

أما بالنسبة للقادمين من حمَلة العلم من مختلف أقاليم ومدن المشرق الإسلامي إلى مكة، فقد تفاوتت أعدادهم من مكان لآخر، فنجد أن بعض المدن الخراسانية تدفق منها العلماء وحملة العلم إلى مكة، مثل: مدينة مرو، ونيسابور، وهراة، وقد يرجع ذلك إلى قوة النشاط العلمي في هذه المدن آنذاك، وهو يشير أيضاً إلى الحب والشغف الكبيرين لدى أبناء هذه البلاد للرحلة إلى مكة، لما تتمتع به من شهرة دينية وعلمية، كما يعتبرها حملة العلم فرصة ثمينة لهم للقاء الشيوخ والأخذ عنهم؛ ليسهل عليهم الحصول على متطلباتهم العلمية في ميادين العلوم المختلفة في ذلك المكان دون مشقة كبيرة، أو حاجة لضرورة

(١) البلاذري: فتوح البلدان، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ٣٩٤؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ج٢، ص ٢٦٤؛ ابن أعثم الكوفي: أبو محمد أحمد بن أعثم، كاب الفتوح، (تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ج٢، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٩٤؛ الطبري: تاريخ الأمم، ج٤، ص ٢٦٤.

القيام بالرحلة إلى أي قطر إسلامي آخر، مما دفع الكثير من حملة العلم في دار الإسلام إلى الاقتصار والاكتفاء بالرحلة إلى مكة.

لقد حرص حملة العلم الخراسانيين على الرحلة وطلب العلم من مكة، على أيدي أشهر العلماء المكيين والوافدين من مختلف أقطار المشرق والمغرب الإسلامي، للرواية عنهم والتتلمذ عليهم.

. أبو عبيد القاسم بن سلام بن سكين بن زيد الهروي البغدادي اللغوي المحدث الفقيه، ولد بهراة[1] عام (١٥٧هـ/٧٧٣م)، ثم طلب العلم فسمع الحديث من الأمصار عن الأجلاء، وأخذ القراءات عن الكسائي وغيره، وأثناء ذلك درس الفقه على الشافعي، ثم قدم بغداد فأقام فيها مدة درس فيها العربية على عدد من علمائها، ثم استدعاه حاكم مدينة طرسوس[2] ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي ليتولى شؤون تربية وتعليم ولده، وولاه قضاء طرسوس ثمانية عشر عاماً، ولم يزل معه ومع ولده إلى أن رجع إلى بغداد، فعكف على التأليف والتصنيف في الحديث والفقه والعربية، ثم أهداها إلى عبد الله بن طاهر والى خراسان، فتوطدت العلاقة بينهما ، كما زار في هذه الفترة مصر عام (٢١٣هـ/ ٨٢٨م)

(١) هراة: مدينة عظيمة، مشهورة، من أمهات مدن خراسان، فيها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، وخيرات عديدة، وبها الكثير من العلماء وأهل الفضل والثراء. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣١٢.

(٢) طرسوس: هي مدينة بثغور الشام، بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، قيل أنشأها يمان خادم الرشيد في سنة نيف وتسعين ومائة. كانت موطناً للصالحين والزهاد ، يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ١٦٠.

وبصحبته ابن معين، ثم توجه إلى مكة عام (٢١٩هـ/ ٨٣٤م) لأداء فريضة الحج، فأقام بها حتى عام (٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)[١] .

ومن مشهوري علماء **(مرو)**[٢] الذين وفدوا إلى مكة: عبدالله بن المبارك (ت١٨١هـ/٧٩٧م)، فقد كان كثير التردد على مكة[٣]، وبها حدّث بكتابه الذي صنفه في "الزهد"[٤]. وكان سفيان بن عيينة إمام مكة يعرف له فضله ويقدمه، فعن عبد الرحمن بن أبي جَميل، قَالَ: كنا حول ابن المبارك بمكة، فقلنا له: يا عالم المشرق، حَدِّثْنَا، وسفيان قريب منا فسمع، قَالَ: ويحكم عالم المشرق والمغرب وما بينهما[٥]. ومنهم: إسحاق بن إبراهيم المروزي المعروف بابن راهويه (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، أحد أئمة الإسلام، وأحد كبار الشافعية، وعالم خراسان في عصره[٦]، من سكان مرو، وتتلمذ على سفيان بن عيينة[٧].

(١) انظر ترجمته: طبقات النحويين واللغويين، ص ١٩٩؛ تاريخ بغداد، ج ١٢، ص٤٠٣؛ بغية الوعاة، ج٢، ص ٢٥٣.

(٢) مرو: من أشهر مدن إقليم خراسان: ويقال لها "مرو الشاهجال"، وتسمى "أم خراسان"، والنسبة إليها مروزي. الحميري: محمد بن محمد بن عبدالله، الروض المعطار في خبر الأقطار، (تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان،١٩٨٤م)، ص ٥٣٢-٥٣٤.

(٣) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، ج١، ص ١٠٤.

(٤) القزويني، الخليل بن عبد الله: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، (تحقيق: محمد سعيد إدريس، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ج٣، ص ٨٨٨.

(٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج١١، ص ٤٠٠.

(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٦، ص ٣٤٣؛ ناجي معروف: عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في خراسان، (ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، ج١، ص ٣٨٩.

(٧) السيوطي: طبقات الحفاظ، ص ١٨٨-١٨٩.

كما تتلمذ على الشافعي بمشورة الإمام أحمد، حيث ذكر أنه قال له: (جالس هذا الرجل – يعنى الشافعي، قلت ما أصنع به سنه قريب من سننا! أترك ابن عيينة والمقري؟ قال: ويحك! إن ذاك لا يفوت وذا يفوت، فجالسته)[١].

ومنهم: يحيى بن أكثم الأسدي (ت٢٤٢هـ/٨٥٦م)[٢]، فقيه، بصير بالأحكام، سمع عبدالله بن المبارك، وسفيان بن عيينة، وروى عنه الإمام أبو عيسى الترمذي، وله كتب في الأصول، وله كتاب أورده على العراقيين سماه: كتاب "التنبيه"[٣]، كما كتب عنه طلبة العلم بمكة[٤].. ومن علماء مرو مرو الوافدين على مكة أيضا: سليمان بن معبد المروزي (ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)[٥]، ومحمد بن عمرو المروزي (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)[٦]، وعمر بن أحمد الجوهري المروزي (تق ٤هـ/ ق١٠م)، الذي عقد مجلساً علمياً بعد عودته من الحج سنة (٣٢٣هـ/ ٩٣٥م)[٧] وحضر له الكثير من مشايخ العلم العلم لمعرفتهم بشهرته العلمية، وإلمامه بالكثير من فنون العلم والمعرفة.

(١) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ، ج٧، ص ٢٠٢.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ٥-١٥.

(٣) ناجي معروف: عروبة العلماء، ج١، ص ٣٨٩-٣٩١.

(٤) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، طبعة (دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١)،ج٩، ط١)،ج٩، ص ١٢٩.

(٥) السيوطي: بغية الوعاة، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٦) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص ٦١٥-٦١٦.

(٧) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص ٢٢٨.

وأما مدينة **(نيسابور)** فقد كانت مجمع العلماء وملتقى الفضلاء من أهل العلم والأدب دون منازع(١).

وقد سجل علماء نيسابور نهضة علمية وثقافية شاملة، كانت لها آثارها في توطيد العلاقات الثقافية والعلمية بين نيسابور والمراكز العلمية الأخرى في معظم الأمصار الإسلامية،، حتى عرفت وأصبحت مضرباً للمثل، كما ارتحل طلاب العلم من نيسابور إلى معظم مدن الإسلام للالتقاء بمشاهير العلماء والسماع عليهم، وجمع الإجازات العلمية منهم، كما وفد إليها من أنحاء الدولة الإسلامية علماء أجلاء وطلاب علم نبهاء للأخذ والسماع من علمائها.

فممن رحل في طلب العلم من أهالي نيسابور، وحطت رحاله مكة: العلامة بسير بن معروف النيسابوري (ت١٦٣هـ/ ٧٧٩م)، كان فقيهاً عالماً ثقة، التقى بعدد من علماء مكة وأخذ عنهم(٢)، وكذلك الحال بالنسبة للعالم أبي بكر النيسابوري (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م) ، فقد رحل إلى مكة طلباً للعلم فالتقى بعلماء المسجد الحرام، ونال نصيباً من العلم على أيديهم(٣).

كما أن إمام الحديث مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ / ٨٧٤م) ، كان ممن رحل إلى مكة وسمع بها من

---

(١) محمد الفاجالو: الحياة العلمية في نيسابور خلال الفترة "٢٩٠-٥٤٨هـ/ ٩٠١-١١٥٣م"، (رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص١٥٨.

(٢) ناجى معروف: عروبة العلماء، ص ١٢٠.

(٣) ناجي معروف: عروبة العلماء، ص ١٢٣.

عبد الله بن مسلمة سنة (٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) وغيره ، وهو صاحب المؤلفات القيمة في الحديث وأهمها: "الصحيح"، جمع فيه اثنى عشر ألف حديث، وهو أحد الصحيحين المعمول عليها عند أهل السنة في الحديث، وله من المصنفات أيضاً: "المسند الكبير"، رتبه على الرجال، و"الجامع"، رتبه على الأبواب، و"العلل" وغيرها(١).

كما ارتحل إلى مكة من أهل نيسابور الحسن بن عيسى النيسابوري (ت٢٣٩هـ/٨٥٣م)، عرف بغزارة علمه، وتفقه في الدين، كان حريصاً على لقاء علماء مكة وأخذ العلم عنهم(٢).

ومنهم : فضل بن محمد بن المسيب البيهقي (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)(٣) ، كان أديباً فقيهاً عابداً، كثير الرحلة في طلب الحديث، سمع الكثير من علماء مكة، وكان يقول: "ما بقى في الدنيا مدينة لم يدخلها الفضل في طلب الحديث"(٤).

وأما محمد بن داود بن سليمان أبو بكر النيسابوري (ت٣٤٢هـ/ ٩٥٣م)، فكان حافظاً ومحدثاً وزاهداً، شيخ عصره في الرحلة والسماع، أكثر من سماع الحديث، سمع ببلده ثم ارتحل إلى بغداد والبصرة ومكة

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ٥٥٨؛ ناجي معروف: عروبة العلماء، ص١٥٦-١٥٧.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص ٣٦٣-٣٦٥.

(٣) وهو من "ريوذ" قرية من قري بيهق من نواحي نيسابور، ينسب إليها كثير من أهل العلم، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ١٣٠.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص ٤٧٥.

وغيرها من المدن والمراكز العلمية. وقد خرج من نيسابور لطلب العلم سنة (٢٩٤هـ/٩٠٦م)، وأتاها سنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م)، وصنف المصنفات على الأبواب والشيوخ، وعقد "مجالس الإملاء"، وأملى الحديث بنيسابور مدة، وجلس بها للإفادة حتى وافته المنية بها(١).

ومنهم أيضاً: الحافظ المحدث الحسن بن علي بن يزيد بن داود أبو علي النيسابوري (ت٣٤٩هـ/٩٦٠م)، وهو شيخ الحاكم صاحب المستدرك، وقد عرف أبو علي بالحفظ والإتقان والورع، والرحلة لطلب العلم، وكثرة التصنيف. سمع بمكة، وعقد له مجلس الإملاء سنة (٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، وهو ابن (٦٠) سنة، ثم لم يزل يحدث بالمصنفات والشيوخ بقية عمره(٢).

وكذلك كان الرحالة المعمر محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق أبو أحمد النيسابوري (ت٣٧٨هـ/٩٨٨م)، الحافظ الكبير، محدث خراسان في عصره، وإمام وقته، أخذ العلم عن علماء بلده، ثم ارتحل بعد ذلك لطلب العلم من مختلف أقطار المشرق الإسلامي، فدخل مكة، وحج، والتقى بعلمائها، وأخذ عنهم، ثم رجع إلى خراسان. وكان قد بدأ رحلته العلمية وهو ابن نيف وعشرين سنة، ثم أتى نيسابور سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م)، وبنى مسجداً ومنزلاً، ولزمها، فأخذ بالإفادة، وأقبل على العبادة والتأليف والتدريس إلى أن توفي بها سنة (٣٧٨هـ/٩٨٨م)، وله (٩٣) سنة(٣) .

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٤٢٠؛ تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ٩٠١.

(٢) ابن عساكر: التهذيب، ج٤، ص ٣٥٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٦٨؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٣، ص ٢٧٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٤٧٠؛ وتذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ٩٧٦؛ الصفدي: صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، (دار صادر، بيروت، ج١، ص ١١٥.

كما وجد الكثير من حملة العلم النيسابوريين ممن اشتهروا بكثرة التردد على مكة، فأسهموا في تطوير الحركة العلمية فيها بالتدريس في المسجد الحرام، منهم: أحمد بن محمد أبو سعيد النيسابوري (ت٣٥٥هـ/ ٩٦٦م)[١]، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (ت٣١١هـ/ ٩٢٣م)[٢]، وعبد الملك بن عبد الله بن الجويني الذي أقام فترة من الزمن بمكة، ثم بالمدينة النبوية أيضاً، ودرس فيها حتى لقب بـ "إمام الحرمين"[٣].

أما مدينة **(هراة)**[٤] فتعد هي الأخرى من مدن خراسان التي رحل منها الكثير من حملة العلم إلى مكة للاستفادة من علوم أهل مكة والوافدين عليها من مختلف المشرق والمغرب الإسلامي، ثم بعد مدة من الزمن ظهر دورهم الإيجابي في تبادل الثقافات مع طلبة العلم بمكة، بل وفي البلدان التي كانوا يمرون بها أثناء عودتهم من مكة إلى بلدانهم بتدريسهم، ومن أبرز هؤلاء: عبد السلام بن صالح، أبو الصلت الهروي (ت٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)، الذي كرر المجيء إلى مكة عدة مرات، فسمع من علمائها، مثل سفيان بن عينة)[٥].

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص ٢٢٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص ٢٣٣-٢٣٦.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص ٥٠٧-٥٠٨.

(٤) هراة: مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان، بناها الإسكندر، وهي من أجمل مدن خراسان، فيها الكثير من العلماء وأهل الفضل والثناء. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٩٦؛ الإدريسي: محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (ط١، مكتبة، القاهرة)، ج١، ص ٤٧٣.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص ٤٤٦-٤٤٥ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص ٤٧-٥٢.

. أبو الفضل، محمد بن أبي الحسين الهروي (ت٣١٧هـ/ ٩٢٩م) أحد علماء الحديث في زمانه، كان له دور فعال في تنشيط الحياة العلمية وتطورها في مكة عامة، ولم ينقطع دوره الإيجابي حتى الساعات الأخيرة من حياته؛ حيث قتل على يد القرامطة في الحرم المكي، وهو يلقي دروسه العلمية لطلبة العلم(١).

. حامد بن محمد الهروي (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٥م)، أكثر الرحلة وطلب العلم إلى مكة، فكان يحج ويطلب العلم، قام بنشر العلم في كثير من البلدان التي مر بها أثناء رحلته إلى مكة(٢).

. وأيضاً من العلماء الهرويين، ممن لهم التأثير الإيجابي في المجال العلمي والتبادل الثقافي بين هراة ومكة؛ أبو منصور الأزهرى، محمد بن أحمد بن الأزهر. ولد بهراة، وتتلمذ فيها على أستاذه المنذري، وسمع من شيوخ الهرويين، ثم ارتحل إلى بغداد لطلب العلم، فأخذ عن الأنباري والزجاجي وابن السراج وغيرهم، ثم خرج منها لفريضة الحج عام (٣١١هـ/٩٢٣م)، فوقع أسيراً لدى القرامطة في طريق عودته إلى العراق، فعاش أسيراً في بادية البحرين دهراً طويلاً، استفاد خلالها من عرب البادية علماً وأخباراً كثيرة ضمنها كتابة "التهذيب"، ثم رجع إلى بغداد بعد إطلاق سراحه، ومنها إلى هراة، فألف فيها كتابه المشهور "تهذيب اللغة"، ولم يخرج منها حتى توفى بها سنة (٣٧٠هـ/٩٨٠م)(٣).

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص ٨٣٤-٨٣٥ .

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص ١٨٤.

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٥، ص ٣٢١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص ٤٤٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، (الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ج٤، ص ١٣٩.

وكانت **(بلخ)**[١] من المراكز العلمية المرموقة والتي رحل بعض علمائها إلى مكة في المدة التي تتناولها هذه الدراسة، فقدم منها إلى مكة لطلب العلم:

. مكي بن إبراهيم البلخي (ت٢١٥هـ/ ٨٢٠م)، الذي حدث الناس بعلمه عند ذهابه إلى مكة وعند رجوعه منها إلى بلده، فأخذ عنه الكثير من طلبة العلم[٢].

. ومحمد بن أبان بن حمدويه (ت٢٤٤هـ/ ٨٥٨م)، الذي روى عن الكثير من علماء مكة مثل: عبدالله بن رجاء المكي وغيره[٣].

وأسهمت مدينة **(طوس)**[٤] في هذا النشاط العلمي بين مكة وخراسان، فوفد منها بعض طلبة العلم إلى البلد الحرام، منهم:

. محمد بن أسلم الطوسي (ت٢٤٢هـ/ ٨٥٦م)[٥]، الذي سمع فيها من أبي عبد الرحمن المقري[٦].

(١) بلخ: إحدى مدن خراسان، قيل: إن الذي بناها الإسكندر، وقيل غير ذلك، وكانت تسمى الإسكندرية، تبعد عن نهر جيحون بعشرة فراسخ، – الفرسخ = ٥,٥ كلم، أي حوالي ٥٥ كلم – وأول من فتحها الأحنف بن قيس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٧٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات، (ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج ٧، ص ١٧١.

(٣) الداودي: محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، (تحقيق: على محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ج٢، ص ٤٥-٤٦.

(٤) طوس: مدينة بخراسان، بينها وبين نيسابور عشر فراسخ، ويتبع طوس العديد من فتحت أيام عثمان بن عفان ﷺ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٩.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ج ١١، ص ٣٠٢.

(٦) القزويني: إرشاد، ج٣، ص ٨٣١.

. إبراهيم بن إسماعيل الطوسي (ت٢٠٩هـ/ ٩٠١م)، الذي سمع من سعيد بن منصور، والحميدي، وأبي مصعب الزهري، وغيرهم[١].

. كما نصر بن محمد أحمد الطوسي (ت٣٨٣هـ/ ٩٩٣م) بمكة من أبي سعيد الأعرابي[٢].

ومن مدن خراسان العلمية (**سرخس**)[٣]، ومنها قدم إلى مكة كل من: محمد بن أحمد بن إسحاق السرخسي (ت٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، وخلف بن عبد الرحمن السرخسي ، كان حياً في القرن (٤هـ/ ١٠م)، وعقدا المجالس العلمية أثناء عودتهما من مكة إلى بلدهما[٤].

ومن مدينة (إسفرايين)[٥] قدم إلى مكة الإمام أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الإسفراييني، وهو أول من أدخل المذهب الشافعي وتصانيفه إلى إسفرايين[٦].

ومنهم أحمد بن عبد العزيز الإسفراييني (كان حياً أوائل القرن ٤هـ/١٠م)[٧]، ومحمد بن أسد الحوشي ، والذي رحل إلى مكة طلباً للعلم سنة (٢١٦هـ/ ٨٣١م)، وحدث بها وكتب عنه طلبة العلم[٨].

---

(١) الذهبي: التذكرة، ج٢، ص ٦٧٩.

(٢) ابن عبد الهادي: الطبقات، ج٣، ص ٢١١.

(٣) سرخس: مدينة خراسانية بين مرو ونيسابور، ينسب إليها الكثير من العلماء. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٢٠٩.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص ٢٩٣؛ ج٨، ص ٣٢٩.

(٥) إسفراين: بلدة حصينة من نواحي نيسابور، على منتصف الطريق من جرجان، ينسب إليها الكثير من أئمة الفقه. ياقوت الحموي: بمعجم البلدان، ج١، ص١٧٧.

(٦) السبكي: الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٤٨٧، ٤٨٨.

(٧) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص ١٠.

(٨) الرازي: الجرح والتعديل، ج٩، ص ٢٠٩.

أما بالنسبة إلى إقليمي الري والجبال، فقد اختلف الجغرافيون المسلمون في تحديد إقليم " الري" ، فعده بعضهم من إقليم الجبال(١)، وألحقه بعضهم بإقليم الديلم(٢).

وإقليم "الري" يقع في الطرف الشمالي الشرقي ضمن مدن الإقليم(٣).

وصفه المقدسي بقوله: "الري عروس الدنيا، وسكة الأرض، طيبة الهواء، واسطة خراسان وجرجان والعراق، ما عرفت لقصبتها اسماً آخر، ولها من المدن: أوة، وساوة، وقزوين، وأبهر"(٤).

وكانت "الري" تسمى أيضاً بـ "المحمدية"، نسبة إلى محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور(٥).

(١) ابن رسته: الأعلاق النفسية، (مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١م)، ص ١٥٢؛ ابن خرداذبة: المسالك والممالك، (مكتبة المثنى، بغداد)، ص ٥٧؛ نادية بنت عبد الصمد مقلية، إقليما الري والجبال في العصر البويهي "٣٣٠- ٤٢٠هـ/ ٩٤٢ – ١٠٢٩م" دراسة سياسية، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص ٢.

(٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ١٩٣.

(٣) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٤٩ .

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص (٣٨٥، ٣٨٦) .

(٥) محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه أبي جعفر جعفر المنصور سنة ١٥٨هـ، وتوفي سنة ١٦٩هـ. ابن حزم: جهرة أنساب العرب، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٢١. البكري: تاريخ الخميس في أحوال نفس نفيس، (مؤسسة شعبان، بيروت ط١)، ج١، ص ٣٢٩-٣٣٠.

وقد تم بناؤها سنة (١٥٨هـ/ ٧٧٨م)، وبها الحصن المعروف بـ " الزينبدي"، أو "الزبيدية"، وقد جعل بعد ذلك سجناً، ثم خرب وأعيدت عمارته سنة (٢٧٨هـ/ ٨٩١م)[١].

وانتسب لمدينة الري،– والنسبة إليها "رازي"[٢] – عدد من العلماء منهم: أبو الحسن محمد بن يحي الرازي، المعروف بابن حيكوية (ت٣٣٨هـ/ ٩٤٩م)[٣]. وأبو زرعة: أحمد بن الحسين بن علي الرازي (ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)[٤]. وأبو بكر: محمد بن عبدالله بن عبد العزيز بن شاذان الرازي (ت٣٧٦هـ/ ٩٨٦م) [٥]. وابن فارس: أحمد بن الحسين بن بن زكريا الرازي (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)[٦].

وأطلق الجغرافيون مسمى إقليم (الجبال) على البلاد الواسعة الممتدة من سهول العراق والجزيرة في الغرب إلى مفازة فارس الملحية الكبرى في الشرق[٧]. واستمرت تلك التسمية إلى القرن الرابع الهجري[٨].

(١) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٥٠.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٢٣؛ ابن الأثير: اللباب ، ج٢، ص ٦.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٣٧٩.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، (المكتبة السلفية، المدينة المنورة)، ج٤، ص ١٠٩؛

(٥) السمعاني: الأنساب، ج٥، ص ٢٤٢.

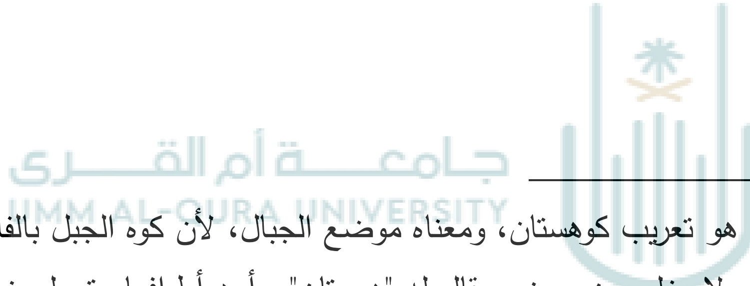
(٦) الثعالبي: عبد الملك بن محمد النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، (تحقيق: محمد الدين عبد الحميد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج ٣، ص ٣٩٧.

(٧) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٨١.

(٨) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٢٠.

وقد عرف القزويني ما يرادف هذا الإقليم بالفارسية فسماه "قوهستان"(١) ، أي: "إقليم الجبال"(٢).

وموقع إقليم الجبال له أهميته؛ لأنه كان يربط الخلافة العباسية بالمشرق، كما يتوسطه عدد من الأقاليم المهمة، وتقع في شماله أقاليم الديلم(٣) والري وقزوين، ويقع في جنوبه إقليم الأهواز وبعض من فارس، فارس، أما في شرقه فتقع مفازة خراسان "المفازة الكبرى" وفارس، وفي غربه أذربيجان، وهو بهذا الموقع يتحكم في الطرق التي كانت تربط الخلافة العباسية بأهم وأغنى أقاليمها الشرقية، وخاصة إقليم خراسان، وهي تمثل حلقة وصل بين خراسان وفارس وأرذ بيجان وأرمينية(٤) وغيرها(٥).



(١) قُوْهِستان: هو تعريب كوهستان، ومعناه موضع الجبال، لأن كوه الجبل بالفارسية، وأكثر بلاد العجم لا يخلو عن موضع يقال له "هوستان"، وأحد أطرافها متصل بنواحي هراة ثم يمتد في الجبال طولا حتى يتصل بقرب منها وهذان وبورجرد، وهذه الجبال كلها تسمى بهذا الاسم، فتحت في أيام عثمان بن عفان ﷺ سنة ٢٩ للهجرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٠٣.

(٢) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٢١.

(٣) بلاد الديلم: الجزء الجبلي الإيراني الواقع جنوب غرب قزوين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٦٩.

(٤) أرمينية: يحدها من الشرق والجنوب الشرقي والشمال الشرقي أذربيحان والران، ومن الشمال والغرب بلاد الكرخ، ومن الغرب والجنوب الغربي إقليم الجزيرة. السترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١١٦.

(٥) محمد ربيع مدخلي: الإمارة العجلية في إقليم الجبال، مجلة كلية الشريعة واللغة العربية، العربية، ١٦٨، العدد ٢٩، ص ٤٨-٤٩.

وقد فُتحت معظم مدن الإقليم منذ وقت مبكر في التاريخ الإسلامي، يرجع إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك سنة (٢١هـ/ ٦٤١م) عند أُذن للجيوش الإسلامية بالانسياح في بلاد العجم، فأخذت الحملات تتوالى على مدن الإقليم حتى زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأكمل فتح بقية الإقليم[١].

ومن أهم مدن إقليم الجبال: أصبهان[٢]، وهمذان[٣]، والكرخ[٤]، والدينور[٥].

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٠٠؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ١٣٨.

(٢) أصبهان: من أشهر مدن إقليم الجبال، واختلفت في سبب تسميتها بهذا الاسم، فقيل نسبة إلى أصبهان بن فلوج بن لنطي بن يافث، وقيل إلى فلوج بن سام بن نوح، وأصبهان اسم مركب؛ لأن الأصب معناه: "البلد"، وهان "اسم للفارس"، وتقع في القسم الجنوبي الشرقي من إقليم الجبال. الحميري: الروض المعطار، ص٤٣؛ ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص ٥٣٠.

(٣) همذان: مدينة كبيرة حسنة، وصفت بأنها أعتق مدن إقليم الجبال، ونسبت إلى همذان بن فلوج بن سام بن نوح، وتقع وسط إقليم الجبال. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٠٧؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٤٧١.

(٤) هي مدينة بين همذان وأصفهان، بنيت زمن المهدي، بناها أبو دلف العجلي. السمعاني: الأنساب، ج٥، ص٤٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٥٠٦.

(٥) الدينور: مدينة قرب قرميسن، يرجع تاريخ بنائها إلى هرمز بن خسرو شير بن بهرام، وقد تم فتحها بعد وقعة نهاوند صلحاً، وأقر أهلها بالجزية والخراج، وكان مبلغ خراجها خمسة آلاف ألف وسبعمائة ألف درهم . ابن الأثير: اللباب، ج١، ص ٥٢٦؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٦١٦؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٠٤.

وتعتبر الرحلات التي قام بها عدد كبير من العلماء إقليم الجبال ذات أثر عميق في تواصل العلاقات العلمية بين إقليم الجبال والأمصار الإسلامية الأخرى، وتوحيدها علمياً وثقافياً.

كما كان لتشجيع الأساتذة والعلماء طلابهم على الرحلة أثر في توجههم إلى مراكز العلم المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي آنذاك، وتكبدهم المشاق، وقطعهم آلاف الأميال لأخذ العلم عن أهله، بعد تحصيل ما لدى علماء بلادهم من علم ومعرفة. ولم تقتصر الرحلات على الطلبة إنما شملت العلماء الذين كانوا يرحلون للاستفادة والإفادة(١).

لقد جاب علماء الإقليم الآفاق للأخذ عن شتى المراكز الفكرية المنتشرة في العالم الإسلامي، وظهر لهم أثر في إحداث نهضة علمية وثقافية شاملة للعلاقات العلمية بين مدن الإقليم والأقطار الإسلامية، ولاسيما مكة ، كما أن بعضهم استقر في تلك المدن التي رحلوا إليها فمن هؤلاء العلماء الذين خرجوا من الإقليم إلى مكة:

فمن إقليم الري قدم إليها الحافظ أبو بكر محمد بن إبراهيم المقرئ (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م) فقد بلغ في رحلته قرابة خمسين مدينة، منها: بغداد، والموصل، والأهواز، ومكة. وكان يقول عن نفسه: "طفت الشرق والغرب أربع مرات... ، ودخلت بيت المقدس عشر مرات، وحججت أربع مرات"، حدث بمكة عن إِسْحَاقَ بنِ أَحْمَدَ الخُزَاعِيِّ، وَالمُفَضَّلِ بنِ مُحَمَّدٍ الجَنَدِيِّ، وَابنِ المُنْذِرِ(٢).

---

(١) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، (ترجمة: سامي الصقار،دار المريخ، الرياض،١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٥٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ، ج١٢، ص ٣٨٢.

. أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، الإمام الحافظ الكبير، وهو من علماء القرن الثالث (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م)، وهو من أبرز علماء الري الذين عرفوا بكثرة تجوالهم في الأمصار لطلب العلم، وقد دخل مكة عدة مرات، درس خلالها على قرابة ثلاثين شيخاً من علماء مكة وغيرهم من المجاورين والوافدين(١).

وهذا قرينه الحافظ أبو زرعة الرازي (ت٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) (٢) الذي تتلمذ على بعض علماء مكة، وكان منهم الحميدي وغيره(٣).

ومن أبرز القادمين من (**أصبهان**): محمد بن عاصم الأصبهاني (ت٢٦٢هـ/ ٨٧٥م)(٤)، ومحمد بن إسحاق بن منده، أبو عبد الله الأصفهاني (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، المحدث الجوال، الذي استغرق في رحلته نحو أربعين سنة، شملت خراسان والعراق والحجاز وبخارى، وقد استطاع خلالها أن يأخذ العلم عن ألف وسبعمائة شيخ، فكان من نتائج ذلك تصنيفه تصانيف رائعة انتشرت في الأفاق(٥)، وقد أخذ بمكة عن أبي سعيد بْن الأعرابي(٦).

---

(١) الرازي: الجرح والتعديل، ج٢، ص ٦٥،٧٠،٧٣.

(٢) محدث الري وسيد الحفاظ عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروح، ولد بالري سنة (٢٠٠هـ/ ٨١٥م)، ورحل في طلب العلم إلى خراسان والحجاز والعراق وغيرها. اشتهر بحفظه وكثرة علمه وثقته. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص ٦٥-٨٥.

(٣) الرازي: الجرح والتعديل، ج٨، ص ٤٥-١٠٣-١٢٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٣٧٧-٣٨٧.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ٣٠؛ تذكرة الحفاظ، ج٣، ص ١٠٣٢.

(٦) طبقات الحنابلة ، ج٢، ص ١٦٧.

ومن **(زنجان)**[١]: محمد بن هارون الزنجاني[٢]، قدم مكة طلباً للعلم، وذلك سنة (٢٨٦هـ/ ٨٩٩م)، فدرس على البغوي مصنفاته ومصنفات شيخه أبي عبيد[٣].

ومن **(همذان)** قدم إلى مكة عدد من الطلاب منهم: محمد بن عبد الجبار القرشي الهمذاني ، وتتلمذ فيها على العلامة سفيان بن عيينة[٤].

وقدم من إقليم **(أذربيجان)**[٥] إلى مكة العالم الثقة الحسين بن مأمون البردعي، الذي تلقى العلم على يد عبد الجبار بن العلاء وغيره[٦].

وقدم مكة عدد من علماء **(قزوين)**[٧] منهم: هارون بن هزاري القزويني (ت٢٥١هـ/ ٨٨٦م)[٨]، فقد تتلمذ في مكة على يد ابن عينية

---

(١) زنجان: بلد كبير من نواحي الجبال مما يلي أذربيجان، وهي قريبة من قزوين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥٢ – ١٥٣.

(٢) عرف بكثرة التجوال والرحلة لطلب العلم، سمع بالعراق ومكة وغيرها، توفي سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م). القذويني: الإرشاد، ج٢، ص ٧٧٨– ٧٧٩.

(٣) القزويني، عبد الكريم بن محمد: التدوين في أخبار قزوين، (تحقيق: عزيز الله العطاردي، المطبعة العزيزية، حيدر أباد، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج٢، ص ٤٣؛ القذويني: الإرشاد، ج٢، ص ٧٧٨.

(٤) القزويني: الإرشاد، ج٢، ص ٦٣٥.

(٥) أذربيجان: إقليم يلي الجبل من بلاد العراق وإلى الشرق من أرمينية، ويتصل حدها من جهة الشمال بلاد الديلم، ومن أشهر مدنها المراغة وتبريز وغيرها، الحميري: الروض المعطار، ص ٢٠– ٢١.

(٦) القذويني: الإرشاد، ج١، ص ٧٨٣.

(٧) قزوين: من بلاد الديلم، بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخاً، بناها سابور ذو الأكتاف. ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ٢٨٠–٢٨١.

(٨) من علماء قزوين، رحل في طلب العلم، وسمع عن المشايخ في بعض الأمصار، ثم عاد ليدرس في بلده، توفي سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) . القذويني: الإرشاد، ج٢، ص ٧٠٤.

وغيره[1]. وكذلك الإمام الحافظ شيخ قزوين، محمد بن يزيد بن ماجه (ت٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)[2]، صاحب "السنن"، وغيرها من المصنفات، الذي تتلمذ تتلمذ في مكة على عدد من العلماء في مكة.



(١) القزويني: التدوين ، ج٤، ص ١٩١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص ٢٧٧-٢٨١.

المبحث الرابع: ما وراء النهر

يتوسط نهر جيحون بلاد ما وراء النهر وبلاد خرسان، وتؤلف بلاد ما وراء النهر المنطقة الواقعة شرقي نهر جيحون، بينما تقع بلاد خراسان من ناحية غرب جيحون، وكانت تسمى بلاد ما وراء النهر قديماً بلاد الهياطلة، ولقد سماها المسلمون بلاد "ما وراء النهر"، وتسمى أيضاً "توران"[(١)].

أما عن حدود ما وراء النهر، فقد ذكر لنا الاصطخري أن ما وراء النهر يحيط به من شرقيه راشت وما يتاخم الختل من أرض الهند، وغربيه بلاد الغزية والخزلجية من طراز حتى ينتهي إلى صغد سمرقند ونواحي بخارى إلى خوارزم، وشماليه الترك الخزلجية من أقصى فرغانة إلى الطراز، وجنوبيه نهر جيحون من بدخشان إلى بحيرة خوارزم[(٢)].

ويسير نهر جيحون باتجاه الغرب إلى أن يصل إلى مدينة ترمذ فاصلاً بين خراسان وبين بلاد ماوراء النهر[(٣)].

ويعرف الأهالي هناك نهر جيحون باسم "ماله"، ومنها يتجه شمالاً فاصلاً أيضاً بين خراسان وبلاد ما وراء النهر، بحيث تصبح ترمذ في جانبه الشرقي في أرض ما وراء النهر[(٤)].

(١) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، (القاهرة، ط١، ١٩٥٩م)، ص ٦٠.

(٢) الاصطخري: المسالك والممالك، ص ١٦٦؛ إلهام أحمد بن عبد العزيز البابطين: الحياة الاقتصادية في بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي الأول، (رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٧هـ)، ص ١٣.

(٣) الاصطخري: المسالك والممالك، ص ٢٨٧ .

(٤) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٧٢.

هذا وتعتبر **سمرقند وبخارى** من أعظم بلاد ما وراء النهر، وإلى أقصى الشرق منها تقع ولاية سيحون (سيرداريا) في تخوم بلاد الترك، والشاش[١].

وبلاد ما وراء النهر من أنزه الأقاليم وأخصبها، وأكثرها خيراً ومياهاً، ينقل منها الخز والصوف والقطن من الآفاق[٢].

يُعد إقليم ما وراء النهر من أشهر الأقاليم التي رحل منها حملة العلم وطالبيه إلى مكة؛ حيث قاموا بتلقي العلوم الشرعية على أيدي علماء مكة، طوافين بين حلقات المسجد الحرام، ومنهم من التحق بحلقة علم شيخٍ من مشايخها، ومنهم من طلب الإجازة من أحد علمائها، وذلك ما أهلّهم لأنْ يكونوا نموذجاً علمياً فريداً يقتدي به الكثير من حملة العلم من مختلف الأقطار الإسلامية.

وتعتبر مدينة (**بخارى**)[٣] من المدن التي نالت الشهرة العلمية وذاع منها صيت كثير من العلماء فيها والأدباء والفضلاء[٤] ، وعلى رأسهم جميعاً الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)،

---

(١) عبد الرحمن الفريح: العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي، (مجلة الدرعية، العدد الأول، محرم ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م)، ص ٣٧.

(٢) عبد الرحمن الفريح: العرب في خراسان، ص ٣٨.

(٣) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، خرج منها الكثير من العلماء، وقد فتحت في عصر الدولة الأموية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، من ٣٥٣.

(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج٢، ص ٤٤٨، ٤٤٩؛ السبكي: الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٢١٥ –٢١؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص ٥٥.

الذي رحل إلى مكة، فتتلمذ على كثير من علمائها، مثل: الحميدي، وأبي عبد الرحمن المقرئ، والأزرقي، والشافعي، وغيرهم(١).

ومن بخارى أيضاً قدم إلى مكة عبد الله بن محمد المسندي(٢)، حيث درس على يد ابن عيينة وأقرانه(٣)، ومنهم أيضاً أحمد بن محمد المؤذن البخاري (ت٣٧٦هـ/ ٩٨٦م)(٤).

ومن أبرز القادمين من **(بيكند)**(٥) محمد بن سلام البيكندي (ت٢٢٥هـ/ ٨٤٠م)(٦)، الذي سمع من سفيان بن عيينة وأبي عبد الرحمن المقرئ وغيرهم عن علماء مكة(٧).

أما مدينة **(سمرقند)**(٨)، فقد رحل منها الكثير من طلبة العلم إلى مكة للسماع من مشايخ المسجد الحرام، وكان منهم إسحاق بن إبراهيم

(١) الذهبي: السير، ج ١٢، ص ٣٩٥.

(٢) ممن ارتحل لطلب العلم إلى العراق والحجاز، وسمع بالكوفة والبصرة ومكة وغيرها، سمي المسندي وذلك لكثرة اعتنائه بالأحاديث المسندة، وهو ممن اتفقت على ثقته، توفي سنة (٢٢٩هـ/ ٥٤٣م) . الذهبي: السير، ج ١٠، ص ٦٥٨ – ٦٦٠.

(٣) القزويني: الإرشاد، ج٢، ص ٩٥٧.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٥، ص ١٥٢؛ ج ٦، ص ٣٠٧.

(٥) بيكند : تقع بين بخارى ونهر جيحون . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص٥٣٣.

(٦) السيوطي: طبقات الحفاظ، ص ١٨٢.

(٧) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٢، ص ٤٢٢.

(٨) سمرقند: من مدن ما وراء النهر، تقع على جنوب الصغد، بناها الإسكندر، وقيل: ذو القرنين، وقيل غير ذلك. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص٢٤٦ –٢٥٠.

السمرقندي[١] الذي روى عن ابن جريج المكي[٢]، ومنهم خداش بن خلف السمرقندي (٢٥٢هـ/٨٦٦م)[٣]، الذي تتلمذ على العلماء الموجودين في مكة، منهم: مسلم بن خالد الزنجي وغيره[٤].

وكذا حافظ وقته عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) صاحب المسند الذي سمع من علماء مكة[٥]، وكذلك جبريل بن الفضل السمرقندي (ت٣٠٦هـ/ ٩١٨م) وغيرهم[٦].

ومن مدينة (**ترمذ**)[٧] قدم إلى مكة بحثاً عن غذاء العقل بمختلف أصناف العلم، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي صاحب الجامع المشهور (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، وهو من أبرز أبناء مدينة ترمذ الساعين لطلب العلم. نهل من علماء مكة مختلف فنون العلوم التي كانت تدرس فيها[٨]، بل وعرض كتابه العظيم على علمائها، فقد جاء عنه قوله: "صَنَّفْتُ هَذَا الكِتَابَ، وَعَرَضْتُهُ عَلَى عُلَمَاءِ الحِجَازِ، والعراق وَخُرَاسَانَ،

(١) ممن تولى القضاء في سمرقند وبلخ، وتوفي في العقد الأول من القرن الثالث الهجري. الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٠١ –٢١٠ هـ، ص ٤٧.

(٢) الرازي: الجرح والتعديل، ج ٢، ص ٢٠٧.

(٣) النسفي: عمر بن محمد، القند في ذكر علماء سمرقند، (تحقيق: نظر محمد القرياني، ط١، مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص ٣٠.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٢٧٣.

(٥) ابن عبد الهادي: الطبقات، ج ٢، ص ٢١٥.

(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٢٧٣.

(٧) ترمذ: مدينة مشهورة، من أمهات المدن القائمة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، خرج منها الكثير من العلماء، من أبرزهم الإمام الترمذي صاحب "الجامع". ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦.

(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٥٠٣ – ٥٠٤.

فَرَضُوا بِهِ، ومن كان هذا الكتاب –يَعْنِي: الجَامِعُ – في بيته، فَكَأَنَّمَا فِي بَيْتِهِ نَبِيٌّ يَتَكَلَّمُ". قال الإمام الذهبي: "في الجامع علم نافع، وفَوَائِدُ غزيرة، ورؤوس المسائل، وهو أحد أصول الإسلام "[١]. وبذلك أصبح أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث[٢].

ومنهم أيضاً: محمد بن أحمد بن نصر الترمذي (ت٢٩٥هـ/ ٩٠٧م)[٣]، وأبو الحسن أحمد بن الحسن بن جنيد الترمذي من علماء القرن (٣هـ/ ٩م)[٤].



(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٣، ص٢٧٤.

(٢) السيوطي: طبقات الحفاظ، ص ٢٧٨.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٣ ، ص ٥٤٦.

(٤) السيوطي: طبقات الحفاظ، ص ٢٣٥– ٢٣٦.

ومن خلال ما تم سرده يتضح لنا عدة أمور، لعل أهمها:

- قوة العلاقات العلمية بين مكة وبلاد المشرق الإسلامي، والتي عزز من مكانتها موسم الحج والعمرة.

- كان الحرم المكي يستهوي بعظمته وقدسيته العلماء لوضع ونسخ كتب العلم فيه، وتبعاً لهذا فقد راجت مهنة الوراقة.

- نتيجة لكون مكة يجتمع بها العلماء من كل حدب وصوب، خاصة في مواسم الحج والعمرة، حرص علماء المشرق وطلاب العلم فيه على الوفود إلى مكة ، والالتقاء بالعلماء الموجودين فيها، والاستفادة من علمهم، ومن ثم العودة إلى بلدانهم لنشر ما حملوه من علم، خاصة الفقه، والتفسير، والحديث، والعربية.



الفصل الرابع

أثر العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي على الحركة العلمية

وفيه أربعة مباحث:

- **المبحث الأول**: الرحلة في طلب العلم.
- **المبحث الثاني**: تطور الحركة العلمية وانتشار العلم.
- **المبحث الثالث**: الإجازات العلمية.
- **المبحث الرابع**: المراكز العلمية.



المبحث الأول: الرحلة في طلب العلم

لقد دعا الإسلام إلى التواصل والتراحم والتعارف بالآخرين من بني الإنسان، قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[1].

وأسمى مظاهر التعارف ما كان عن طريق الإسلام أولاً، ثم ما كان سببه العلم على وجه الخصوص؛ لأن العلم رحم بين أهله، يتواصلون من خلاله، وينهلون من معينه، ويصلون به إلى السعادة الدنيوية والأخروية.

والرحلة في طلب العلم[2] مما حض عليها القرآن الكريم، فقد قص الله علينا رحلة نبي الله موسى عليه السلام إلى الخضر لطلب العلم، ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾[3].

والعلم حلقة تجمع علماء الدنيا، فكان التواصل بينهم مطلوباً في كل العصور؛ ومن هنا كانت أهمية الرحلة في طلب العلم. وصارت ديدن أهل العلم من الصحابة، فمن بعدهم، ولم يكن الارتحال مقصوراً

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) الرحلة في اللغة: بمعنى الارتحال، وهو الانتقال من مكان إلى مكان آخر لغرضٍ ما. الرازي: مختار الصحاح، (تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص ٢٦٧؛ الفيومي: المصباح المنير، ص ١١٧؛ أبو الحسين: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م)، ص ٤٤٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦٦.

على طلب العلم، بل كانت الرحلة للإفادة أيضاً، فالعالم مبارك حيثما نزل، فهو يعلم ويتعلم، يسأل ويُسأل، يأخذ ويمنح، وتدور عجلة العلم في كل البلدان التي ينزل بها عالماً أو طالب فقهٍ، أو حديثٍ، أو غير ذلك.

وصار الصبر على الرحلة في طلب العلم مما يتواصى به العلماء، فيقطعون الطرق الوعرة، ويتحملون المشقة والصعوبات من أجل تحصيل مسألة، أو فهم معنى آية، أو سماع حديث، ويلتمسون مع الفهم والتعلم ثواب الله في الآخرة الموعود بالنصوص الصحيحة، ولاسيما وهو طريق الجنة السهل، قال ﷺ: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً؛ سهل الله له طريقاً إلى الجنة"[1].

ويصاحب التجول في البلدان فوائد التعرف على طبيعتها، وأخلاق أهلها، وتاريخها، فيأخذ الرّحالة العظة والعبرة مما يراه، وهو أمر ندب إليه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[2].

وقد حض القرآن الكريم على الرحلة، وكان من أنواع الرحلة في القرآن الكريم الرحلة إلى الحج، وبذلك كانت مكة – وما زالت– محط أنظار الطلبة في كل العصور، لما يرتبط بها من رحلة دينية واجبة على كل مسلم مستطيع، وهي رحلة الحج، فكان القادم إليها يؤدي الفرض الديني بالحج، والمشروع العلمي بطلب العلم.

---

(١) ابن ماجة، السنن، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم: ج١، ص٨١ (ح٢٢٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٧.

ولم تخرج أغراض الرحلة لدى العلماء الرحالة من مشرق العالم الإسلامي إلى مكة عن الأغراض المذكورة في الكتاب والسنة، فقد رحلوا إلى الحج، ولطلب العلم حديثاً وفقهاً وقراءات وغير ذلك، كما كان منهم تجار يبتغون من فضل الله، ورحل الكثير منهم فراراً من الفتن ببلادهم، كما كانت الجيوش الفاتحة المجاهدة في سبيل الله تضم العلماء والقضاة، وكانت لهم رحلات للعظة والاعتبار والتعرف على البلاد جغرافياً[1]، وهذا كله مما دلت النصوص على مشروعية الرحلة فيه بما لا يخفى.

وللأجر والفوائد المترتبة على الرحلة في طلب العلم، رغب الكثير من العلماء فيها، وتفرغ لها آخرون فجعلوها من أهدافهم وشغلهم الشاغل.

والعالم لا يترك فرصة لطلب العلم إلا واغتنمها، فيستثمر أي مرور له بالبلدان حتى ينهل من علم علمائها، حتى لو كان غرضه من اجتياز المكان التجارة أو نحوها. وقد قيل للإمام أحمد: رجل يطلب العلم، يلزم رجلاً عنده علم كثير، أو يرحل؟ قال: يرحل يكتب عن علماء الأمصار ويتعلم الناس منهم. وفي بعض الآثار: "منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا"[2].

---

(١) عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، (دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٨٤م)، ص ٤٠-٤٥؛ أحمد سعيد: أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، (بيروت، دار الشرق الجديدة)، ص ٩٥؛ أمال رمضان عبد الحميد: الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، (القاهرة، قرطبة للنشر، ١٤٢٢هـ)، ص ٣٥٩-٣٦٠.

(٢) ابن عجيبة: أبو العباس أحمد بن محمد المهدي الحسني الإدريسي الفاسي، بحر المديد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م)، ج٧، ص ٢٨٠، والحديث أخرجه ⇦

والرحلة في طلب العلم لم تكن مقصورة على علم من العلوم، بل كانت الرحلة لطلب شتى العلوم، فقد كان علماء القراءات يرحلون في طلب العلم، وكذلك علماء الحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم[١].

فالرحلة نشاط مفيد ووسيلة مثلى من وسائل المعرفة، وتاريخنا الإسلامي على امتداده لم يخل من أخبار الرحلة التي تنوعت دوافعها ما بين الدين والعلم والاقتصاد والسياسة. وما يخصنا هنا هو الرحلات التي قام بها علماء من مختلف أقطار المشرق الإسلامي إلى مكة، وذلك نتيجة لتميز علماء مكة عن غيرهم من علماء العالم الإسلامي؛ لتنوع مآخذهم من الوافدين عليها، وصحة مروياتهم، خاصة ما يتعلق بالعلوم الشرعية، حيث كان من المتعارف عليه أن ما يرويه علماء المسجد الحرام بهذا الشأن من العلوم هو من أصح طرق السنن[٢].

ومن أبرز الذين ارتحلوا في طلب العلم من علماء المشرق الإسلامي، وحطت رحالهم في مكة والتقوا بالعلماء والمشايخ فيها:

- إبراهيم بن طهمان الخراساني المتوفى بمكة في النصف الأخير من القرن (٢هـ/٨م)، رحل من موطنه خراسان في طلب العلم، فالتقى

البيهقي والبزار وأبي خيثمة في العلم، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ، ج١، ص ٨٦، ح٢٦٠.

(١) علي بن محمد بن سعيد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية "٢١٢-٤٨٤هـ / ٨٢٦-١٠٩١م"، (مكة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامية، ١٤١٧هـ/١٩٩٠م)، ص٢٠١.

(٢) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (تحقيق: محمد رأفت، ط١، الكويت، دار الفلاح، ١٤٠١هـ/١٩٨م)، ج١، ص ٣٤٣.

بمكة بالعديد من العلماء وأخذ عنهم، مما أهله لأن يكون من أوثق وأوسع العلماء علماً، حيث قام بنشر علمه وتعليمه للناس في بلده خراسان وسائر بلاد المشرق الإسلامي، كما استفاد بعلمه طلبة العلم بالحجاز بحكم سكناه فيها حتى آخر عمره[1].

- الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ /٨٧٠م)، وكان أحد الراحلين للتحصيل وطلب العلم، واستمر في رحلته العلمية أكثر من عقدين من الزمن، قضى منها في الحجاز ست سنوات، وتذكر المصادر التاريخية أنه حين قدم من العراق إلى الحجاز تلقاه الناس، وازدحموا عليه، لفضل علمه وعلو كعبه، وكانوا يقولون: محمد بن إسماعيل إمامنا وفقيهنا وفقيه خراسان[2].

- كما رحل إلى مكة طلباً للعلم الشيخ صالح بن زياد الرقي المقري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)، الذي التقى بمكة بعلمائها في الحديث والفقه وأخذ عنهم، أمثال العالم: سفيان بن عيينة، حيث حرص على السماع منه[3].

- ومنهم محمد بن هشام التميمي الشيباني (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، وأصله من الأهواز، وقد أكثر من رحلاته إلى الحجاز لطلب العربية ومشافهة أصحابها حتى غدا إماماً في اللغة العربية وعلم الشعر وأيام الناس، كما رحل في طلب علم الحديث مراراً إلى مكة، فسمع من سفيان بن عيينة وغيره من علمائها، وحكي عنه أنه قال: "لما قدمت مكة، لزمت ابن

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٦، ص ١٠٣-١٠٨.
(٢) الذهبي: السير، ج١٢، ص ٤٣٣؛ الزركلي: الأعلام، ج١٢، ص٤٢٥.
(٣) الذهبي: معرفة القراء الكبار، ج١، ص ١٥٩.

عيينة، فلم أكن أفارق مجلسه، فقال لي يوما: يا فتى، أراك حسن الملازمة والاستماع، ولا أراك تحظى من ذاك بشيء، قلت: وكيف؟ قال: لأني لا أراك تكتب شيئاً مما يمر، قلت إني أحفظه، قال: كل ما حدثت به حفظته؟ قلت: نعم، فأخذ دفتر إنسان بين يديه، وقال: أعد علي ما حدثت به اليوم، فأعدته فما خرمت منه حرفا، فأخذ مجلساً آخر من مجلسه فأمررته عليه، فقال: حدثنا الزهري، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: يقال: إنه يولد في كل سبعين سنة من يحفظ كل شيء، قال: وضرب بيده على جنبي، وقال: أراك صاحب السبعين"(١).

– محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ/ ٩٢٤م)، أخذ العلم عن علماء بلده بنيسابور، ثم خرج إلى سائر مدن خراسان، وارتحل بعدها للسماع في بغداد، والكوفة، والحجاز، ثم رجع إلى موطنه، فجلس من حوله طلبة العلم للاستفادة مما تحصله من علم من خلال رحلاته(٢).

– الإمام الحافظ المحدث يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو عوانة النيسابوري الاسفراييني (ت٣١٦هـ/ ٩٢٨م)، صاحب كتاب "المسند الصحيح"، ارتحل لطلب العلم بخراسان والبصرة ومكة وغيرها من المدن والمراكز الإسلامية، ثم بعد ذلك رجع إلى موطنه، وكان أول من أدخل كتب الشافعي ومذهبه إلى بلدته اسفرايين، وجلس للإفادة والتصنيف إلى أن وافته المنية(٣).

---

(١) السيوطي: بغية الوعاة، ص ١١٠-١١١.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج٢، ص ٣٦٢؛ الذهبي: السير، ج ١٤، ص ٣٦٥-٣٨٢.

(٣) السمعاني: الأنساب، ج١، ص١٤٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦، ص٣٩٣؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج ٣، ص٤٨٧.

– ورحل إلى مكة طلباً للعلم علماءُ من ذوي المكانة السياسية، منهم: أمير سجستان خلف بن أحمد بن محمد بن الليث (ت٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م)، وعُدَّ من أفضل الملوك في إجلال العلم، والاهتمام بأهله، والإقبال عليه، التقى بمكة بعدد من علمائها وسمع منهم، ومنهم مسند مكة ومؤرخها: عبد الله بن محمد الفاكهي(١).

وفي المقابل ارتحل عدد من طلاب العلم بمكة إلى عدد من مراكز العلم بالمشرق الإسلامي لتحصيل العلوم والإجازة في علم الحديث، فكان ممن رحل من أبناء مكة لطلب العلم من بعض مدن المشرق:

– العالم المفسر مجاهد بن جبر الذي سمع بالكوفة من عدد من علمائها(٢).

– ويُعَدُّ الإمام سفيان بن عيينة من أبرز الطلاب المولعين بالرحلة إلى مختلف الأمصار الإسلامية، فكانت أول رحلة له في سبيل العلم للكوفة سنة (١٢٦هـ/ ٧٤٣م)(٣)، وقد التقى بعدد من علماء العراق أمثال الإمام أبي حنيفة النعمان وغيره من العلماء(٤)

وخلاصة القول أن الرحلة في طلب العلم ظاهرة فكرية لم يتفرد بها مصر إسلامي بعينه دون سائر الأمصار الإسلامية، بل كانت

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام حوادث السنوات (٣٨٠-٤٠٠هـ) ص ٣٧٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٣١.

(٢) الداودي: طبقات المفسرين، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٣) الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج١، ص ١٨٨.

(٤) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، ج٦، ص ٢٣١.

ظاهرة عامة تحدث من وإلى كل مصر من أمصار العالم الإسلامي في المشارق وفي المغارب، وإن تفردت مكة بكثرة من كان يحط رحاله فيها لطلب العلم؛ لقداستها الدينية وضمها لأكبر مركز علمي إسلامي، ألا وهو المسجد الحرام(١).

ومن تراجم هؤلاء العلماء الرحالة في طلب العلم يمكن أن نلحظ أموراً:

. تبين أن الرحلة لطلب العلم، مطلب شرعي لتحصيل العلم، ورغم أن مكة كانت محط أنظار الطلبة في كل العصور إلا أن الطلبة لم يكتفوا بتحصيل العلم بمكة، بل نراهم يشدون الرحال صوب الكثير من العواصم العلمية بالعالم الإسلامي.

. كانت الرحلة في طلب العلم تأخذ الاتجاهين معاً، فقد ترى العالم المكي يرحل إلى المشرق، وإن كان أغلب ما وقفت عليه، إنما هو من علماء المشارقة الذين رحلوا إلى مكة طلباً للعلم، وقد يعزي هذا إلى عوامل أهمها غرض الجمع بين أداء فريضة الحج وطلب العلم.

. ارتحال العلماء بين مكة وبلدان المشرق الإسلامي دليلٌ على وجود علم في كل منهما اختص به ذاك المحل، لا يحصله العالم في بلده، لذا احتيج إلى الرحلة، وهذا يؤكد التبادل العلمي القائم آنذاك.

---

(١) سهام مصطفى أبو زيد: الرحلة في طلب العلم إلى مكة المكرمة من خلال الرحالة بن حوقل "٣٣١هـ/٩٤٢م"، (بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ)، ص ١٤.

المبحث الثاني: تطور الحركة العلمية وانتشار العلم

شهدت مكة خلال القرون الهجرية الأولى نشاطًا علميًا، انعكس أثره على بقية بلدان العالم الإسلامي، وقد ساعد على ذلك عدة عوامل من أهمها:

- الاستقرار السياسي النسبي في مكة عنها في بقية بلدان العالم الإسلامي.
- الانتعاش الاقتصادي بها على مدار العام تحقيقاً لدعوة إبراهيم الخليل.
- مكة مجتمع رحب محب للمسلمين يفتح أبوابه للجميع ، فيرد عليه الجميع من مختلف أرجاء العالم فينصهر الجميع في بوتقة اجتماعية واحدة، وبالتالي تتمازج العلوم والثقافات، فينتشر العلم وتعم الفائدة.
- وجود أئمة العلم أمثال: ابن عيينة والحميدي والشافعي وغيرهم، فكانوا عامل جذب لطلبة العلم للرحلة من كافة أرجاء العالم الإسلامي صوب مكة للاستفادة من علومهم.
- مكانة مكة الدينية؛ فهي تضم أقدس البقاع، كما يفد إليها الحجيج من كل فج عميق، لأداء نسكهم ، وليشهدوا منافع لهم، ولا أجل منفعة من طلب العلم ونشره.
- تطور الوراقة وتوفر أدوات النسخ قي الحجاز عموماً مما أسهم في انتشار العلم.
- تطور حركة التأليف، وتناولها الكثير من الموضوعات المختلفة والجديدة أدى إلى تطور الحياة العلمية بمكة وانتشار العلم منها.

- كما إن الرحلة كانت عامل جذب لكثير من طلبة العلم، مما أثرى الحياة العلمية وأدى إلى انتشار العلوم من مكة إلى الكثير من أقطار العالم الإسلامي.

- طلب الإجازة العلمية كان له دور كبير في انتشار العلم من مكة خاصة علم الحديث .

ومن خلال هذه العوامل نلحظ أن تطور الحركة العلمية في مكة فترة الدراسة كان مواكباً لتطور العلوم في العالم الإسلامي ولاسيما وأن تطور العلوم كان يسير بوتيرة واحدة في المراكز العلمية بالعالم الإسلامي، فالتدرّج في مراحل تطوّر العلوم أمرٌ طبيعي، إذ إن انتقال العلم من مرحلةٍ إلى مرحلة لا يتمُّ فجْأة، ولكن يتم بالتدريج[(١)].

لكن لابد من التنبيه على أن العلوم الإسلامية ثابتة لا تتطور؛ فالفقه الإسلامي مثلاً يتلاقى مع جميع ظروف الحياة في كافة الأزمان، والأماكن، فلا يقال تطور الفقه بل يقال: الفقه الإسلامي والتطور[(٢)]، وكذا الأمر في باقي العلوم، فالشريعة كاملة، وليس التطور إلا في الأساليب والوسائل ونحو ذلك. ومن المعروف لمن تتبع تطور العلوم الشرعية أنها كانت مجتمعة في عصر السلف لأنها تؤخذ بالتلقي وعن طريق الحفظ.

ثم لما جاءت العصور اللاحقة، أخذ تلقي العلم منحى آخر، فإنه لما بعد الناس عن عصر الرواية، وقصرت الهمم، وتمايزت المذاهب؛ فقام العلماء بالعمل على التصنيف لجمع شتات العلوم بتمايزها.

---

(١) حاتم بن عارف العوني : بَيَانُ الحَدّ الذي يَنْتهِي عِنْدَهُ أَهْلُ الاصطلاحِ والنَّقْد في علوم الحديث، (بحث مقدم لندوة علوم الحديث علوم وآفاق ، جامعة أم القرى)، ج١، ص ١٧.

(٢) بكر بن عبد الله أبو زيد : معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، (دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض، ١٤١٧هـ)، ص٣٥٩.

ففي مجال علم التفسير وتطوره بمكة، فقد مر بمراحل ثلاث، فالمرحلة الأولى كان التفسير الروائي، ثم ظهر جمع لتفسير السلف في نسخ تفسيرية لم تلتزم تفسير جميع الآيات، ثم ظهرت المصنفات المتخصصة في التفسير.

وقد أسهمت مكة في جميع هذه المراحل، فالتفسير الروائي المكي كان عمدة هذه التفاسير المتخصصة، فقد وجد في تفسير ابن جرير الطبري آلاف الروايات عن مجاهد بن جبر المكي (ت ١٠٢هـ/ ٧٥٥م)[١]، وهو تلميذ ابن عباس ﵁، وقد أخذ تفسيره كله عن ابن عباس، قال ابن أبي مُليكة[٢]: "رأيت مجاهدًا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحُه، فيقول له ابن عباس: "اكتب"، قال: حتى سأله عن التفسير كلِّه"، وعن مجاهد قال: "عرضتُ المصحفَ على ابن عباس ثلاث عَرْضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقِفه عند كل آية منه وأسألُه عنها"[٣]. كما كان لعكرمة مولى بن عباس (١٠٥هـ/٧٢٣م)[٤]. وعطاء بن أبي رباح (ت١١٤/٧٣٢م) نصيب من ذلك[٥].

(١) الخضيري: تفسير التابعين، ص ٣٤٨.

(٢) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المكيّ (ت١١٧ هـ /٧٣٥ م)، قاض، من رجال الحديث الثقات، ولاه ابن الزبير قضاء الطائف. انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٣٠٦.

(٣) الطبري : جامع البيان، ج١، ص ٩٠ ، ١٠٧، ١٠٨.

(٤) أصله من البربر، كان ممن ينتقل من بلد إلى بلد، كان فقيهاً، روي أن ابن عباس قال له: انطلق فأفت الناس. وقيل لسعيد بن جبير: هل أحد تعلم أعلم منك؟ قال: عكرمة. الشيرازي: طبقات الفقهاء، ج١ ، ص٧٠.

(٥) الخضيري : تفسير التابعين ، ص ٣٤٩.

وجاء بعدهم من تلاميذهم عبد الملك بن جريج المكي (ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م)[١]، وهو من العلماء الذين جندوا أنفسهم لخدمة جوانب التفسير المختلفة، سواء كان ذلك بالرواية أو بنقل تفاسير مشايخه المكيين[٢].

والمرحلة الثانية في عصر التدوين في القرن (٢هـ/٩م) ابتدأت بتدوين حديث رسول الله ﷺ، فكانت أبوابه متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث، فلم يُفرد له تأليف خاص يُفسِّر القرآن سورة سورة، وآية آية، من مبدئه إلى منتهاه، بل وُجد من العلماء مَن طاف الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ما رُوِى في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي ﷺ، أو إلى الصحابة، أو إلى التابعين، فظهرت النسخ التفسيرية، وكان لمكة النصيب من ذلك فقد جمع إمام أهل مكة سفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ/٨٣١م) التفسير، وكانت هذه النسخة التفسيرية أساساً لكل من جمع تفسير المأثور، فاستفاد منها كما نجد ذلك في حقبة التفسير التالية حين انفصل التفسير عن الحديث، فأصبح علماً قائماً بنفسه، ووضع التفسير لكل آية من القرآن، ورُتِّب ذلك على حسب ترتيب المصحف[٣].

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، كان من أوعية العلم ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: أنه صاحب علم ، وقيل عنه : أصحاب الحديث خمسة، فذكروا ابن جريج فيهم ، وعن عطاء بن أبي رباح، قال: سيد شباب أهل الحجاز ابن جريج. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، ج١٢، ص ١٤٢.

(٢) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ٢٣٤.

(٣) محمد السيد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون،(مكتبة وهبة، القاهرة)، ج١، ص ١٠٤.

ومن العلماء الوافدين على مكة ممن طلبوا العلم على أيدي علمائها الإمام عبد الرازق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ/ ٨٤٢م) [١]، الذي رحل إلى مكة وطلب العلم فيها، ونبغ في الكثير من العلوم الدينية مثل التفسير فكان من مصنفاته نسخة تفسيرية[٢].

كما أن أبا بكر عبد الله بن الزبير الحميدي المكي (ت٢١٩هـ/ ٨٣٤م) تتلمذ على الإمام سفيان بن عيينة المكي وغيره من علماء التفسير، مما أهله لأن يكون أحد علماء التفسير في عصره، فصنف كتاب "المسند" وكتاب "النوادر"، وأخذ عن الكثير من حملة العلم المكيين والوافدين إليها[٣].

والمرحلة الثالثة كانت مع بداية القرن (٤هـ/١٠م) بظهور المصنفات الجامعة للتفسير، فقد جمع العلماء التفسير الروائي والنسخ التفسيرية ورتبوا الجميع على آيات الكتاب الحكيم، وتم ذلك على أيدي طائفة من العلماء الأجلاء كابن جرير الطبرى(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)[٤].

(١) أحد الأعلام الرحالة لطلب العلم، فقد رحل إلى الشام بتجارة وسمع الكثير من جماعة من علمائها، كما جاور فترة بمكة طلباً للعلم، له مصنفات عدة في التفسير والحديث. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٢٤٤.

(٢) الذهبي: سير الأعلام، ج ٧، ص٣٢٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص٢١٦، الفاكهي: أخبار مكة، ص٦٦.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ، ص ١٧٥ ؛ سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص٦٦٢.

(٤) المؤرخ المفسر الإمام. ولد في بطبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له "أخبار الرسل والملوك" ، "جامع البيان في تفسير القرآن" و"اختلاف الفقهاء"، وغير ذلك. السبكي: الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٣٥؛ الزركلي : الأعلام: ج ٦، ص ٦٩.

وابن أبى حاتم (ت٣٢٧هـ/٩٣٩م)[١]، وغيرهم من أئمة هذا الشأن[٢].

وكان ممن ورد مكة واستوطنها من علماء المشرق الإسلامي: الإمام محمد بن إبراهيم بن المنذر أبو بكر النيسابوري (ت٣١٨هـ/ ٩٣٠م) الذي كان أحد الأئمة في وقته، والمجمع على إمامته، ووفور علمه، بدأ في طلب العلم في سن مبكر وأخذ من علماء بلده نيسابور، ثم ارتحل لسماع الحديث والتفسير والفقه وأصوله، وطاب له المقام في مكة، واشتغل بالتدريس والفتوى والتصنيف، وارتفع شأنه حتى صار شيخ الحرم[٣]، وله في التفسير: كتاب ضخم في بضعة عشر مجلداً، فسر فيه القرآن بكامله بالتفسير بالمأثور، وبالأحاديث الصحيحة، الواردة عن النبي عليه السلام

(١) هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم الرازيّ، حافظ للحديث، من كبارهم. من مدينة الري، له تصانيف، منها "الجرح والتعديل"، و "التفسير" ، و "علل الحديث" وغيرها. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص٤٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص ٣٢٤.

(٢) محمد السيد الذهبي: التفسير والمفسرون ، ج١، ص ١٠٤.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص٤٩١ ؛ تذكرة الحفاظ، ج ٣، ص ٧٨٢ ؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص٣٢٨ ، ابن النديم: الفهرست، ص٣٦١؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ص٤٤٠ ؛ الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص٢٩٤.

والآثار الثابتة والمسندة من أقوال الصحابة والتابعين كما هو معروف عن طريق السلف الصالح في تفسير القرآن(١).

أما علم الحديث فقد كان التطور فيه شبيهاً بما كان من تطور في علم التفسير من جهة أن بداياته كانت روائية ثم صار التدوين، فبعد وفاة النبي ﷺ إلى مقتل عثمان ﷺ سنة (٣٥هـ/٦٥٥م)، كانت الرواية مقبولة وتتميّز هذه المرحلة بصفائها وبُعدها عن أسباب الخطأ والكذب لعدم الإسناد، وقوّة الحافظة، وعدم ظهور الفتن، وشدّة الاحتياط في التبليغ للسنة. وكان التدوين في هذه المرحلة قليلاً، ولم يكن بغرض التخليد، وإنما كان بغرض الإعانة على الحفظ في الصدور.

ثم كانت مرحلة أخرى للحديث من زمان مقتل عثمان ﷺ، إلى انتهاء جيل الصحابة، بموت غالبهم، وكان ذلك نحو سنة (٨٠هـ/٧٠٠م)، ومن معوقات التطور في هذه المرحلة الفتنة التي فرّقت المسلمين أحزاباً وشيعاً، وبظهور بعض البدع، وبانتشار الصحابة في البلدان شرقاً وغرباً. وفي هذه الفترة ظهرت المطالبة بالإسناد، ونشوء علم الجرح والتعديل. ولم يزل التدوين في هذا الجيل قليلاً، لإمكان حفظ الصدورِ القيامُ بواجب النقل الكامل(٢).

ثم كانت المرحلة التالية : وهي عصر التابعين، والذي يبتدئ من نحو سنة (٨٠هـ/٧٠٠م) إلى نحو سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م) بموت غالب

---

(١) ابن المنذر: الإشراف على مذاهب العلماء، ص٧؛ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ج ٣، ص٢٠٠.

(٢) الخضيري: تفسير التابعين، ص ٤٥٢- ٤٦٣.

التابعين، وقد كان لبداية طول الإسناد في هذه المرحلة ولتشعّب الأسانيد، واختلاف رواتها، مع زيادة انتشار السنة، وزيادةِ الغلو في البدع ونشوء بدع أخرى، فكان الأمرُ بكتابة السنة من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ /٧٢٠م)، وذلك في آخر القرن الهجري الأول أو أوّل الثاني، وائْتِمارُ التابعين لذلك، حتى كثر عدد التابعين الذين كتبوا السنة[١].

ثم كانت المرحلة التالية، مرحلة أتباع التابعين، وتبدأ من سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م) ، وتنتهي سنة (٢٠٠هـ/٨٠٧م) . وصار الحرص على التدوين كاملاً، إلى درجة أن يهمّ شعبة بن الحجاج البصري (١٦٠هـ/٧٧٦ م)[٢] بأن يترك حديثَ أحد جِلّة التابعين ثقةً وإتقاناً، لأجل أنه لم يكن يكتب[٣]. وحتى قال يحيى بن سعيد القطان البصري (١٩٨هـ/٨١٣ م)[٤]: "لئن أكون كتبتُ كل ما أسمع أحب

(١) الخضيري: تفسير التابعين، ص ٤٧٥- ٤٨١.

(٢) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكيّ الأزدي البصري، من أئمة رجال الحديث، حفظا ودراية وتثبتا. قال الشافعيّ: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق. وكان عالما بالأدب والشعر، له كتاب "الغرائب" في الحديث. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٣٣٨؛ الزركلي : الأعلام ، ج٣، ص١٦٤.

(٣) السلامي، زين الدين عبد الرحمن: شرح علل الترمذي ، (تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج١، ص١٧٠.

(٤) هو يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي، من حفاظ الحديث، كان يفتي بقول أبي حنيفة، له كتاب "المغازي" ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: ما رأيت بعينيّ مثل يحيى القطان . الذهبي: تذكرة الحفاظ، ص ٢٧٤؛ الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ١٤٧.

إليّ من أن يكون لي مثل مالي"[١]. وانتشرت لذلك مجالس الإملاء[٢].

وكانت مكة من مراكز العلم الأولى في تدوين هذا العلم، فتذكر لنا المصادر التاريخية أن أول من جمع الحديث بمكة ابن جريج (ت١٥٠هـ/ ٧٦٧م)[٣]. ولقد نالت مكة الصدارة العلمية بالنسبة لعلوم السنة النبوية، حتى أصبح علماؤها حجة في ضبط هذا العلم[٤]، ويؤكد ذلك قول الإمام الشافعي: "إذا جاوز الحديث الحرمين ضعف نخاعه"[٥]، ويوجز أحد مؤرخي الإسلام كل ذلك في قوله: "أصح طرق السنن ما يرويه أهل الحرمين مكة والمدينة"[٦].

وبدأ التصنيف المبوّب في هذا الجيل. وظهرت بعض الموسوعات الحديثيّة، وكان ممن ورد مكة عبد الرزاق الصنعاني(٢١١هـ/٨٢٦ م)، والذي وضع موسوعته "المصنّف"[٧].

(١) البيهقي: المدخل إلى السنن الكبرى ، (تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت)، ص٧٨١.

(٢) السمعاني: آداب الإملاء والاستملاء ، ص٢٩، ٣٠.

(٣) الرامهرمزي: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ص ١٢٥؛ حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص٣٦٢؛ أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٧٠.

(٤) القاضي عياض: المدارك، ج١، ص٦٢.

(٥) الرازي: آداب الشافعي ومناقبه، ص٢٠٠.

(٦) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج١، ص ٣٤٣.

(٧) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، الحميري، اليمني (أبو بكر). محدث، حافظ، فقيه، أخذ عنه البخاري، له من الكتب: السنن في الفقه، المغازي، تفسير القرآن، الجامع الكبير في الحديث، وتزكية الأرواح عن مواقع الإفلاح. انظر ترجمته: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ص ٣٣١.

وكذا كانت مصنفات الإمام سفيان بن عيينة الذي روي الكثير من الحديث، وصنف مصنفات عدة جامعة في الحديث، وقد نزل مكة مجاورا فنسب إليها ، وذكر الذهبي أنه صنف كتابه "السنن" بمكة(١).

وقد تطور علم الحديث الروائي أيضاً بنزول كبار المحدثين مكة، ونشر مروياتهم بها، أمثال محمد بن يحيى بن أبي عمر المدني المكي (ت٢٤٣هـ/٨٥٧م)، الذي نزل مكة للالتقاء بعلمائها، له العديد من المؤلفات منها: "المسند"، و"الإيمان"، وسمع ولازم سفيان بن عيينة(٢).

ومن الطبقة التي تليها كان محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ/٨٧٠م) الذي عني بالتدريس بمكة ، وأخذ ينهل من علوم علمائها وخاصة الحديث(٣)، وأبو محمد الحسن بن على الخلال الحلواني (ت٢٤٢هـ/ ٨٥٦م) نزيل مكة، طلب علم الحديث من علمائها إلى أن أصبح إماماً عالماً بالرجال، قيل عنه: "بقي اليوم في الدنيا ثلاثة الذهلي بخراسان، وابن الفرات بأصبهان، والحلواني بمكة"(٤)، ومسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٧٢هـ/٨٨٥م) الذي درس بنفسه هذا العلم في أحد المواسم بمكة(٥).

وبعدهم من أئمة العصر المبرزين في الحديث وعلومه أيضاً أحمد بن علي بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ/

(١) المزي: تهذيب الكمال ، ج١١، ص ٨١.

(٢) الذهبي: معرفة القراء، ص٢٢٧؛ الفاسي: العقد الثمين، ج ٢، ص ٣٨٧ – ٣٨٨.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٤٤٩.

(٤) ابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث، ج٢، ص١٩٩.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص٣١١.

٩١٥م)، شيخ الإسلام أحد أئمة الدنيا في الحديث صاحب "السنن"، رحل إلى مكة لسماع الحديث، وعرف بشغفه الشديد لهذا العلم[١]، كما كان أبو أحمد محمد بن أحمد العسال الأصبهاني (ت ٣٤٩هـ/٩٦٠م) من أشهر علماء الحديث، فقد بدأ سماعه منذ وقت مبكر، فسمع ببلده، ثم رحل إلى الحرمين وأخذ عن علمائها هذا العلم[٢].

ولا أدل على قوة الحديث في مكة من قول الإمام المحدث الخطيب البغدادي: "أصح طرق السنن ما يرويه أهل الحرمين مكة والمدينة فإن التدليس فيهم قليل والاشتهار بالكذب ووضع الحديث عندهم عزيز"[٣].

كما برزت مكة في علم الفقه، ولاسيما فقه المناسك، لحال الحرم والمشاعر، حتى سئل شيخ الإسلام الأوزاعي (ت ١٥٩هـ/٧٧٦م): "أي الناس كان أعلم؟ قال: ذهب عليهم الحسن بالمواعظ، وذهب عليهم عطاء بالمناسك"[٤]. كذلك كان تأثير الإمام الشافعي الفقهي واضحاً على حملة العلم بمكة، فهو أول من صنف في أصول الفقه وغيره، قال الجويني (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[٥] في: "لم يسبق الشافعي أحد في تصانيف

---

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٣، ص١٤.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد،ج١، ص١٧٠ ؛ السمعاني: الأنساب، ج ٤، ص١٩٠.

(٣) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، ج٢، ص ٢٨٦.

(٤) موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، (جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري وآخرون، عالم الكتب ، ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م)، ج ٢، ص ٤٤٧.

(٥) هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني، من أصحاب الشافعيّ. ولد في جوين من نواحي نيسابور، ورحل في طلب العلم إلى بغداد ومكة حيث جاور أربع سنين. وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير ⇦

الأصول ومعرفتها"[1]، وعن الشافعي أخذ المكيون، فقد نقلوا عنه آراءه الفقهية[2]، فممن تأثر بعلمه: موسى بن أبي الجارود المكي الفقيه، من علماء القرن (٣هـ/٩م)، تتلمذ على الشافعي وتفقه به، حتى أصبح من أبرز تلاميذ الإمام الشافعي، وقد روى عن الشافعي بعض كتبه، منها كتاب "الأمالي"[3]، كما تفقه على الشافعي الإمام عبد الله بن الزبير الحميدي المكي، فقد لازمه في مكة، ودون عنه بعض المسائل الفقهية المختلفة، ورحل مع الشافعي إلى مصر ولزمه حتى مات الشافعي ثم رجع إلى مكة[4].

ولعل أشهر من أخذ الفقه على الشافعي بمكة: أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، الذي تتلمذ على الشافعي بمشورة الإمام أحمد، حيث ذكر أنه قال له: "جالس هذا الرجل - يعنى الشافعي، قلت ما أصنع به سنه قريب من سننا! أترك ابن عيينة والمقري؟ قال ويحك إن ذاك لا يفوت وذا يفوت، فجالسته"[5].

نظام الملك " المدرسة النظامية " فيها، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. له مصنفات كثيرة، منها " البرهان" ، و " نهاية المطلب في دراية المذهب" و "الورقات". وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٨٧؛ الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ١٦٠.

(١) الزركشي: البحر المحيط، ج١، ص ١٨.

(٢) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ٢٦٩ -٢٧٠.

(٣) الإسنوي: طبقات الشافعية ، ج ١، ص٢٩-٣٠؛ المزي: تهذيب الكمال، ج ٢٩، ص٤١ -٤٢.

(٤) الإسنوي: طبقات الشافية، ج ١، ص٢٢؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء ، ص: ٦٩ . ٩٩.

(٥) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ، ج٧ ، ص ٢٠٢.

ثم بعد ذلك سبقت مكة المراكز العلمية في علم الخلاف، على يد الإمام محمد بن إبراهيم بن المنذر أبي بكر النيسابوري (ت٣١٨هـ/ ٩٣٠م) الذي كان أحد الأئمة في وقته، والمجمع على إمامته، ووفور علمه، الذي صنف بمكة الكثير من الكتب لم يصنف أحد مثله منها "المبسوط" في الفقه، و"الأوسط" في السنن، و"الإجماع والاختلاف"، و"الإشراف على مذاهب أهل العلم" في الفقه، و"اختلاف العلماء"، وغيرها كثير[١].

كما ظهرت بمكة إجازات الكتب الفقهية، فقد حصل الشيخ سعيد بن عثمان الجزامي (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) حين كان بمكة لأداء فريضة الحج على الإجازة في كتاب "الأوضح" في الفقه، من مؤلفه أبي بكر بن محمد بن أبي الفتح بن المنذر النيسابوري (من أهل القرن ٤هـ/ ١٠م) وهو أحد أئمة الفقه الحنفي، وكان يدرسه في مكة، ويجيز به طلبة العلم[٢].

كما كان ثمة تطور في العلوم الاجتماعية، فقد تطور علم التاريخ واتسع، ونشأ منهج النقد التاريخي، وسبق بيان أن التاريخ الإسلامي من العلوم النقلية لاتصاله بعلم الحديث، لكن تطبيق منهج المحدثين بقواعده ربما يؤدي إلى فقدان الكثير من الأخبار التاريخية، مما قد يؤدي إلى حدوث فجوات تاريخية يحتاج إليها المؤرخ، فتساهل المحدثون في الحكم على المؤرخين، فمثلاً ضعف علماء الجرح

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى،ج٣، ص١٠٢؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص ٦٥.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص ١٤٦.

والتعديل المؤرخ: محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧هـ/٨٢٣م) واتهموه بالكذب لكنهم قالوا: (لا يُستغنى عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم)(١)، والتساهل في قبول الرواية التاريخية يكاد يماثل التساهل في قبول رواية الأخلاق والفضائل(٢).

وقد ظهر بذلك أسلوبان في تدوين التاريخ عند المسلمين؛ الأوَّل: هو أسلوب المحدِّثِينَ، وتميَّز بذِكْرِ الخبر مع إسناده. أمَّا الثاني: فهو أسلوب الإخباريين الذي تميَّز بإعطاء صورة كاملة عن الواقعة التاريخية، وذِكْرِ التفاصيل، ورواية الشعر والخطب، وتطور ذلك جداً في مكة مع مؤرخ مكة محمد بن إسحاق الفاكهي (ت ٢٧٢هـ/ ٧٩٥م) في موسوعته "تاريخ مكة"، وهو يمثل التطور الفعلي للتصنيف في كتب التاريخ، فقد تكلم عن مكة في الجاهلية والإسلام، ولم يغفل معلومة عن إسنادها، فهو يعد من أوائل المؤرخين حاملي راية التصنيف على هذا النحو بمكة، وتبعه على ذلك محدث مكة المفضل الجندي (ت ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م)، في كتابه "فضائل مكة"(٣).

أما علم الجغرافيا، فإن التطور فيه أقل من علوم التاريخ بنسبة ما، لأنه مع مرور الزمن، وعلى الرغم من اختلاف التعريفات لعلم الجغرافية، إلا أنها واصلت تمحورها بصفة عامة حول دراسة الإنسان والأرض باعتبارها موطنًا للإنسان وإدراك ما بينهما من علاقات توزيعًا

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩ ص ٤٥٤-٤٦٩.

(٢) الخطيب، الكفاية، ص ١٣٤.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٢، ص ٢٥٣؛ الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٢٨٠.

وتحليلًا وتعليلًا[1]، كما ارتبط بالجغرافيا دوماً علوم التاريخ والفلك والجيولوجيا، إذ نشطت الجغرافيا حيث نشطت هذه العلوم، لكن أبرز تطوره في مكة إنما يرجع إلى رحلات الحج، فكثر وصف جغرافية مكة والطريق إليها في هذه الرحلات، وما فيها من أحوال سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها، وقد جمع الكثير من العلماء هذه الروايات المبنية على المشاهدات، فظهرت أثارها في كتب البلدان، وممن كان له باع في هذا العلم من علماء المشرق الإسلامي، أبو العباس أحمد بن يعقوب بن واضح اليعقوبي البغدادي (٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)، صاحب كتاب "البلدان"، وهو كتاب في غاية الأهمية للمكتبة الإسلامية، كما كان لأبي القاسم عبد الله بن أحمد بن خرداذبة (ت ٢٩٩هـ/٩١٢م) كتابه المشهور في الجغرافيا والموسوم بـ "المسالك والممالك"، كما أسهم أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) في هذا العلم بكتابه "صورة الأرض"، حيث ألفه على صفة أشكال الأرض، ومقدارها، وأقاليم البلدان[2]، كما كان لعلماء مكة إسهامات في هذا العلم فمنهم على سبيل المثال أبو علي هارون بن زكريا الهجري (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، فبجانب كونه محدثاً، ومؤدباً، عالماً بالغة والأدب، وعلم الأنساب، كان له باع في علم الجغرافيا[3].

(١) محمد محمود محمدين وطه عثمان الفراء: المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، (دار المريخ، ط٤، ١٤٢٢هـ)، ص ٢٠.

(٢) عمر كحالة: التاريخ والجغرافيا، ص ٢٥٣؛ سهام مصطفى أبو زيد : الرحلة في طلب العلم إلى مكة، ص ٣٠.

(٣) حمد الجاسر: أبو علي الهجري وأبحاثه ، ص ١٧ . ٢٩.

وهكذا نجد أن العلوم المكية تطور أسلوبها وتطورت وسائلها توافقاً مع مراكز العلوم في العالم الإسلامي، مما ساعد على انتشارها.



المبحث الثالث: الإجازات العلمية

اختص الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بشرف الإسناد(١) ، فهي الأمة الوحيدة بين أمم الأرض التي حفظت تراثها الديني والثقافي بالأسانيد والروايات، ومنه ما كان بأعلى أنواع الرواية وهو التواتر(٢)، ولا يختص ذلك بالقرآن الكريم وحده، بل نجد الكثير من الأحاديث النبوية تحمل أيضاً صفة التواتر(٣). فللإسناد أهميته في نقل التراث الفكري، قال الإمام ابن المبارك: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"(٤).

ولقد عرفت القرون الإسلامية الأولى الاهتمام بالرواية والسماع، وكانت الأحاديث والعلوم المتلقاة تقل طبقات أسانيدها باعتبار قرب العصر من النبي ﷺ والصحابة والأئمة المجتهدين ، فكانت العلوم

(١) المراد بالإسناد: سلسلة الرجال الموصلة إلى المتن، كأن يقول الرجل حدثني فلان أو يقول قال كذا أو كذا. للمزيد انظر: محمد الطحان: أصول التخريج ودراسة الأسانيد، (الرياض، مكتبة المعارف)، ج١، ص١٥٨.

(٢) **التواتر**: هو التتابع قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون، آية: ٤٤]، وعرف عند العلماء بأنه ما يرويه الجمع الذي تستحيل العادة تواطؤهم على الكذب، وحدَّه بعضهم بعشرة أشخاص في كل طبقة من طبقات السند. للمزيد انظر: صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه، (بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ١٩٨٤م)، ص ١٤٦.

(٣) السيوطي: تدريب الراوي، (ط٢، بيروت، دار إحياء السنة النبوية،١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج١، ص ٣١.

(٤) صحيح مسلم، ج١، ص ١٥.

محفوظة بهذه الأسانيد، ثم كثرت الأسانيد عن العالم الواحد، فصارت الرواية بالإسناد تدخل في مرحلة جديدة، وهي رواية الكتب عن شخص، بعد أن كان الأمر مقتصراً على حمل عدد من الأحاديث(١).

وبهذا ظهر مصطلح جديد في طرق التحمل والرواية، وهو مصطلح "الإجازة العلمية": وهي الوثيقة الخطية أو الإجازة الشفهية التي يمنحها العلماء لطلابهم بعد طلب العلم عليهم(٢).

وتبدأ عادة الإجازة الخطية بالبسملة والحمد، وتشتمل على مقدمة مستوحاة من الفن الذي أجيز فيه الطالب، وقد تتعدد المواد العلمية المجازة في الإجازة الواحدة، ويذكر اسم المجيز في آخر الإجازة، مع الختم إن وجد(٣).

وقد تكون الإجازة على ورقة منفصلة، أو على طرف الكتاب الذي أجيز فيه المتعلم(٤).

وقد أجاز جمهور الفقهاء الإجازة، وكان يفضل الكثير منهم كتابة الإجازات بخط الراوي، ولا يلزمه ذلك، بل يحق له أن يأمر غيره بالكتابة عنه، ويقول في الكتاب: وكتابي هذا بخط فلان، جاز، ويسمه للتوثيق،

---

(١) السيوطي: تدريب الراوي، ج ٢، ص ١٥٤-١٦٦.

(٢) الإجازة لغة: مصدر أجاز، إعطاء الإذن، وأجاز له: أذن له. الرازي: مختار الصحاح، ص ١١٧؛ ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ٣٢٦، (مادة جوز)؛ ابن حجر: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، (دار السلطة السنية العثمانية ١٩٠٩م)، ص ٢١٦.

(٣) ابن الصلاح: علوم الحديث، (تحقيق: نور الدين عتر، ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م)، ص ١٥١-١٥٢.

(٤) منيرة داوود العلي: الحياة العلمية في دمشق "٣٥٩-٥٩٤هـ /٩٦٩-١١٥م"، (رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢ م)، ص ٣١٧.

وإن لم يذكر في الكتاب اسم الكاتب له جاز أيضاً، وترجع أهمية الكتابة في إثبات أن الكتاب من الراوي، تولاه بنفسه، أو أمر غيره أن يكتبه عنه(١).

ومما سبق يظهر أن الإجازة هي الرخصة أو الإذن أو الشهادة يمنحها العالم للمتعلم، وتخول المجاز حق نقل المادة العلمية أو الرواية لحديث أو كتاب محدد يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه، وتكون بطريقتين إحداهما الإجازة الشفهية، وثانيها الإجازة التحريرية(٢).

وللإجازة أركان أربعة هي: المجيز، والمُجاز له، ولفظ الإجازة، والمجاز به(٣).

أنواع الإجازات: قسم العلماء الإجازة إلى عدة أنواع، منها:

١- **إجازة المناولة**: وهي أن يناول الشيخ كتابه للطالب، ويقول له قد أجزت لك أن تحدث عني به، والمناولة مثل السماع لها أنواع كثيرة، أولها قراءة المتعلم، والثاني قراءة العالم على المتعلم، والثالث أن

(١) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، (حيدر أباد، ط٢، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، ص ٤٤٤-٤٤٦.

(٢) ابن حجر: نخبة الفكر، ص ٢١٦؛ السيوطي: تدريب الراوي، ج٢، ص ٨؛ عبد الله فياض: الإجازات العلمية عند المسلمين بغداد، (مطبعة الإرشاد، ١٩٦٧م)، ص٢١؛ مريزن سعيد عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، (مكة، مكتبة الطالب الجامعي، ط١، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م)، ص ٢٥٠.

(٣) إبراهيم بن محمد المزيني: الحياة العلمية في العهد الزنكي دراسة في الازدهار العلمي عند المسلمين، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م)، ص ٢٢٢.

يعطي العالم المتعلم كتاباً ويقوله: اروه عني[١]، وقد يعد البعض "المناولة" من أعلى وأقوى أنواع الإجازة على الإطلاق[٢]

٢- **إجازة المكاتبة:** وهي أن يرسل الشيخ أحاديث معينة أو أجزاء من كتب الحديث المكتوبة، ويجيزها لمن أرسلت إليه [٣].

٣- **إجازة رواية الأحاديث:** وهي أن يكتب العالم للمتعلم جزءاً بخطه من سماعه بعد أن صححه بالأصل لديه.

٤- **الإجازة بجميع قراءات ومسموعات العالم:** وهي أن يكتب المعلم للمتعلم بالإجازة بجميع ما صح عنده، أو يصح عند المتعلم من حديث[٤].

٥- **الإجازة** بأن يعطي المتعلم إلى المعلم مادة علمية مكتوبة ويطلب منه أن يقرأها ليتأكد من أنه أخذها عنه، فيتصفحه المعلم مؤكداً أن المكتوب صحيح، ويعد هذا التأكيد من الإسناد إجازة للمتعلم[٥].

(١) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، ص ٤٣٤؛ السيوطي: تدريب الراوي، ج٢، ص ٤٢ -٤٣.

(٢) ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن: مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، (تحقيق: عائشة عبد الرحمن، مصر، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٤م)،ص ٣٧٨.

(٣) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، ص ٤٤٧؛ ابن كثير: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، (القاهرة، مكتبة دار التراث، ط٣، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م)، ص ٩٩، ١٠٠.

(٤) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، ص٤٦٠؛ ابن كثير: الباعث الحثيث، ص ١٠٠.

(٥) الخطيب البغدادي: الكفاية، ص٤٦٠؛ أحمد شلبي: التربية الإسلامية "نظامها فلسفتها تاريخها"،(القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٦، ١٩٧٨م)، ج٥، ص ٢٦٤.

وتعتبر بذلك الإجازات العلمية إحدى طرق اعتماد تحصيل الطالب للعلم، وتنوعت الإجازة لتشمل العلوم كافة، فهناك إجازة في الحديث، وإجازة في علم القراءات، وإجازة في الفقه، وغيرها من العلوم. كما تعددت أغراضها إلى الإجازة بالفتيا والتدريس وغيرها[١].

والإجازة وسيلة يسترشد بها المتعلمون أو المشايخ عند لقائهم حاملها، غير أنها لا تعكس بالضرورة الأهلية للقيام بمهمة التدريس، إذ إن المعيار الحقيقي للتدريس هو علم وكفاءة المتعلم، وهذا أمر يقدره الطالب في نفسه أثناء لقائه العلماء الذين تعلم منهم مباشرة، ثم تؤيده أو تمنعه مجالس العلم التي يعقدها، فقد يكون الطالب المحصل لعلومه الحاصل على الإجازة العلمية ماهراً في الدراسة والتعلم، ولكنه غير قادر على التعليم والتدريس، أو قد يتجنب المتعلمون دروسه لحدة في خلقه، أو لبدعة تعلق بها، أو لأي سبب آخر[٢].

وعلى هذا الأساس فالإجازات يمكن عدها - بلغة العصر- مستندات تسمح لحاملها حق دخول الامتحان للتدريس في حلقات المساجد، أو التدريس في المدارس، والصمود أمام النقاش والاستفسار من قبل المتعلمين[٣]، وبذلك يكون العالم الممنوح له الإجازة قد وصل إلى مكانة علمية مرموقة جعلت الكثير من العلماء يثق به، ويمكن أن نشبه الإجازة بالدكتوراه الفخرية في أيامنا هذه.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة)، ج ١٤، ص ٣٦٤ -٣٧٤.

(٢) منيرة داوود العلي: الحياة العلمية، ص ٣٢٠.

(٣) أحمد شلبي: التربية الإسلامية، ج٥، ص ٢٦٣.

وممن اشتهر بمنح الإجازات العلمية في مكة المكرمة -فترة الدراسة- للكثير من طلبة العلم في مشرق العالم الإسلامي ومغربه: الإمام عمرو بن دينار (ت ١٢٥هـ/ ٧٤٢م)، وقد كان ممن يحرص طلبة العلم على الأخذ عنه والإجازة منه، قال طاووس لابنه: يا بني إذا قدمت مكة فجالس عمرو بن دينار[١].

كما حرص علماء وطلبة العلم من بلاد المشرق على الالتقاء بعالم مكة سفيان بن عيينة، والسماع منه والرواية عنه[٢]، وكذلك السماع من العالم أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي (ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م)[٣]، ومحمد بن حسين الآجري (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م)[٤].

وقد تصدر الإمام ابن عيينة منذ شبابه فئة العلماء المجيزين بسبب ما يحمله من علم عمرو بن دينار والزهري؛ فعن غياث بن جعفر قال: سمعت ابن عيينة يقول: أول من أسندني إلى الإسطوانة مسعر بن كدام، فقلت: إني حدث! فقال: إن عندك الزهري وعمرو بن دينار[٥].

والعديد من علماء المشرق الإسلامي كانوا يجيزون بمروياتهم أو مؤلفاتهم لأهل العلم بمكة، فعلى سبيل المثال: أجاز الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد النيسابوري (ت ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م) رواية كتابه

(١) اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ج١، ص١٢٢.
(٢) الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج١، ص ١٨٨؛ ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، ج٦، ص ٢٣١.
(٣) القيرواني: الجامع في السنن، ص ٢٣.
(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج٢، ص ٨١.
(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، ج ٩، ص١٧٦.

"الصحيح"، وذلك أثناء وجوده بمكة لقضاء فريضة الحج، حيث قام بروايته للطلبة، ومن ثم أجاز لهم روايته(١).

كما كان أبو بكر بن محمد بن أبي الفتح بن المنذر النيسابوري (من أهل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) وهو أحد أئمة الفقه الحنفي، له كتاب "الأوضح" في الفقه، كان يدرسه في مكة، ويجيز به طلبة العلم. وممن حصل على الإجازة في هذا الكتاب حين كان بمكة لأداء فريضة الحج الشيخ سعيد بن عثمان الجزامي (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)(٢).



(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ٣١١-٣١٢.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص ١٤٦؛ عبد القادر القرشي: الجواهر المضية، ج٢، ص ٢٧٣.

المبحث الرابع: المراكز العلمية

مكة، البلد الحرام، كانت ولا تزال، منبعاً للعلم والتعليم في كل الدنيا. وربما اشتهرت كثير من البلدان بالاهتمام الكبير بالتعليم، شهرة ربما تفوق شهرة مراكز مكة العلمية من وجه، لكن الاهتمام بالتعليم بمكة كان له وجه آخر للوافدين عليها من كل صوب، فمن يقم بالتعليم بها كان علمه ينتشر في الآفاق لمكانة مكة ؛ إذ هي بلد الله الحرام، وقد شرفها الله على سائر البلدان بأن وضع فيها بيته المحرم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[١].

وقد خص الله تعالى أم القرى بفضل وشرف عظيم[٢]، فهي مهبط الوحي الذي تنزل على النبي ﷺ لمدة تجاوزت اثنتي عشرة سنة، وفيها نزلت معظم آيات التوحيد، ومنها انتشر دين الإسلام، وبها المشاعر والمناسك والمواقيت[٣].

كما حازت مكة على شهرة علمية كبيرة منذ القرن الأول الهجري؛ وذلك لكثرة من وجد بها من علماء الصحابة، والتابعين وتابعيهم[٤] –

(١) سورة آل عمران: الاية: ٩٦-٩٧.

(٢) الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص ٢٩٠.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٧٣.

(٤) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، (حققه ووثقه: مرزوق علي إبراهيم، ط١، / ١٩٨٧م، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية)، ص ٥٥-٦٤، ١٣٣ – ١٤١؛ عائشة عبد الله عمر باقاسي: مكة والمدينة في منتصف القرن الرابع حتى منصف القرن السادس الهجري، (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ)، ص ١٧٩.

رضي الله عنهم جميعاً-، مما جعلها تتفوق وتشتهر على الأقطار الإسلامية الأخرى في مختلف العلوم الشرعية وغيرها.

ومراكز مكة العلمية تربو على غيرها من المراكز العلمية بقداسة المكان، مما يضفي هيبة على الدرس، ويسمح بمزيد من الاهتمام من المعلمين والدارسين على حد سواء، وهذه المؤسسات العلمية بمكة كان لها دور في تنشيط الحركة العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي، ولهذا أفردها بالحديث ههنا.



١ ـ الكتاتيب:

واكب الإسلام منذ ظهوره حركة علمية أظلت شبه الجزيرة العربية وغيرها من البلاد، وقد اهتم الإسلام بالتعليم لكل المسلمين، صغاراً وكباراً، فظهرت المكاتب أو الكتاتيب لتعليم الصبيان، وهي من المؤسسات التعليمية المهمة التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتعليم الصغار، وتربيتهم التربية الإسلامية الجيدة من حفظ للقرآن، وقراءة وكتابة، وتعليم مبادئ الدين الإسلامي على يد أحد العلماء(١).

والكُتَّاب هو موضع التعليم، والجمع الكتاتيب، ويقال لها المكاتب أيضاً، جمع مَكْتبَ، والمُكْتِبُ: المُعلم، والكُتَّاب: الصبيان، وقد قيل: إن إطلاق الكتَّاب على الموضع من اللحن(٢)، إلا أن هذا ليس متفقاً على كونه لحناً في اللغة، فقد جاء في مختار الصحاح أن الكُتّاب والمكتب واحد(٣)، وليس هناك ما يمنع أن يكون الكتَّاب هو الكتبة، ثم اتسع استعمال الكلمة في الموضع الذي يتعلم فيه الصبيان الكتابة.

ودُور الكتاتيب دُور قديمة، فلم يزل الناس في كل مجتمع يجتمعون على وضع نظام لتعليم الصبيان، وقد وجدت هذه الدُور في

(١)عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولها، (ط٣، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م)، ص ١١؛ أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، (ط١، القاهرة، دار المعارف)، ص ٦٣.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص ٣٨١٧.

(٣) الرازي: مختار الصحاح، ص٤٩٥.

العصر النبوي، فقد جاء عن أم سلمة أنها بعثت يوماً إلى معلَّم الكتاب: "ابعث إليَّ غلماناً ينفشون صوفاً، ولا تبعث إليَّ حراً"(١).

وجاء في مسند الإمام أحمد، عن ابن عباس أنه: "كان ناس من الأسارى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة"(٢).

وقد انتشرت الكتاتيب في جميع أرجاء العالم الإسلامي عبر العصور المختلفة، إلا أن نشأة الكتاتيب في مكة عرفت منذ زمن بعيد – قبل الإسلام(٣) – ومما يؤكد ذلك إجادة الكثير من أهل مكة خاصة للقراءة والكتابة، وذلك من خلال اشتراط الرسول ﷺ على الأسرى من أهل مكة بعد غزوة بدر أن يكون فداؤهم هو تعليم المسلمين(٤).

وكانت هذه الكتاتيب بعضها ملحق بالمساجد كالمسجد الحرام(٥)، خاصة تلك التي يتم فيها تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ الدين، وإن أوصى الكثير من العلماء بفصلها عن المساجد، فقد ورد عن الإمام مالك – رحمه الله – حين سئل عن تعليم الصبيان في المسجد – أنه

---

(١) ابن حجر: فتح الباري، ٥٣/١٢، هذا وقد علقه البخاري بصيغة التمريض عن أم سلمة في كتاب الديات، باب من استعان عبداً أو صبياً.

(٢) أحمد بن حنبل: المسند، ٢٤٧/١.

(٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار، (ط١، القاهرة، دار الكتب، ١٩٦٣م) ج٤، ص ١٠٣.

(٤) ابن معين: يحيى بن معين بن عون البغدادي، تاريخ يحيى بن معين، (تحقيق: عبد الله أحمد حسن، بيروت، دار القلم)، ج١، ص ٥٧؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، (دار صادر، بيروت)، م٣، ص ٢٦.

(٥) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص ١٤٨.

قال: "لا أرى ذلك يجوز؛ لأنهم لا يستحفظون من النجاسة، ولم ينصب المسجد للتعليم"[١]؛ لذا ومع التطور الحضاري للدولة الإسلامية، وجدت الكتاتيب المنفصلة والقائمة بذاتها، فقد أصبح لتعليم الصغار دور مستقلة مخصصة لا ترتبط بالمساجد إلا في الحالات النادرة، حيث لم يغنِ الكُتّاب عن تعليم الصغار في المسجد لنشر العلم والمعرفة[٢].

أما عن الطريقة المتبعة لتعليم القرآن خاصة فكانت التلقين ؛ إذ يروي عن الإمام الشافعي قوله[٣]: "كنت وأنا في المكتب أسمع المعلم يلقن الصبي، فأحفظ ما يقول"[٤].

وفيما يتعلق بالالتحاق بالكُتّاب فلم يكن له صفة إلزامية، وإنما كان الأمر متروكا لتقدير الآباء، ولم يكن هناك سن معين للالتحاق به، على أن السن المعتاد هي بين الخامسة والسابعة، فالصبي في هذا السن الصغير يكون التعليم له أشد رسوخاً، وأصل لما بعده[٥]، "إذ إن

(١) ابن سحنون: محمد بن عبد السلام، كتاب آداب المعلمين، (تحقيق: محمد عبدالمولى، (الجزائر، مطبعة الرأي الجديد، ١٩٦٩م)، ص ٨٧، ومراده في الغالب أنه لم ينصب لتعليم الصغار ممن لا يرعى حرمة المسجد.

(٢) عباس حلمي: المدارس الإسلامية ودور العلم وعمرتها، (مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، العدد الثالث، السنة الثالثة، ١٣٩٨م)، ص ١٥٤.

(٣) هو محمد بن إدريس الشافعي، ولد بالشام سنة ١٥٠هـ، وذهب إلى مكة وسكنها، وتردد على الحجاز والعراق، ثم قدم مصر واستوطنها، روي عن مالك وابن عيينة وغيرهما. القاضي عياض: المدارك، ج١، ص ٣٨٢.

(٤) القاضي عياض: المدارك، ج١، ص ٣٨٣.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ج١، ص ٥٣٨.

الصغير أسلس قيادة، وأحسن مواتاة وقبولاً"[١]، وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: ((علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر))[٢]، لأن الصبي متى بلغ سن السابعة أمكنه أن يتلقى التعليم بدون مشقة[٣].

وبالنسبة للمدة التي يقضيها الطالب في الكُتّاب لم تكن محددة، لكنها في الغالب لا تقل عن سنتين كحد أدنى ولا تزيد عن ست سنوات كحد أعلى، ويتخرج الطالب من الكُتّاب متى أتقن المواد التي يدرسها، وذلك يتوقف على مدى فهم واستيعاب الطالب[٤].

ومن أدلة كثرة مكاتب التعليم ما نقله ابن حجر – في سبب كتابة عثمان بن عفان رضي الله عنه المصحف– أنه : "لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كفر بعضهم بعضا"[٥].

فهذا الخبر يحمل دلالة واضحة على كثرة الكتاتيب والمعلمين بها في المدينة، ولم تكن مكة بمنأى عن ذلك، فقد انتشرت الكتاتيب في أحياء مكة وأزقتها، حيث تذكر لنا بعض المصادر أسماء عدد من

(١) ابن الجزار القيرواني: سياسة الصبيان وتدبيرهم، (تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر)، ص ١٣٤.

(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة، ص ٢٥٩، ح (٤٠٧).

(٣) محمد السيد الوكيل: الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، (ط٢، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م)، ص ١٦-١٧.

(٤) عبد اللطيف بن دهيش : الكتاتيب في الحرمين الشريفين، ص ٦١.

(٥) فتح الباري ، ج ٩ ، ص١٨.

الكتاتيب المنتشرة في مكة، ككتاب "أبي عمال" المقام عند باب دار القسري[١]، وكتاب "أبي عمر المعلم"[٢]، وغيرهما من الكتاتيب. وممن تولى تعليم الصبيان في القرآن والقراءة والكتابة الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني، روي أنه جاور ابن عباس بمكة سبع سنين، قال سفيان بن عيينة – من علماء مكة – أن الضحاك كان يعلم الصبيان حسبة[٣].

ولم تكن مهمة تعليم الكتابة موكولة لبعض المدرسين ممن عرف عنهم تدريس الصغار ولم يرتقوا في العلوم الشرعية، بل وقفنا على أسماء بعض العلماء ممن تولى مهمة تعليم الصبيان نجد من بينهم كبار الفقهاء، أمثال: عطاء بن رباح[٤]، وقيس بن سعد الحبشي[٥].

(١) دار القسري: نسبة إلى خالد بن عبدالله القسري. الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص ٢٤٩؛ الفاكهي: أخبار مكة، ج٣، ص ٢١١.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٣) هو تابعي جليل روى عن أنس وابن عمر وأبي هريرة، وجماعة من التابعين، وكان إماما في التفسير، قال الثوري: خذوا التفسير عن أربعة، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك تنقل ما بن بلخ وسمرقند ونيسابور، ومكة. وقيل إنه مات سنة (١٠٥هـ، وقيل ١٠٦هـ) . ابن كثير: البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص٢٤٩.

(٤) ابن معين: تاريخ يحيى بن معين، ج١، ص ٥٧.

(٥) قيس بن سعد الجدشي، أحد مشايخ مكة وفقهائها، روي عن عطاء بن أبي رباح ومجاهد وغيرهما، وهو ثقة في مروياته عن أهل مكة، توفي سنة ١١٩هـ /٧٣٧م. ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، ج ٧، ص ٩٩.

كما تولى بعض علماء المشرق مهمة تعليم الصبيان بمكة، فمنهم: أحمد بن محمد بن عبدوس[١]، وعبد الكريم بن أمية[٢].

وهذا يشير إلى اهتمام العلماء بتعليم الصغار، ولا غرو فقد حث علماء الصحابة على ذلك، فعن عمرو بن العاص ﷺ أنه أتى على حلقة من قريش، فقال: "ما لكم قد طرحتم هذه الأغيلمة؟ لا تفعلوا، وأوسعوا لهم في المجالس، وأسمعوهم الحديث، وأفهموهم إياه، فإنهم صغار قوم أوشك أن يكونوا كبار قوم، وقد كنتم صغار قوم، فأنتم اليوم كبار قوم"[٣].

وعن شرحبيل أبي سعد، قال: (دعا الحسن ﷺ بنيه وبني أخيه، فقال: يا بني، وبني أخي إنكم صغار قوم، يوشك أن تكونوا كبار آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويه – أو قال: يحفظه – فليكتبه، وليضعه في بيته)[٤].

(١) هو أحمد بن محمد بن عبدوس بن حاتم، الفقيه، من علماء الشافعية، سمع الحديث بخراسان والعراق والحجاز، توفي سنة ٣٨٥هـ /٩٩٥م، السبكي: طبقات الشافعية، ج١، ص ٤٦ -٤٧.

(٢) عبد الكريم بن أبي أمية بن أبي المخارق، بصري نزيل مكة، اشتغل بتعليم الصبيان، توفي سنة ١٢٧هـ /٧٤٤م. الذهبي: ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٦٤٦ – ٦٤٧.

(٣) الخطيب البغدادي: شرف أصحاب الحديث، (تحقيق: محمد سعيد أوغلي، أنقرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ص٨٩.

(٤) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن: سنن الدارمي، (تحقيق: فواز أحمد زمرلي وَخالد السبع، ط ١، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت) ، ج١، ص ٤٤٣ ح (٥٢٨)، وعلق المحقق: إسناده ضعيف لضعف شرحبيل بن سعد.

وعن ابن عباس: من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبيا[١].

وكان ابن شهاب الزهري . رحمه الله . يشجع الصغار، ويقول: «لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم؛ فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم، يتبع حدة عقولهم»[٢].

وعن الحسن البصري: "العلم في الصغر، كالنقش في الحجر"، وعن علقمة قال: "ما تعلمته وأنا شاب فكأنما أقرأه من دفتر"[٣].

كما وجد نوع من التعليم الخاص في مكة ، يتعلق بأصحاب الوجاهة من الأمراء ورجال الدولة والعلماء والتجار ، حيث جرت العادة أن ينتدب هؤلاء لأبنائهم معلمين خاصين ، يقومون بتعليمهم على انفراد، وقد أطلق على من يقوم بهذه المهمة من المعلمين اسم "المؤدب"[٤]؛ إذ كان يقوم بتعليم وتأديب الطفل في وقت واحد[٥].

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط٥، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، دار الكتاب العربي، بيروت)، ج ١١، ص ٨٧.

(٢) الأصبهاني: حلية الأولياء، (ط٤، دار الكتاب العربي،بيروت،١٤٠٥هـ)، ج٣، ص٣٦٤.

(٣) ابن مفلح ، أبو عبد الله محمد: الآداب الشرعية والمنح المرعية ، (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة ، بيروت)، ج١ ، ص ٢٢٥.

(٤) المؤدب: هو معلم خاص يقوم بتعليم طفل أو أكثر من أبناء الخلفاء والأمراء وتأديبه وتثقيفه في بيته أو قصره. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب: رسائل الجاحظ "المعلمين " (ط٢، بيروت، مكتبة الهلال،١٩٩١م)، ص ٢٠٣؛ أمينة أحمد حسن: رسالة المعلم في الإسلام، (بحث مقدم إلى مؤتمر المناهج التربوية والتعليمية، القاهرة، ٢٩-٣١ يوليو، ١٩٩٠م)، ص ٢٣.

(٥) أحمد شلبي: تاريخ التربية، (ط٦، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م)،ص ٥٨.

وعادة ما يكون المؤدب ملماً بعلوم القرآن والحديث والتفسير والفقه والفرائض، إلى جانب اللغة العربية والشعر والأدب، ذو سمعة خاصة في المجتمع العربي الإسلامي، إذ أنه كان يقضي جل وقته مع المتأدب مدرساً ومؤدباً ومراقباً ومشرفاً(١).

وممن تولى تأديب أولاد الخاصة بمكة: أبو علي الهجرى (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، حيث كان يعلم أبناء طاهر بن يحيى الحسيني بمكة، وكان ذو مكانة علمية كبيرة، فقد أخذ عنه الكثير من كبار العلماء(٢). وهذا يدل على اختيار خيرة المؤدبين والعلماء لتأديب أبناء الخاصة.



(١) محمد عيسي صالحية: مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي، (المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الثالث، المجلد الأول، ١٩٨١م، الكويت، جامعة الكويت)، ص ٤٦؛ عبد الرحمن السنيدي: التأديب والتثقيف الموجه نحو الخلفاء العباسين وأبنائهم في مرحلة ما قبل العهد البويهي "٢٧٩ – ٣٣٤هـ" ، (مجلة العصور، المجلد الثاني عشر ، ج١ ، شوال ١٤٢٢هـ / يناير ٢٠٠٢م ، دار المريخ للنشر ، لندن)، ص ٨٠-٨١.

(٢) الجاسر: أبو علي الهجري وأبحاثه، ص ١٦.

٢- المساجد:

منذ ظهور الإسلام وانتشاره في أصقاع الأرض احتل المسجد مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، ولا أدل على أهميته من أن النبي ﷺ كان اهتمامه ببناء المسجد أول مقدمه المدينة(١)، ولم يقتصر دور المسجد في الإسلام على مجرد أداء الصلوات الخمس، بل كان التعليم من مهامه الرئيسة، ولذا بوَّب الإمام البخاري في صحيحه "باب ذكر العلم والفتيا في المسجد"(٢).

وتجاوزت مهام المسجد حتى صار مؤسسة اجتماعية تربوية، وصار النواة الأولى لبث الدعوة الإسلامية، فقد اتخذه المسلمون مكاناً للعبادة، بالإضافة إلى كونه معهداً للتعليم، وداراً للقضاء، وساحةً تتجمع فيها الجيوش، ومنزلاً لاستقبال الوفود والسفراء"(٣).

فكان المسجد في الإسلام منارةَ علم دائمة، ومؤسسة تربوية واجتماعية، ومكاناً لعقد رايات الجهاد(٤).

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ج٢، ص ٢١٣. ٢١٧؛ عبد الله قاسم الوشلي: المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلق العلمية، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ١٠٢.

(٢) البخاري: صحيح البخاري: ٦١/١.

(٣) ابن الحاج، محمد بن محمد الفاسي: المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها، (دار الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م): ١/ ٨٥؛ عبد الغني عبود: التعليم مدى الحياة في الإسلام، (دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٧م)، ص١٠.

(٤) الوشلي: المسجد ودوره التعليمي عبر العصور، ص٢٢، ٢٣.

ولم يختلف دور المسجد في الحياة العلمية في مكة عنه في مساجد الدولة الإسلامية، فقد كانت المساجد مفتوحة وحلقات العلم فيها كثيرة ومتنوعة، وبإمكان الطالب أن ينتقل من حلقة إلى أخرى وفق رغبته، كما أن الحضور كان بها اختيارياً، ولكافة الطبقات والأعمار، فليس هناك قواعد لحضور الطلاب أو انصرافهم، وليس الطالب مقيداً بالاستماع إلى أستاذ معين، أو دراسة علم معين، وليس الشيخ مقيداً بمنهج ثابت، فكان الطلاب يحضرون على الشيخ الذي يروقهم في حلقته، فإذا أحب طالب دروس شيخ لازمه وأخذ عنه، حتى يتخرج على يديه ويجيزه للتدريس فيما بعد فيما أخذه عنه، كما لم تكن ثمة أوقاف مرتبة لطلاب حلقات الدروس في المساجد، ولذا فالرغبة في العلم الشرعي كانت الحافز الأساسي لهؤلاء الطلاب، لذا نبغ فيهم كثيرون وصاروا أئمة يقتدى بهم(١).

وللتعليم في المساجد مميزات لا تحصى، منها: إيصال العلم حتى لمن لم يقصد أخذه، لأن من الناس من يقصد المساجد للعبادة، فيجد أحدهم نفسه على مقربة من الدارسين فتطرق أسماعهم المداولات العلمية، فتبلغ قواعد السلوك والعبادة للطالب وغيره، وقد ينجذب من لم يكن راغباً في العلم إليه إذا سمعه(٢).

---

(١) أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام دراسات في التربية، (دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٥م)، ص ١٥.

(٢) محمد كمال عز الدين: الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، (ط١، القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠ هـ)، ص ٦٦.

كان يلقب بـ "الإمام" و"المقرئ" و"المحدث" دلالة على ما اشتهر به من تبحره في علم ما من العلوم وتفننه فيه[1].

وممن اشتهروا بإلقاء الدروس في المسجد الحرام الشيخ سعيد بن منصور الخراساني (ت ٢٢٧هـ / ٨٤٢م) ، أحد أئمة الحديث في عصره، عرف بـ "شيخ الحرم" ، لغزارة علمه وسعة إطلاعه، له عديد من المصنفات العلمية [2].

كما كان للشيخ أبي سعيد الجندي المفضل بن محمد (ت٣٠٨هـ/ ٩٢٠م) حلقة علمية بالمسجد الحرام، كان يدرس فيها علم الحديث والقراءات، ويحضرها الكثير من العلماء وطلبة العلم[3].

والشيخ محمد بن أحمد المروزي (ت ٣٧١هـ/٩٨١م)، كانت له حلقة علمية بالمسجد الحرام، يدرس فيها كتب الحديث والفقه ، فمما كان يدرسه كتاب "صحيح البخاري" في الحديث ، وكتاب "الأم" للإمام الشافعي في الفقه، وقد استفاد من علمه الكثير من طلبة العلم [4].

وكان نتيجة نبوغ علماء المسجد الحرام في الكثير من العلوم أن توافد عليهم طلبة العلم من كل حدب وصوب حتى إنه كان لا يستطيع

(١) يذكر لنا السخاوي أن عبد الملك الشافعي (ت ٤٧٨هـ /١٠٨٥م) الملقب بإمام الحرمين، خرج من نيسابور إلى الحجاز مجاوراً، وقام بالتدريس والإفتاء بالمسجد الحرام والمسجد النبوي، ولذا قيل له: إمام الحرمين. التحفة اللطيفة، ج ٢، ص ٢١١.

(٢) الذهبي: السير،ج ١٠، ص ٥٨٦ – ٥٩٠.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث السنوات (٣٠١١ –٣١٠)، ص ٢٤٥.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث السنوات (٣٥١ –٣٨٠)، ص ٥٠٥.

بعضهم الوصول إليهم أو الحديث معهم في أي موضوع خاص من شدة الزحام عليهم داخل الحرم نفسه(١).

كما كان علماء الحرم ومشايخه يقومون بالوعظ والتذكير في المسجد الحرام، فهي مهمة العلماء ومن أمثال هؤلاء: الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد النيسابوري (ت ٣٦٩هـ/٩٧٩م) (٢). ولكثرة حلق العلم في المسجد الحرام والازدحام فيها، كان بعض العلماء يتفرقون في حلقاتهم ومجالسهم العلمية في مختلف زوايا وساحات المسجد الحرام؛ لدرجة أن الكثير منهم كان يقيم حلقته العلمية عند أبواب المسجد (٣).

كما وجد بمكة العديد من المساجد التي كانت تقام فيها بعض الحلقات العلمية من تحفيظ للقرآن الكريم، وكانت تختلف قرباً وبعداً من المسجد الحرام ، منتشرة داخل مكة وأحيائها كمسجد الراية(٤) والمقام

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، (تحقيق: مجموعة من الأساتذة، ط١، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤ م، دار الفكر للطباعة، والنشر)، ج ٩، ص ٢٤٨.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج ٣، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٣٨.

(٤) يقع في منطقة الجودرية، يقال إنه بني في الموضع الذي ركز فيه الرسول ﷺ رايته يوم فتح مكة، وكان له حتى نهاية القرن العاشر منارة من دورين تهدم رأسها. الطبري، علي: الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والحلفاء، (تحقيق: أشرف جمال، ط١، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ)، ص ٧١؛ عبد الكريم القطبي: إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، (تعليق: أحمد جمال وعبد العزيز الرفاعي، ط١، الرياض، دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ)، ص ١٦٦.

بقرب الموضع الذي يقال أن النبي ﷺ وُلد فيه [١].

كما كانت مساجد المشاعر المقدسة في موسم الحج من كل عام تشهد هي الأخرى نشاطات علمية ملحوظة [٢].



(١) الطبري: الأرج المسكي، ص ٦٩، ٧١.

(٢) عبد العزيز السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص ١١٩.

٣ – مجالس العلم في دور العلماء:

لقد أسهمت منازل العلماء بنصيب وافر وكبير في ازدهار الحياة العلمية على مر تاريخ الأمة الإسلامية، اهتداء بهدي النبي ﷺ، الذي كان أول من اتخذ من البيوت ومن المنازل الخاصة مكاناً لنشر العلم، وذلك باتخاذه دار الأرقم بن أبي الأرقم(١) مكاناً يلتقي فيه صحابته الكرام وأتباعه الأُول، لتعليمهم مبادئ الدين الإسلامي، قراءة وتفسيراً، وعملاً وسلوكاً، وعندما أذن له الله سبحانه وتعالى بالإعلان بالرسالة الخاتمة، خرج بها، عليه أفضل الصلاة والسلام، من هذه الدار المباركة إلى العالم بأجمعه(٢).

ولقد دأب الكثير من علماء مكة على استضافة طلاب العلم في منازلهم ولمن يريد أن يتتلمذ عليهم، وأضحت بيوتهم مكاناً للتعليم والدراسة اقتداءً بفعل رسول الله ﷺ.

ويجد طالب العلم في بيت العالم فرصاً للاستفادة ومزايا لا تتحقق – في الغالب – أثناء الدروس والحلق المنتظمة، في الأخذ المباشر على الشيخ، أو كشف ما غمض على الطالب، أو صعب عليه فهمه أثناء

(١) دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي بمكة، دُعيت بدار الإسلام، وفيها دعا الناس عليه الصلاة والسلام إلى الإسلام، أسلم فيها قوم كثير، كانت مركزاً يلتقي فيه الرسول ﷺ بأصحابه ومن تبعه، ليعلمهم مبادئ الدين الإسلامي، وما نزل من آيات الذكر الحكيم، كما كان الرسول يستقبل في هذا المنزل من جنحوا إلى الإسلام ومالوا إليه، ليغمر الرسول قلوبهم بإرشاده وتعليمه، فيعتنقوا الإسلام وينضموا إلى جماعة المسلمين. انظر، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٤٢–٢٤٣.

(٢) سعيد إسماعيل: معاهد التربية الإسلامية، (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م)، ص ٥١٣.

الدرس. فهذا عطاء بن أبي رباح يحدث في بيته في مكة[١]، وكان منزل سفيان بن عيينة بمكة يزدحم بالناس أيام موسم الحج في مكة لسماع الحديث[٢].

ومن شدة حرص العلماء على نشر العلم وتعليم الناس كان أحدهم ينتقل إلى منازل بعض الطلبة لتحديثهم فيها، عندما يجد الرغبة الصادقة لدى طالب العلم وحبه للتعلم، وكان العالم يتقرب إلى الله بذلك، ويطلب الثواب من الله تعالى، وذلك لعلمه أن تعليم العلم من أفضل الأعمال لمن حسنت نيته، ويذكر أن رجلاً جاء إلى سفيان الثوري (ت١٦١هـ/ ٧٧٧م) وهو في مجلسه بعد العصر، وحوله أصحاب الحديث، فقال له: (يا شيخ ما يمنعك أن تنشر ما عندك وتحدث به هؤلاء؟ فقال سفيان: لو علمت أن الذي يطلب هذا لله، لكنت آتيه في منزله حتى أحدثه)[٣].

وفي مكة كان منزل ابن جريج مفتوحاً للراغبين في العلم، فقد روي عن معمر بن راشد [٤] قوله: (وكان ابن جريج يأخذ بيدي، فيذهب بي إلى منزله فيكتب عني واكتب عنه)[٥].

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ٤٦٩.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص ١٥٣.

(٣) الرامهرمزي: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ص ١٨٤.

(٤) هو إمام حافظ، من علماء البصرة ومحدثيها، وفد إلى مكة، وانتقل إلى اليمن فنزل بها، له الكثير من المصنفات، توفي سنة ١٥٢ هـ /٧٦٩م، وقيل سنة ١٥٣هـ / ٧٧٠م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص٨١.

(٥) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (تحقيق: محمد رأفت سعيد، ط١، الكويت، دار الفلاح، ١٤٠١هـ /١٩٨١م)، ج ٢، ص ٢٧٥.

٤ – الأربطة:

الرباط: الملازمة، وهي كلمة في الأصل تشير إلى الجهاد، فأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله للقتال، ثم صار لزوم الثغر رباطاً[١]، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[٢]، ثم أطلق اسم الرباط على الأبنية المعدة للجهاد القريبة من ثغور المسلمين فيما بينهم وبين أعدائهم، فيبقى المدافعون فيها لدفع خطر العدو لئلا يهجم على المسلمين، ومن المتوقع أن تكون الحياة في الرباط عسكرية، وتلازمها الحياة الدينية المتميزة لرفع المعنويات، فلما ضعف خطر المسيحية على المشرق الإسلامي، أخذ الرباط يفقد الطابع الحربي، وتغلب عليه الصفة الدينية[٣]، ومن هنا صارت الأربطة[٤]، مكاناً روحياً ينزل به العباد(الزهاد)[٥]، وكذلك كانت مركزَ عمل

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص١٥٦١، مادة ربط.

(٢) الأنفال، آية: ٦٠.

(٣) سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م)، ص١٦٨.

(٤) وقد يطلق على الأربطة: خانقاوات وخوانق، بمعني البيت بالفارسية، وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، وجعلت لانقطاع الصوفية فيها لعبادة الله تعالى، حسب زعمهم، وقد ظهرت الخوانق في الإسلام في حدود الأربعمائة من الهجرة، في الوقت الذي كثرت فيه الصوفية وتعددت مشيخاتها. المقريزي: الخطط "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"، (مكتبة دار الثقافة الدينية، القاهرة) ، ج٢، ص٤١٤؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص١٦٨؛ الخطيب: دراسات في تاريخ الحضارة، ص٧٣.

(٥) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٤٢٧.

اجتماعي وثقافي واقتصادي[1]، وقد جاءت وظيفة الأربطة التعليمية في مكة من خلال إقامة كثير من العلماء وطلبة العلم فيها، خاصة في مواسم الحج والعمرة، حيث يوفر الرباط لساكنيه متطلبات المعيشة المختلفة، ليتفرغوا لطلب العلم أو تدريسه سواء لساكني الرباط أو المراكز العلمية الأخرى المتوفرة في مكة[2].

وظهرت الأربطة في مكة بأنواعها، فمنها أربطة مخصصة للرجال وبعضها للنساء، كما كان بعضها موقوفاً على عامة فقراء المسلمين المغتربين، وبعضها خصص لسكنى أبناء بلد معين، وهو غالباً بلد الواقف[3].

وتعدد الأربطة بمكة وكون الكثير منها أوقف على أبناء بلد أو مدينة معينة يدل على التنوع الثقافي والحضاري الذي شهدته مكة من خلال تلك الأفواج من العلماء الذين قصدوها من كل قطر من أقطار العالم الإسلامي، وفيه كذلك إشارة إلى ما تحققه مكة من تطور ونشاط علمي واسع.

وعادة ما كان يتولى الإشراف على الرباط أحد الشيوخ العلماء[4]، كما تمارس الأنشطة العلمية في الرباط حسب شروط

---

(١) محمد الصادق عبد اللطيف: الرباطات دورها وأهميتها التاريخية (المنهل، م ٦١، س ٦٦، ع ٥٧١، شوال ذو القعدة ١٤٢١هـ / يناير – فبراير ٢٠٠١م، ص ٨٣-٨٤.

(٢) ليلى عبد المجيد: التنظيمات في مكة، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٣) جمال الدين المطري : تاريخ المدينة الشريفة ، "التعريف بما أنست دار الهجرة من معالم دار الهجرة" ، (تحقيق : سعيد عبد الفتاح، ط١، مكة المكرمة، مطبعة الباز) ، ص٨٨.

(٤) ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، (دار الثقافة، بيروت ، ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م)، ص ٤٦٤-٤٦٦.

الواقف، فكانت تؤدى فيه دروس الوعظ والإقراء، والتحديث، والسماع، والإفتاء، ومنح الإجازات العلمية، وتصنيف المؤلفات؛ إذ اشتملت بعض الأربطة على مكتبات عامرة(١).

ومما وقفت عليه من أربطة –من خلال المصادر المتاحة– بمكة فترة الدراسة:

- **رباط الوقس:** أوقف في أواخر القرن (٢هـ / ٨م) ، ويقع بالقرب من **رباط الأخلاطي** ، وكلاهما يقعان في شعب عامر(٢).

- **رباط ابن منده:** أنشأه الحافظ أبو عبد الله بن منده محمد بن إسحاق (ت ٣٩٥هـ /١٠٠٥م)، وهو ملاصق لزيادة دار الندوة، وبابه مقابل لبابها الذي يخرج مباشرة على السويقة، وكان على بابه حجر مكتوب فيه إن واقفه أوقفه على القادمين من مدينة أصبهان أربعين يوماً، وعلى سائر الناس عشرة أشهر وعشرين يوماً(٣).

- **رباط السدرة:** أنشئ هذا الرباط في سنة (٣١٢هـ / ٩٢٤م)، ولم تذكر لنا كتب التاريخ شيئاً عن واقفه، غير أن الثابت أنه يقع

(١) حسين عبد العزيز شافعي: الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني " دراسة تاريخية حضارية ٩٢٣-١٣٣٤هـ /١٥١٧ –١٩١٥م"، (مكة المكرمة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٤٢٦ / ٢٠٠٥م) ، ص ٢٤٢.

(٢) علي أبا حسين: صفحات من التاريخ الاجتماعي في مكة المكرمة أيام العباسين، (مجلة الوثيقة دورية الخمسون، السنة الخامسة والعشرون، جمادى الثانية ١٤٢٧هـ / يوليو ٢٠٠٦م)، ص٢١.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص ٥٢٨، ٥٣٥.

بالجانب الشرقي من المسجد الحرام، على يسار الداخل إلى المسجد الحرام من باب بني شيبة، ويحتوي فناؤه على البئر المعروفة بسجله، والتي حفرها هاشم بن عبد مناف[١]، وقيل: قصي بن كلاب[٢].

- **رباط دار الخَيزران:** يقع بالقرب من الصفا عند المسعى[٣]، واشترط واقفه على أن يكون للمنقطعين ، والغرباء، وإقامة الحجاج في الموسم[٤] ، وعرف هذا الرباط زمن الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي

---

(١) هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أحد من انتهت إليهم السيادة في الجاهلية، ومن بنيه النبي ﷺ، اسمه عمرو، وغلب عليه لقبه " هاشم " لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في إحدى المجاعات. وهو أول من سن الرحلتين لقريش للتجارة: رحلة الشتاء إلى اليمن. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٦؛ الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص٦٦.

(٢) قصي بن كلاب بن مرة، سيد قريش في عصره، ورئيسهم. قيل: هو أول من كان له ملك من بني كنانة. وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي. كان موصوفاً بالدهاء. وولي البيت الحرام، وجدد بناء الكعبة، وكانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء. وكانت قريش تتيمن برأيه، فلا تبرم أمرا إلا في داره. وهو الذي أحدث وقود النار في " المزدلفة " ليراها من دفع من " عرفة ". ابن سعد: الطبقات، ج١، ص٣٦؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ١٩٨. وانظر: الفاسي: شفاء الغرام، ج ١، ص٥٢٧.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام ج ١، ص ٥٣٢.

(٤) النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد الحنفي: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، (مصر، المطبعة العامرة العثمانية، ١٣٠٣ هـ)، ص ٩٨.

العباسي[١] بـ "دار الخيزران"، عندما اشتراها ووهبها للخيزران[٢]، حين قدمت إلى مكة سنة (١٧١هـ/٧٨٧م)[٣].



(١) الخليفة العباسي أبو عبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي (ت١٦٩هـ /٧٨٥م)، عرف بالصلاح وكثرة العبادة وتعظيمه للعلماء وكذلك كثرة الصدقات والحج، كان جواداً محبباً إلى الرعية. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٤٠٠ – ٤٠٣.

(٢) الخيزران، زوجة المهدي العباسي، وأم ابنيه الهادي وهارون الرشيد: ملكة حازمة متفقهة. يمانية الأصل، أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي. وكانت من جواري المهدي، وأعتقها وتزوجها، حجت، وأغدقت على أهل مكة والحجاج الكثير من العطايا والأموال، توفيت ببغداد سنة (١٧٣ هـ /٧٨٩ م). ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٦٣؛ الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٣٢٨.

(٣) ابن فهد: إتحاف الورى، ج ٢، ص ٢٢٥؛ سليمان المالكي: بلاد الحجاز، ص ١٤١.

٥- حوانيت الوراقين:

"الوراقة" : هي حرفة صناعة الورق ، ونسخ الكتب ، والاتجار بها، و"الوراق": هو الذي يمتهن حرفة الوراقة وهو الذي يقوم بنسخ الكتب(١).

و"الوراقة" حرفة تشمل : النسخ، والتجليد، وبيع الكتب، وبيع الورق. وقد وضّح ابن خلدون مكونات مهنة هذه الصناعة بقوله: "إنها معاناة الكتب بالاستنساخ، والتصحيح، والتجليد، وسائر الأمور الكتابية، والدواوين"(٢).

وتعتبر "الوراقة" أو نسخ الكتب من مصادر التكسب، بل اعتبرها السبكي من أجود الصنائع لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم ووثائق الناس وعهدهم(٣).

ومن الوراقين من تخصص في مهنة نسخ وكتابة المؤلفات والمصنفات العلمية، وهم حجر الزاوية في مهنة الوراقة، فإليهم يعود الفضل في وصول " المخطوطات العربية – الإسلامية " إلينا خالية من الأخطاء، أو التشويه.

وهناك الورَّاقون العلماء والأدباء والشعراء ، وهم أميل للتخصص في النقل والكتابة ونسخ الكتب ، وتدوين العلوم ، لذلك خرج منهم

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٣٧٤؛ إبراهيم مصطفى: المعجم الوسيط، ج٢، ص١٠٢٦.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة)، ص٣٣٤، ٣٣٥

(٣) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، (دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٣م)، ص١٣٢.

العلماء والمختصون، حسب الشيوخ الذين تتلمذوا على أيديهم، وورّقوا لهم[١]. فمن هؤلاء مالك بن دينار (ت ١٣٠هـ/٧٤٧م) من العلماء الأبرار، ومن أعيان كتبة المصاحف، سكن مكة ، استقر بالبصرة وتوفي بها، كان يتردد على مكة كثيراً، عمل في نسخ كتاب الله ، يذكر الذهبي أنه كان يستغرق ما يقارب الأربعة أشهر في نسخ المصحف الشريف[٢].

وهكذا نرى أن مهنة الوراقة ضمت أناساً من مختلف مراتب العلم والثقافة، بينهم قضاة، وفقهاء، وأدباء، وشعراء، وعلماء أجلاء، وطلاب علم، بالإضافة إلى القائمين على تجليد الكتب، والاتجار بها.

ولم تقتصر أعمال الورّاقين على نسخ الكتب فقط، فقد نجد بعض الوراقين من العلماء الذين برعوا وأجادوا في كثير من فنون المعرفة، ولم يقتصروا على علم بعينه؛ فمنهم المؤلف، والناسخ، والمجلد، والتاجر وغير ذلك من الأعمال التي تتعلق بمهنة الوراقة.

وعادة ما كان يشترط فيمن يقوم بنسخ الكتب عدة شروط، منها: جودة الخط ووضوحه وصحته، واختيار الورق المناسب للكتابة عليه، وقدرة الوراق على تصحيح الأخطاء وضبط النسخ وتدقيقه في النقل، والأمانة في نقل ما ينسخه دون زيادة أو نقصان، بمعنى أن لا يحذف شيئاً من الكتاب أثناء نسخه، وقد حذر السبكي من ذلك بقوله: "ومن النساخ من لا يتقى الله تعالى ويكتب على عجلة، ويحذف من أثناء

---

(١) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، ص١٣٩، ١٤٦.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج ٥ ، ص٣٦٤.

الكتاب شيئاً رغبة في إنجازه، إذا كان قد استؤجر على نسخه جملة، وهذا خائن لله تعالى في تضييع العلم، وجعل الكلام بعضه غير مرتبط ببعض"(١).

وأما الأدوات(٢) التي اعتاد الناسخ استخدامها فتتمثل في المحبرة، التي يحفظ بها الحبر أو المداد(٣)، وكانوا يفضلون الكتابة بالحبر عن المداد(٤)، "لبقائه على مر الدهور والأزمان وهو آلة ذوي العلم وعدة أهل المعرفة والفهم"(٥).

وكان القلم هو آلة النسخ، وأجوده الأملس العود المزال العقود، ذو الفتحة الواسعة، ليس بالصلب القاسي مما يمنع جريان الحبر أو الرخو فيتسبب في سرعة جريانه(٦)، أما الأقلام الغليظة أو ذات الخط العريض

(١) معيد النعم، ص١٠١، ١٠٢.

(٢) محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ص١٧٥.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٤٣.

(٤) ذكر القلقشندي الحبر بأنه صنفان، الأول ما يناسب الكاغد (الورق)، وهو حبر الدخان، ويتكون من العفص والآس بعد نقعهما ثم غليهما على النار، ثم يصفى ويضع عليه صمغ عربي ودخان كالح بعد سحقه بسكر النبات والزعفران، أما الصنف الثاني فهو ما يناسب الرق (هو جلد رقيق يكتب عليه)، لا دخان فيه، ولذلك يجيء براقاً، وهو أضر للبصر بسبب بريقه. أما المداد: فبه كانت كتابة الأولين من أهل الصنعة، ويتألف من سخام النفط، المصبوب عليه الماء والعسل والملح والصمغ والعفص، ويوضع على نار لينة حتى يصبح كالطين، ثم يترك في إناء ويرفع إلى وقت الحاجة، القلقشندي: نفسه، ج٢، ص٤٧٥، ٤٧٦.

(٥) السمعاني: آداب الإملاء والاستملاء، (تحقيق: أحمد محمد عبد الرحمن، المطبعة المحمودية، ط١، ١٤١٤هـ)، ج٢، ص٥٤٥.

(٦) السمعاني: آداب الإملاء، ج٢، ص٥٦٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٤٤.

السميك فكانت تستخدم في كتابة الفصول أو الأبواب أو التراجم لتتميز عن بقية أجزاء الكتاب، وإن فضل البعض استخدام الحبر الأحمر لنفس الغرض(١).

وكان يصاحب القلم أدواته وهي: المقلمـة(٢)، والممحاة ، والسكين، والمقط(٣) ، والورق(٤).

وكانوا يحصلون على الورق عن طريق التجارة ، فيأتيهم ورق البردي من مصر والورق الصيني من البلاد المجاورة، بل شاعت صناعة الورق وتوفرت وتعددت وسائل إنتاجها، فتذكر المصادر أن يوسف بن عمرو المكي اتخذ من "القطن" أوراق للكتابة وذلك في حدود سنة (٨٨هـ/٧٠٧م) (٥).

وقد روعي في عملية النسخ عدة أمور من أهمها: أن ينسخ الناسخ كتاب الله وكتب الشرع والكتب المفيدة عموماً، ويحذر من نسخ

(١) ابن جماعة، إبراهيم بن سعد الله: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ص١٩١.

(٢) المقلمة: وعاء توضع به أقلام الكتابة، انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج٤، ص١٦٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٢، ص٤٦٥.

(٣) المقط: بكسر الميم، هو ما يقطع به رأس القلم، الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج٢، ص٣٩٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٦٨.

(٤) السمعاني: آداب الإملاء، ج٢، ص٥٧٤.

(٥) عبد الحي الكتاني: التراتيب الإدارية، (دار الكتاب العربي، بيروت)، ج٢، ص ٢٤٢؛ محمد محمد حسن شراب: تأريخ الكتابة وتدوين العلم في العصر الجاهلي والقرن الهجري الأول ، (ط١، دار الصديق، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص ١٠٢

القصص الكاذبة والأباطيل وكتب المجون والبدع والأهواء، وأن يكتب بخط واضح يُقرأ[١].

وقد وجد بمكة ونتيجة للحركة العلمية النشطة بها العديد من "حوانيت الوراقين"، فكانت الكتب تباع في أسواق عرفت بأسواق الوراقين، وعادة ما كانت منتشرة حول الحرم المكي الشريف، حيث يكثر المعتمرون والحجاج في هذه المنطقة المركزية، فيجدون ما يريدون من كتب، خاصة المصاحف الشريفة وكتب الحديث، قريباً من متناول أيديهم، وكان القائم على بيعها يستخدم دلالاً يروج لبيعها وشرائها [٢].

ولم تقتصر "حوانيت الوراقين" على بيع الكتب فقط، بل كانت بمثابة ملتقى علمي بين العالم والمتعلم، فقد حوت كتباً في اللغة والأدب والشعر، فقصدها ذوو الثقافة العالية يستمتعون بمتعة عقلية من وراء هذه الحرفة التي كانت تتيح لهم القراءة والاطلاع[٣].

كما عمل طائفة من العلماء والفقهاء بالوراقة ونسخ الكتب، وكانت حوانيتهم منتديات للعلماء، تعقد فيها المجالس العلمية وتدار فيها المحاورات والمناظرات والمناقشات، وقد يحضرها طلاب العلم والمعرفة للاستفادة، ومن ثم الإفادة[٤].

---

(١) ابن الحاج: المدخل، ج٤، ص٢٩٩؛ ابن جماعة: تذكرة السامع، ص١٧٩.

(٢) سعيد الخوري الشرتوني: أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، (دار الأسوة للطباعة والنشر)، ج ٥، ص ٧٥٤.

(٣) أحمد شلبي: التربية الإسلامية، ص ٦٤؛ عبدالله منسي السعد العمري: تاريخ العلم عند العرب، (الأردن)، ص ٢٣.

(٤) أحمد شلبي: التربية الإسلامية، ص ٦٣.

ونتيجة لما شهدته مكة من حركة علمية نشطة – فترة الدراسة – فقد راجت مهنة الوراقة والوراقين بها، ويدل على ذلك النتاج العلمي الضخم الذي تركه لنا علماء هذه الفترة والمتمثل في مؤلفاتهم، حيث قاموا بتصنيف المؤلفات في كافة العلوم المختلفة، فعلى سبيل المثال هناك إشارة إلى أن العلامة عطاء بن أبي رباح (ت ١١٧هـ/٧٣٥م) كان يحث طلبة العلم على كتابة العلم فيقول لهم: "يا غلمان تعالوا اكتبوا ، فمن كان منكم لا يحسن كتبنا له، ومن لم يكن عنده قرطاس أعطيناه من عندنا"، وقد كتب عنه عدد كبير من أهل العلم[١].

مؤلفات: عبد الله بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥١هـ / ٧٦٨م)، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ /٨١٣ م)، فقد اشتهرت كتب هؤلاء العلماء في مختلف الأمصار الإسلامية[٢].

ولقد كان لعلماء المشرق ممن نزل بمكة أو جاور بها، العديد من المصنفات في شتي فنون العلوم، مثل سعيد بن منصور المروزي (ت٢٢٧هـ /٨٤١م)، صاحب "السنن"[٣]، ومحمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت٣١٠هـ /٩٢٢م) الذي صنف بمكة الكثير من الكتب لم يصنف أحد مثله منها "المبسوط" في الفقه، و"الأوسط" في السنن، و"الإجماع والاختلاف"، و"الإشراف على مذاهب أهل العلم" في الفقه، و"اختلاف العلماء"، و" تفسير القرآن"، وغيرها كثير[٤].

---

(١) انظر: محمد محمد شراب: تاريخ الكتابة وتدوين العلم، ص ١٥٧؛

(٢) الرامهرمزي: المحدث الفاصل، ص ٦١٢، ٦١٦.

(٣) المزي: تهذيب الكمال، ج ١١، ص ٧٧، ٨١.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص١٠٢؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص ٦٥.

وهكذا أسهمت حوانيت الوراقين ، إلى جانب المؤسسات التعليمية الأخرى في ازدهار الحركة العلمية بمكة، من خلال نسخ المؤلفات العلمية لعلماء مكة والوافدين عليها، أو توفير أدوات الوراقة من أقلام وأحبار وأوراق لهم [١].



(١) علي بن إبراهيم النملة: الوراقة وأشهر أعلام الوراقين، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، ص ٣٢، ٣٥.

٦ – **خزائن الكتب:**

تعد خزائن الكتب "المكتبات" القاعدة الأساسية التي تستند عليها مختلف الجهود الثقافية في أي عصر من العصور أو أي مجتمع من المجتمعات، حتى إنها اتخذت في كثير من الأحيان المعيار الذي يُحكم به على تقدم هذا المجتمع أو ذلك العصر(١).

ولا خلاف أن المكتبات كانت من أهم الوسائط الثقافية التي أسهمت في نشر مختلف فنون العلم والمعرفة، وقد اقترن النشاط العلمي في مكة بحركة دؤوبة في ميدان دور العلم وأدواته من خلال خزائن الكتب، فقد شهدت مكة عدداً من هذه الخزائن، والتي مثلت جزءاً هاماً في تنشيط الحياة العلمية بها.

ولقد نقلت إلينا كُتب الأخبار وجود مكتبات بمكة فتحت أبوابها للقراء ومحبي المعرفة، فقد جاء في كتاب "الأغاني" أن: (عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي – من أهل القرن (١هـ/٧م)- اتخذ بيتاً، فجعل فيه وقرقات ودفاتر فيها من كل علم، وجعل في الجدار أوتاداً ، فمن جاء ، علق ثيابه على وتدٍ منها، ثم جرَّ دفتراً فقرأه)(٢).

وفي جمهرة أنساب العرب لابن حزم : (كان عبد الحكم من فتيان قريش قد اتخذ بيتاً لإخوانه في كُتب العلم ...) (٣).

(١) إبراهيم المزيني: الحياة العلمية في العصر الزنكي، ص ١٥٣.

(٢) الأغاني ، ج ٤ ، ص ٢٥٣.

(٣) ص ١٦٠.

وقد أسهم عدد كبير من الحكام والأعيان والعلماء في إنشاء خزائن الكتب بمكة أو تزويدها بالكتب من خلال الشراء أو الإهداء ووقفها عليها؛ ابتغاء ثواب الله، ومصداقاً لقول رسول الله ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"(١).

كما اشتملت معظم المساجد ودور العلم بمكة على مكتبات مزودة بالكتب المختلفة يرجع إليها العلماء والطلبة والقراء والنساخ في أي وقت شاءوا، ولم تكن تلك المكتبات خاصة بفئة معينة دون الأخرى، إنما كانت تستخدم من قبل الجميع (٢).

وكان المسجد الحرام هو المكان الأول الذي احتضن هذا النوع من المكتبات، فكانت خزائن الحرم المكي تحتوي على المصاحف الشريفة وعلى المؤلفات المتنوعة(٣).

وعن النظام المتبع في خزائن الكتب وكيفية العمل فيها، فإن المصادر التي تناولت تاريخ مكة فترة الدراسة لم تتحفنا بالكثير عن ذلك، إلا أننا من خلال قراءة متأنية في هذا العصر يمكن أن نحصل على تصور كاف لذلك، فقد كان البناء المعماري للخزانة يعتمد على

(١) الترمذي:السنن، ج ٣، ص ٦٦، ح (١٣٧٦).

(٢) محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها،(ط٢، دار الفكر العربي)، ص ٩٧.

(٣) عبد الرحمن بن سليمان المزيني: الحياة العلمية في مكة والمدينة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، (مجلة مركز البحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثالث، شوال – ذو الحجة ١٤٢٣ هـ، ديسمبر – فبراير ٢٠٠٣م)، ص ١١٩.

حجم وعدد الكتب التي بها، وعدد المستخدمين لها وما إلى ذلك، وتقسم الخزانة إلى رفوف ترص عليها الكتب[١]، وكانت الكتب تصنف، وتوضع ذات المواضيع الواحدة في مكان واحد، فترص كتب الحديث، ثم تفسير القرآن، ثم تفسير الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم النحو والصرف، ثم أشعار العرب، ثم العروض، وتحفظ الكتب وخاصة المصاحف فيما يعرف بالبيوت، لحمايتها من التمزق والتلف، وكانت أغلفتها تصنع من الجلود أو القماش[٢].

ولأهمية الكتاب ومكانته العظيمة عند المسلمين، فكان التعامل معه بأصول وآداب ذكرها العلماء في كثير من مؤلفاتهم، ومن هذه الآداب: تعظيم الكتاب واحترامه تعظيماً للعلم، كما أوجبوا وضع كتب التفسير فوق سائر الكتب، وألا يوضع شيئاً آخر فوق الكتاب كالمحبرة وغيرها، وأن يستعمل الكتاب على ما خصص له [٣].

وعرفت مكة نوعين من خزائن الكتب: الأول، وهو: خزائن الكتب العامة، ومنها "مكتبة الحرم المكي الشريف"، والخاصة، وهي: ما تخص العلماء والمدارس وبعض الأربطة.

---

(١) السبكي: الفتاوى، (دار المعرفة، بيروت)، ج ٢، ص١١١؛ محمد ماهر: المكتبات، ص١٥٦.

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع، ص١٧٠، ١٧١.

(٣) ابن جماعة: تذكرة السامع ، ص ١٧٢.

- مكتبة الحرم المكي الشريف:

تعتبر مكتبة الحرم من المكتبات العامة التي تمثل منارة علم، تنير بشعاعها على العالم الإسلامي، فهي صرح شامخ، يجذب إليه محبي العلم والثقافة، وإذا تتبعنا تاريخ إنشائها نجد أن المؤرخ المكي محمد بن عبد الله الأزرقي ذكر في أخباره عن مكة، أن حول محيط أروقة المسجد الحرام يوجد خزائن بها أعداد كبيرة من المصاحف والكتب الخطية، وأن سيلاً عظيماً دخل المسجد الحرام في عام (٤١٧هـ/ ١٠٢٦م)، ووصل إلى هذه الخزائن، فأتلف كثيراً من تلك الكتب الخطية النادرة، وهذا يدل على أنه كانت بالمسجد الحرام كتب في بداية القرن الخامس الهجري[١]، وبالتالي فالأظهر أن هذه الكتب كانت موجودة قبل ذلك، وهي النواة التي تأسست منها أول مكتبة داخل الحرم المكي[٢].

أما خزائن الكتب الخاصة والتي امتلكها بعض علماء المشرق الإسلامي بعد أن استقر بمكة ومات بها، فمنها: مكتبة الشيخ أبي القاسم إبراهيم النصر آباذي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، كانت له خزانة كتب عامرة في مكة، إلا أنها تبددت بعد موته[٣].

(١) الأزرقي : أخبار مكة ، ج١، ص٣١٢. ولا نستبعد أن يكون بها كتب قبل هذا التاريخ.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٤٨٧. ٤٨٨.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص ٢٦٥.

ومن خلال ما تم بحثه في هذا الفصل يتبين لنا ما يلي:

- أن العلاقات العلمية في فترة البحث بين مكة والمشرق الإسلامي أسست حركة علمية قوية بالحرم المكي، فهذه العلاقات من رحلات العلماء المشارقة إلى مكة، والإجازات العلمية، والمراكز العلمية كانت بمثابة أساس بناء الحركة العلمية العامة التي سادت طيلة هذه الأزمنة، وتعدتها إلى يومنا هذا؛ لغرض الحج، ولطلب العلم؛ حديثاً، وفقهاً، وقراءات، وغير ذلك. كما كان منهم تجار يبتغون من فضل الله، ورحل الكثير منهم فراراً من الفتن ببلادهم، وغير ذلك.

- لم تكن الرحلة في طلب العلم مقصورة على فئة معينة من العلماء وطلاب العلم، بل كانت الرحلة لطلب صنوف العلم المختلفة.

- كانت الإجازات العلمية من طرق التبادل الثقافي بين مكة والمشرق الإسلامي، فالإجازة العلمية هي الوثيقة الخطية أو الشفهية التي يمنحها العلماء لطلابهم بعد طلب العلم عليهم. وتخول المجاز حق نقل المادة العلمية أو الرواية لحديث أو كتاب محدد.

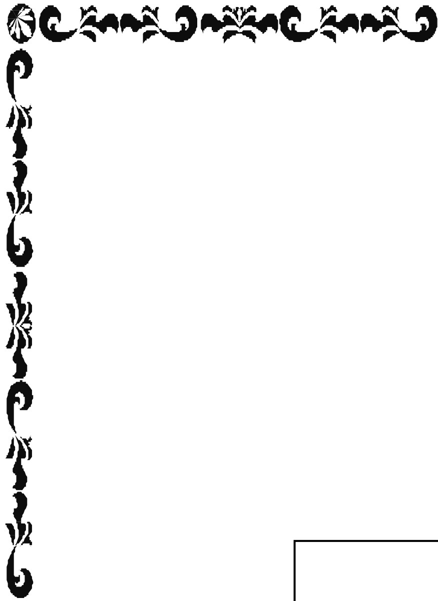
- أسهمت المراكز العلمية بمكة في تطور العلاقات العلمية بين مكة وبلاد العالم الإسلامي، وكان المسجد الحرام بمثابة مجمع علمي، ومركز جامع لعدة مراكز علمية، فقد حوى مراحل التعليم جميعها، ابتداء بالكتاتيب وختاماً بالمنتديات العلمية التي كان يتدارس فيها علماء المسلمين الذين قدموا من كل أنحاء القطار الإسلامية في مختلف العلوم.

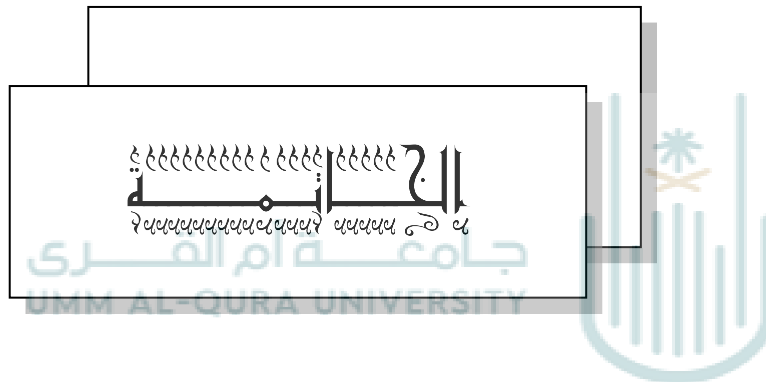
- كان لمجالس العلم في دُور العلماء دَورٌ بارز في تنشيط العلاقات الثقافية، خاصة أيام موسم الحج ، حيث كانت دور العلماء مفتوحة للراغبين في طلب العلم.

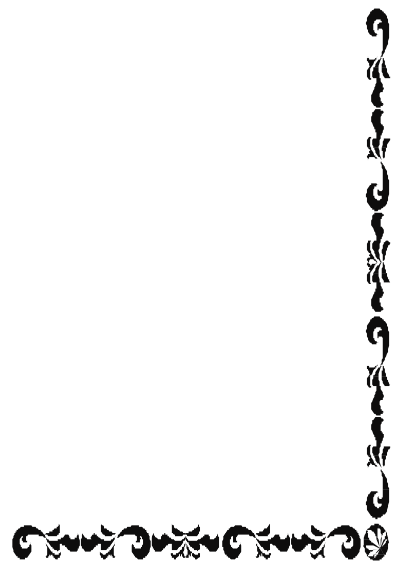
- كما ظهرت الأربطة كمراكز علمية وطدت العلاقات بين مكة والمشرق، وكانت تُؤدى فيه دروس الوعظ والإقراء والتحديث والسماع والإفتاء، ومنح الإجازات العلمية، وتصنيف المؤلفات؛ إذ شملت بعض الأربطة على مكتبات عامرة.

- كذلك أسهمت حوانيت الوراقين في تنشيط التبادل الثقافي بين مكة والمشرق الإسلامي، فقد كانت وسيلة لنقل كتب علماء مكة لبلاد المشرق. وفيها كذلك تباع كتب العلماء المشارقة للمكيين والوافدين عليها.

- وتعد خزائن الكتب "المكتبات" القاعدة الأساسية التي تستند عليها مختلف الجهود الثقافية في أي عصر من العصور، وكان المسجد الحرام هو المكان الأول بمكة الذي احتضن هذا النوع من المكتبات، فكانت خزائن الحرم المكي تحتوي على المصاحف الشريفة وعلى المؤلفات المتنوعة، كما وجد بمكة خزائن الكتب الخاصة والتي امتلكها بعض علماء المشرق الإسلامي وعلماء مكة.




الخاتمة



الخـــاتمــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد :

فأحمد الله ﷻ وأشكره على أن وفقني إلى كتابة هذا البحث، وأعانني على إتمامه ، وإنجازه، وقد توصلت من خلال دراستي لهذا الموضوع إلى **نتائج أعرض لأهمها على النحو الأتي:**

- التأكيد على حرمة مكة ، وأن فضلها كبير؛ فقد جعل الله بها الحرم الشريف أمناً وأماناً للناس.

- أبرز البحث أنه ومنذ نشوء الدولة الإسلامية، والعلم أساساً من أسسها ومن هذا المنطلق؛ نشأت العلاقات العلمية بين العلماء عند تلاقيهم، وأخذهم عن بعضهم البعض ونقاشهم وتدارسهم لكتب العلم.

- تبين من خلال الدراسة أن الموقع الديني لمكة جعلها موئلاً للعديد من الأجناس البشرية أهمها العنصر العربي المكون الأساسي لها، تليه عناصر أخرى كالموالي والمجاورين وغيرهم.

- ومن خلال استعراض أهم مظاهر الأحوال الاجتماعية في مكة أوضحت الدراسة تنوع الأطعمة في مكة نتيجة لتنوع سكانها واختلاف مشاربهم وألوانهم، كما أن المكيون تفننوا في ملابسهم، فتنوعت أشكالها وألوانها، كما تنوعت احتفالاتهم وأعيادهم.

- أوضح البحث دور العلماء ونشاطهم العلمي في المجالات العلمية المتنوعة، وأهمها العلوم الدينية: نظراً لمكانة مكة الدينية، فكانت أكثر العلوم المنتشرة في مكة. ومنها علوم القرآن؛ **و**أهمها: القراءات والتفسير. وكانت ومازالت مكة من أبرز المراكز الإسلامية التي شغف عدد من أبنائها بعلم القراءات القرآنية دراسةً وتطبيقاً.

- كما أظهرت الدراسة أن العلماء الوافدين على مكـة من مجـاورين وحجـاج من مختلف الأقطار الإسلامية كان لهم دور بارز في علم القراءات والتفسير.

- كما بينت الدراسة على أن مكة كانت من بين المدن السباقة في تدوين علم الحديث، وأنها نالت الصدارة العلمية بالنسبة لعلوم السنة النبوية، حتى أصبح علماء مكة حجة في ضبط هذا العلم، كذلك كان الأمر في الفقه وأصوله، فقد أصبحت مكة مع بداية القرن (٢هـ/٨م) من أهم المراكز العلمية في ظل وجود عدد من الفقهاء الذين تأثروا بفقه ابن عباس -رضي الله عنهما-، ونهجوا طريقته، مؤسسين بذلك مدرسة فقهية بمكة.

- أيضاً تأثر الكثير من حملة العلم بمكة بمعلميهم خصوصاً بعد ملازمتهم لهم فترة من الزمن، كالإمام الشافعي، وبمكة تتلمذ عليه فقيها أهل الحديث أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه.

- كما أظهرت الدراسة أن مكة حظيت بقسط وافر من علوم اللغة والنحو، فقد كان الشغف الكبير لدى أبناء الأقاليم الإسلامية من محبي اللغة وآدابها دافعاً إلى التوافد على مكة والتردد على بواديها لمشافهة أهلها وأخذ اللغة العربية عنهم، كما لقي الشعر اهتماماً بالغاً، وإقبالاً متزايداً، في القرنين الأول والثاني للهجرة، وكان أكثره شعر الزهد والتنسك والحرص على طلب العلم ويعود ذلك لمكانة مكة الدينية، ومنزلتها في قلوب المسلمين. كما حظي علم السير والمغازي باهتمام المكيين فأقبل الدارسون من حملة العلم المكيين وغيرهم من الوافدين على تعلم سيرة النبي المصطفى ﷺ ومغازيه.

- وفي مجال التصنيف والتدوين أكد البحث على اعتناء عدد من العلماء بتاريخ مكة، فصنفوا فيه المصنفات القيمة.

- وأظهرت الدراسة على أن مكة يجتمع بها العلماء من كل حدب وصوب خاصة في مواسم الحج والعمرة، فقد حرص علماء المشرق وطلاب العلم فيه على الوفود إلى مكة ، والالتقاء بالعلماء الموجودين فيها، والاستفادة من

علمهم، ومن ثم العودة إلى بلدانهم لنشر ما حملوه من علم خاصة الفقه والتفسير والحديث والعربية.

- وتبين من خلال الدراسة أن العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي أسست حركة علمية قوية بالحرم المكي، فهذه العلاقات من رحلات العلماء المشارقة إلى مكة، والإجازات العلمية، والمراكز العلمية، كانت بمثابة أساس بناء الحركة العلمية العامة التي سادت طيلة هذه الأزمنة، وتعدتها إلى يومنا هذا.. لغرض الحج، ولطلب العلم حديثاً وفقهاً وقراءات وغير ذلك، كما كان منهم تجار يبتغون من فضل الله، ورحل الكثير منهم فراراً من الفتن ببلادهم، وغير ذلك.

- ومن خلال دراسة العلاقات العلمية بين مكة وما حولها من الأقطار تبين أن الرحلة في طلب العلم لم تكن مقصورة على فئة معينة من العلماء وطلاب العلم، بل كانت الرحلة لطلب صنوف العلم المختلفة.

- كما بين البحث أن الإجازات العلمية والتي حرص العلماء وطلبة العلم على تحصيلها من مكة كانت طريقة من طرق التبادل الثقافي بين مكة والمشرق الإسلامي، فالإجازة العلمية هي الوثيقة الخطية أو الشفهية التي يمنحها العلماء لطلابهم بعد طلب العلم عليهم. وتخول المجاز حق نقل المادة العلمية أو الرواية لحديث أو كتاب محدد.

- وأبرزت الدراسة الدور الذي قامت به المراكز العلمية بمكة في تطور العلاقات العلمية بين مكة وبلاد العالم الإسلامي، كما أكدت على أن المسجد الحرام كان بمثابة مجمع علمي، ومركز جامع لعدة مراكز علمية، فقد حوى مراحل التعليم جميعها، ابتداء بالكتاتيب وختاماً بالمنتديات العلمية التي كان يتدارس فيها علماء المسلمين الذين قدموا من كل أنحاء القطار الإسلامية في مختلف العلوم.

- كما أكد البحث على أن مجالس العلم التي كانت تعقد في دور العلماء كان لها دور بارز في تنشيط العلاقات الثقافية، خاصة أيام موسم الحج ، حيث كانت دور العلماء مفتوحة للراغبين في طلب العلم.

- ومن خلال دراسة الأربطة بمكة تبين أنها كانت مراكز علمية وطدت العلاقات بين مكة والمشرق، فكانت تؤدى فيها دروس الوعظ والإقراء والتحديث والسماع والإفتاء، ومنح الإجازات العلمية، وتصنيف المؤلفات إذ شملت بعض الأربطة على مكتبات عامرة.

- أظهرت الدراسة النشاط الملحوظ لحوانيت الوراقين ، وكيف كانت رافد من روافد تنشيط التبادل الثقافي بين مكة والمشرق الإسلامي، فقد كانت وسيلة لنقل كتب علماء مكة لبلاد المشرق. وفيها كذلك تباع كتب العلماء المشارقة للمكيين والوافدين عليها.

- وأبرزت الدراسة دور خزائن الكتب "المكتبات، وخاصة الملحقة بالمسجد الحرام في إعانة طلبة العلم وتيسير حصولهم على المعرفة.

۞ أما عن أهم التوصيات ، فهي كالتالي:

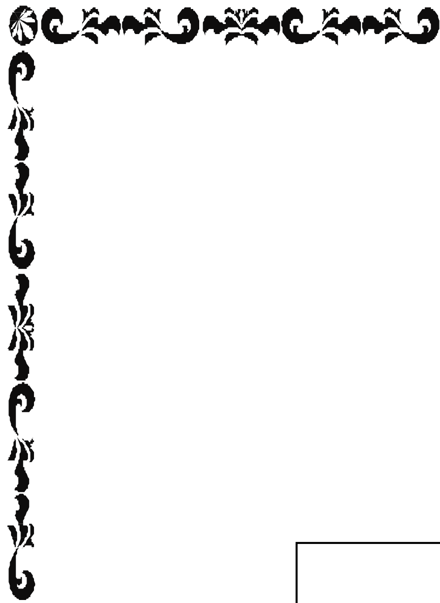
العمل على تشجيع العلاقات العلمية بين مكة والمشرق الإسلامي، وذلك من خلال إقامة المؤتمرات والندوات العلمية ، وتبادل الخبرات الثقافية.

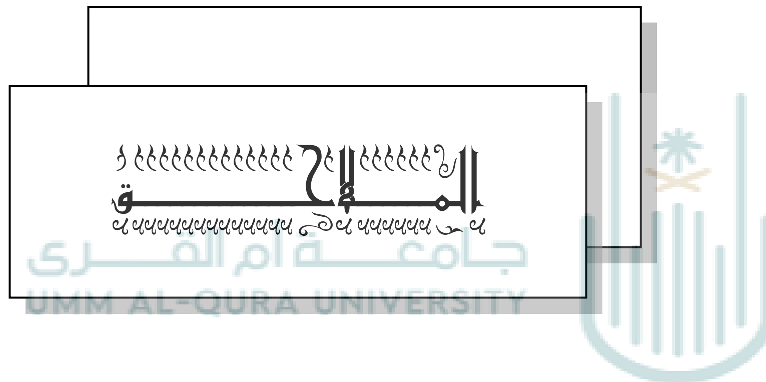
تفعيل دور الحج الريادي في التواصل الثقافي والعلمي بين مكة وأقطار المشرق الإسلامي.

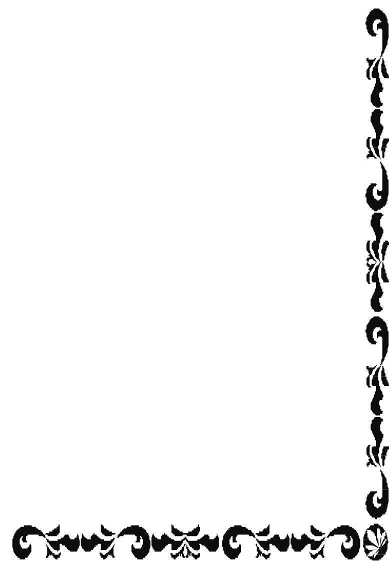
إقامة مراكز علمية تعنى بشؤون العلم والمعرفة، وبذلها لطلاب العلم ومحبيه من كافة أقطار العالم الإسلامي.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،،






الملاحق
جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY



خريطة (١) توضح موقع إمارة مكة في القرنين (٤و ٥هـ)

* المصدر: الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية

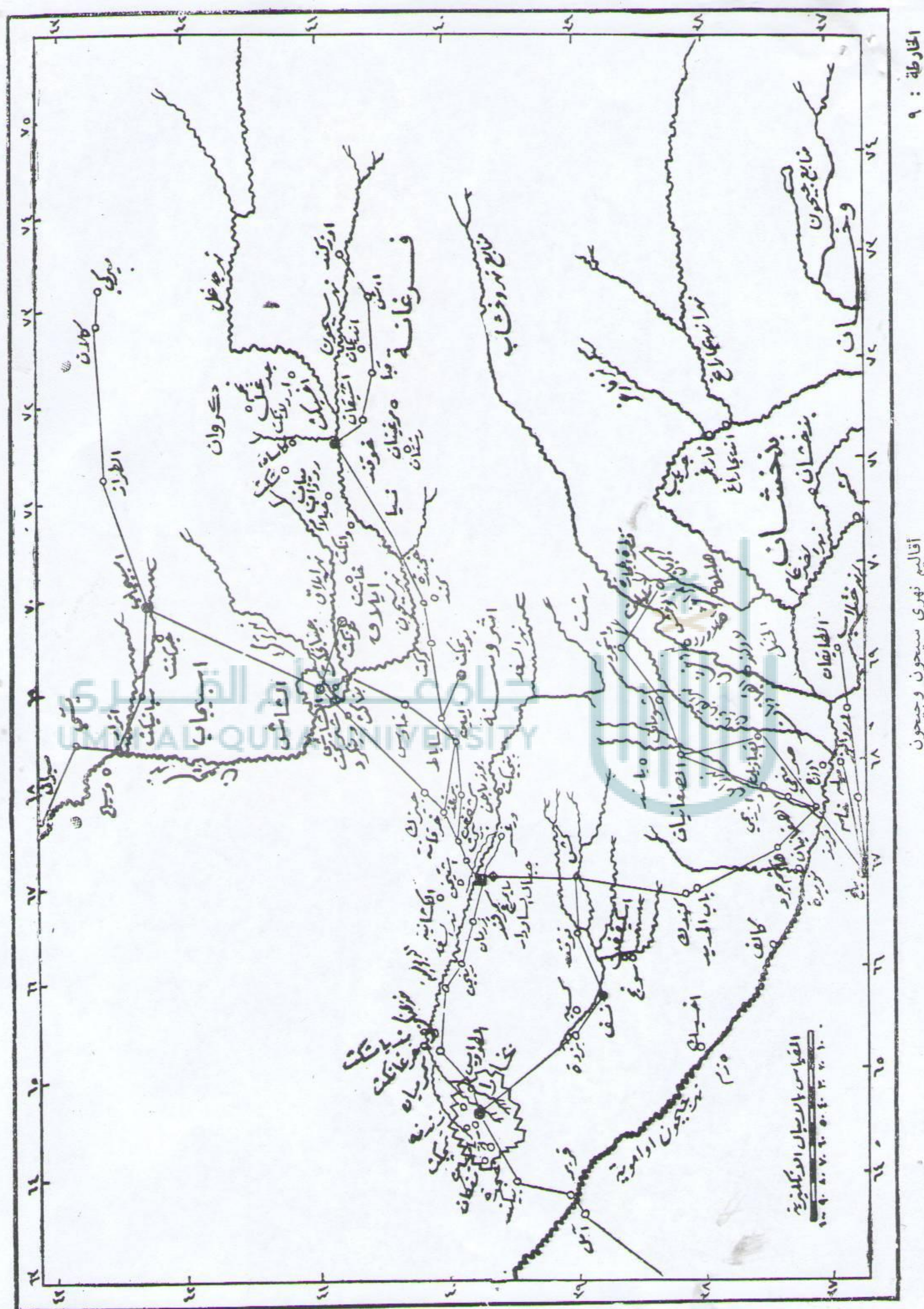
خريطة (٢) توضح طرق التجارة في الجزيرة العربية



* المصدر: الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية

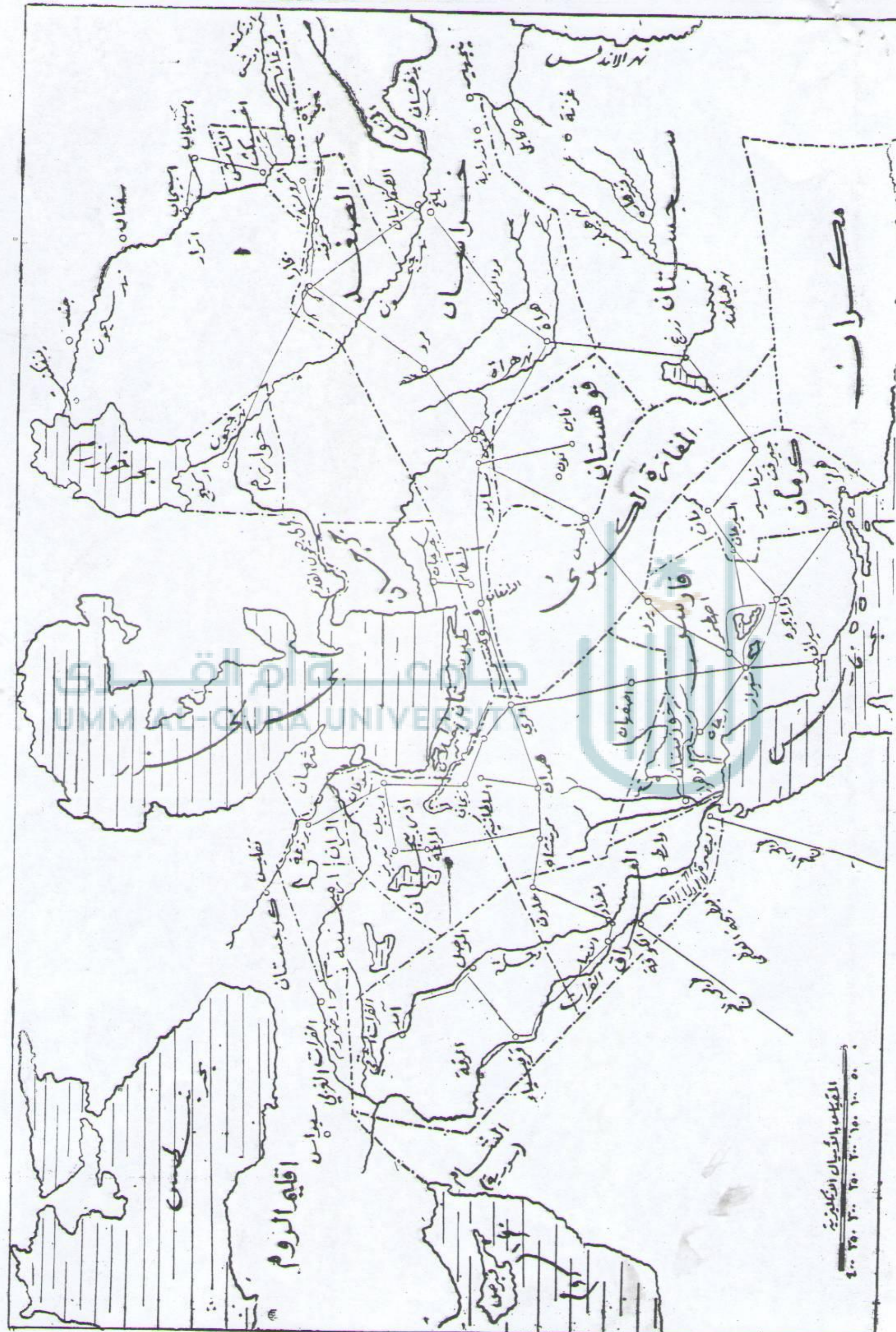
مخطط رقم (أ)

إقليم نهري سيحون وجيحون



* المصدر: كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية

مخطط رقم (ب)
إقليم خراسان وسجستان وجرجان وأزربيجان وخراسان والصفد



* المصدر: كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية

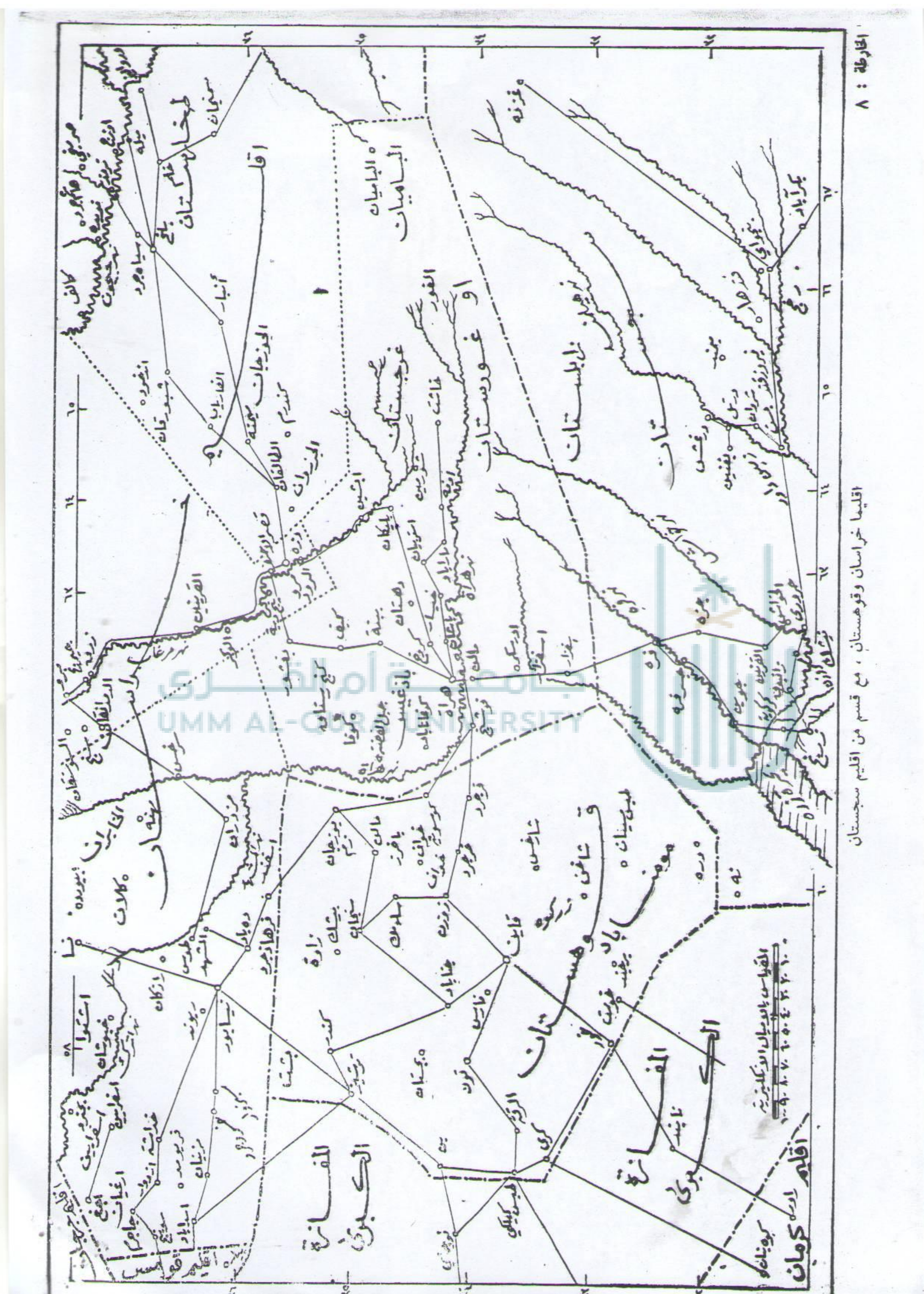
مخطط رقم (ج)
إقليما الجزيرة وأذربيجان



* المصدر: كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية

مخطط رقم (د)

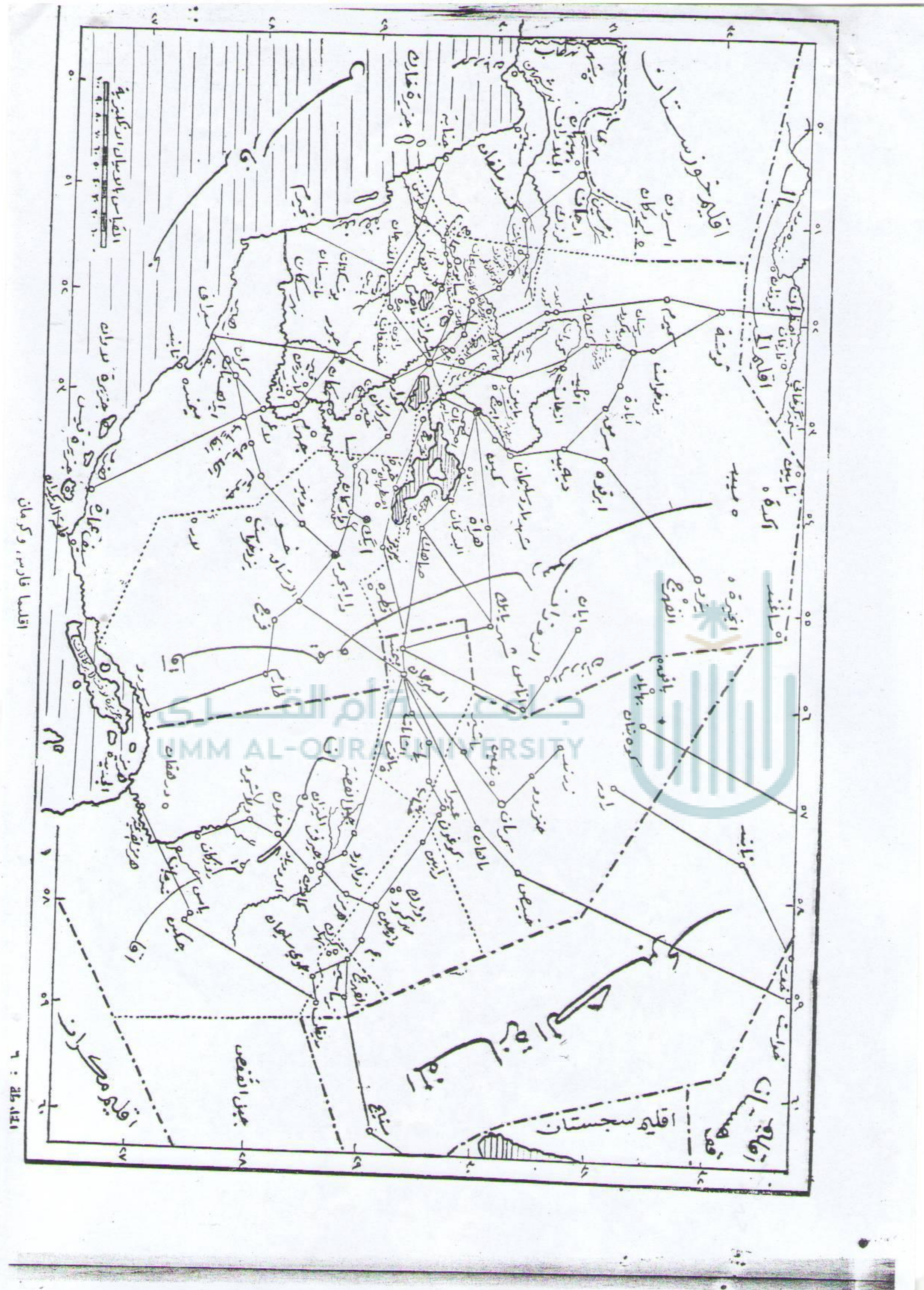
إقليم خراسان وسجستان وقوهستان



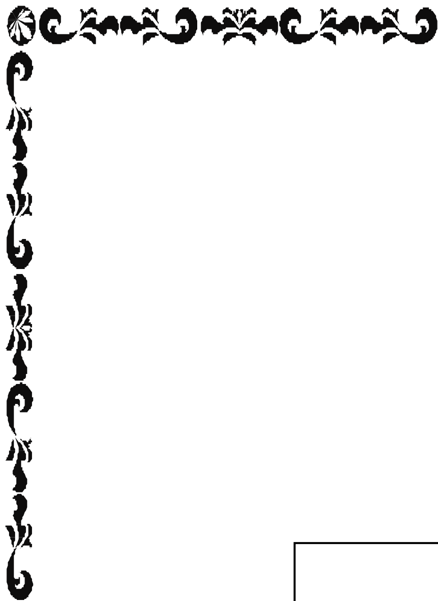
* المصدر: كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية

مخطط رقم (هـ)

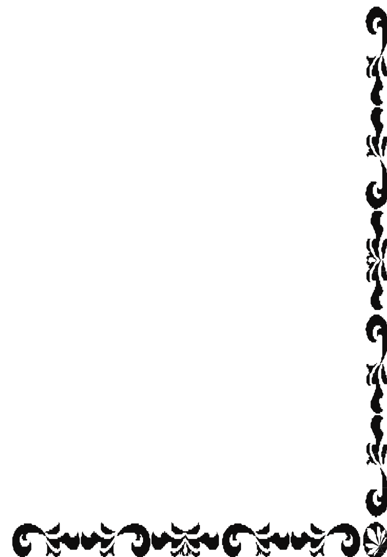
إقليما فارس وكرمان



* المصدر: كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية




الفهارس



فهرس المصادر والمراجع

أولاً: **القرآن الكريم**.

ثانياً: **المصـــادر** :

❖ ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد البغدادي (ت٢٨١هـ /٨٩٤ م).

- ذم الدنيا، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

❖ ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت ٣٢٧هـ/٩٣٨م).

- الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م، وطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١.

❖ ابن أبي يعلى، محمد بن الحسين بن خلف (ت٥٢٧ هـ /١١٣٢ م).

- طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت.

❖ ابن أعثم الكوفي: أبي محمد أحمد بن أعثم (ت بعد٣٢٠هـ/٩٣١م).

- كاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

❖ ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م).

- تكملة الصلة، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

❖ ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣٠ هـ /١٢٣٣ م).

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت.

- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٠٠م.

- الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط٣، در الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٠هـ. وطبعة : دار العارف.

❖ ابن الإخوة، محمد بن محمد بن أحمد (ت٧٢٩ هـ /١٣٢٩ م).

- معالم القربة في طلب الحسبة، دار المعارف، القاهرة.

❖ ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين (ت ٣٠٢هـ/٩١٣م).

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة.

❖ ابن الجزار القيرواني (ت٣٦٩ هـ /٩٨٠ م).

- سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر.

❖ ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد (ت٨٣٣ هـ /١٤٢٩ م).

- غاية النهاية في طبقات القراء، برجستراسر، مكتبة الخانكي، القاهرة، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م. وطبعة : دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة: علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت.

❖ ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي(ت٥٩٧ هـ/١٢٠١م).

- مناقب بغداد، تحقيق: د. زينهم محمد، د.ط، دار غريب، القاهرة. - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

- مثير الغرام الساكن إلى أشرف المساكن، تحقيق: مرزوق إبراهيم، الرياض، ط١، دار الراية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م. وطبعة: مؤسسة الكتب

الثقافية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ضبط: عبد الرحمن اللاذقي، وحياة شيحا اللاذقي، ط٢، دار المعرفة، بيروت.

❖ ابن الحاج، محمد بن محمد الفاسي (ت٧٣٧ هـ /١٣٣٧ م).

- المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها، دار الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

❖ ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (ت٦٤٣هـ/ ١٢٣٦م).

- مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، مصر، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٤م.

❖ ابن العديم، عمر بن أحمد (٦٦٠هـ/١٢٦٣م).

- بغية الطلب في تاريخ حلب، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٨م.

❖ ابن العربي، محمد بن عبد الله الأندلسي (ت٥٤٣ هـ /١١٤٨ م).

- أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.

❖ ابن العماد الحنبلي، أبي الفرج عبد الحي (١٠٨٩ هـ /١٦٧٩ م).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دمشق، دار بن كثير، ١٤٠٦هـ، وطبعة مكتبة القدسي للطباعة والنشر، القاهرة.

❖ ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٣م).

- تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م، وطبعة: تحقيق: روحية السويفي، دار الكتب العلمية،بيروت، ١٩٩٧م.

❖ ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت نحو٣٤٠ هـ/٩٥١ م).

- مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٣٠٢ هـ، وطبعة: دار صادر، بيروت. وطبعة: ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

❖ ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب (ت٦٩٠هـ/١٢٩١م).

- تاريخ المستبصر، ضبط وتصحيح: أوسكر لوففرين، طبع ليدن، ١٩٥١م.

❖ ابن المعتز، عبد الله العباسي (ت٣١٥هـ/٩٢٦م).

- طبقات الشعراء، تحقيق:عبد الستار أحمد فراج، ط٤، دار المعارف، القاهرة، وطبعة: تحقيق: صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٢م.

❖ ابن المنذر: محمد بن إبراهيم (ت ٣١٨هـ/٩٢٩م).

- الإشراف على مذاهب العلماء، ط١، دار طيبة، الرياض

❖ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق(ت٣٨٥هـ/ ٩٩٦م).

- الفهرست، ترجمة: إبراهيم رمضان، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

❖ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م).

- الصلة، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

❖ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

- رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار"، شرحه وكتب هوامشه: خلاب حرب، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

❖ ابن بكار، أبو عبد الله الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

- جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق: محمود شاكر، بيروت،١٣٨١هـ.

❖ ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

❖ ابن جبير، محمد بن أحمد (٦١٤هـ/ ١٢١٧م).

- رحلة ابن جبير، المسماة: "التذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩.

❖ ابن جريج، عبد الملك بن عبد العزيز (ت١٥٠ هـ /٧٦٧ م).

- جزء ابن جريج، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الرشيد، ط١، مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤١٢هـ.

❖ ابن جماعة، إبراهيم بن سعد الله (٨١٩هـ/١٤١٦م).

- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت. وطبعة : تحقيق: السيد محمد الندوي، رمادي للنشر.

❖ ابن حبان، محمد البستي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).

- الثقات، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- مشاهير علماء الأمصار، بعناية: مجدي بن منصور الشوري، القاهرة، ط١، ١٩٥٩م. وطبعة حققها ووثقها: مرزوق علي إبراهيم، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية. وط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م. وطبعة عنى بتصحيحها فلايشهر، دار الكتب العلمية، بيروت.

❖ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

- الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق : علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ.

- تهذيب التهذيب، حيدر أباد، ١٩٠٨م.

- تقريب التهذيب، دار الرشيد، حلب، ١٤٠٦هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م.
- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، دار السلطة السنية العثمانية ١٩٠٩م.

❖ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ /١٠٦٤ م).
- جمهرة أنساب العرب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

❖ ابن حنبل، أحمد (ت٢٤١ هـ /٨٥٥ م).
- الرد على الزنادقة والجهمية، تحقيق:حسن راشد، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٣هـ.
- العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله عباس، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت،١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢هـ/ ١٩٩٩م.

❖ ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي (ت بعد ٣٦٧ هـ /٩٧٧ م).
- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.

❖ ابن خزداذبة، إبراهيم بن محمد (ت نحو ٢٨٠ هـ /٨٩٣ م).
- المسالك والممالك، القاهرة، ط١، ١٩٦١م، مكتبة المثنى، بغداد.

❖ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨ هـ/١٤٠٦ م).
- المقدمة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة. المقدمة، طبعة دار الشعب، القاهرة، والمكتبة العصرية، بيروت.

- تاريخ ابن خلدون المسمى "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، تحقيق: خليل شحاته، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

❖ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٦٨١ هـ /١٢٨٢ م).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

❖ ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠ هـ /٨٥٤ م).

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

❖ ابن رسته، أحمد بن عمر (ت نحو ٣٠٠ هـ /٩١٢ م).

- الأعلاق النفسية، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١م.

❖ ابن رشيد، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت٧٢١هـ /١٣٢١ م).

- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجه ، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

❖ ابن سحنون: محمد بن عبد السلام (ت٢٥٦ هـ /٨٧٠ م).

- كتاب آداب المعلمين، تحقيق: محمد عبد المولى، الجزائر، مطبعة الرأي الجديد، ١٩٦٩م.

❖ ابن سعد، محمد الزهري (ت٢٣٠ هـ /٨٤٥ م).

- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، وطبعة تحقيق: محمد بن صامل السلمي، ط١، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. وط١، دار

إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. و ط٥، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧ م.

❖ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨ هـ /١٠٦٦ م).
- المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
❖ ابن شاهين، أبو حفص عمر بن أحمد (ت٣٨٥ هـ /٩٩٥ م).
- تاريخ أسماء الثقات، تحقيق: صبحي السامرائي، ط١، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
❖ ابن ظهيرة، محمد بن محمد المخزومي (ت٩٦٠ هـ /١٥٥٣ م).
- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
❖ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف (هـ٧٣٧ هـ /١٣٣٧ م).
- جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبى الأشبال الزهيري، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
❖ ابن عبد الهادي، أبو عبد الله محمد (ت ٧٤٤هـ /١٣٤٣ م).
- طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشني، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
❖ ابن عجيبة: أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي (ت١٢٢٤هـ/١٨٠٩ م).
- بحر المديد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
❖ ابن عدي، عبدالله بن الجرجاني (ت٣٦٥ هـ /٩٧٦ م).
- الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: سهيل زكار ويحيى غزاوي، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

❖ ابن عساكر، على بن الحسين بن هبة الله (ت٥٧١ هـ /١١٧٦ م).
- تاريخ دمشق الكبير، عناية: محمد الطرهوني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٧هـ.

❖ ابن فهد، عمر بن محمد بن محمد بن فهد (ت٨٨٥ هـ /١٤٨٠ م).
- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم شلتوت، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
❖ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله الدينوري (ت٢٧٦ هـ /٨٨٩ م).
- الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
- عيون الأخبار، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.
- المعارف، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
❖ ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي (ت٦٢٠ هـ /١٢٢٣ م).
- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، بيروت، ط١، دار الفكر، ١٤٠٥هـ.
❖ ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ/١٣٥٠ م).
- أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد، ط٢، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.
❖ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤ هـ /١٣٧٣ م).
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط٣، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.
- البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عمر هاشم وآخرون، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. وطبعة تحقيق: عبد الرحمن ومحمد غازي بيضون، ط١٠، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفي عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٦م.
- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠/ ١٩٩٩م.
- تقويم البلدان، دار صادر، بيروت.
- فضائل القرآن، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٦هـ.
- مناقب الشافعي، تحقيق: خليل إبراهيم خاطر، ط١، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
❖ ابن ماجه، محمد القزويني (ت٢٧٣ هـ /٨٨٧ م).
- سنن ابن ماجه، كتب حواشيه: محمود خليل،مكتبة أبي المعاطي، القاهرة.
❖ ابن معين، يحيى بن معين بن عون البغدادي (ت٢٣٣هـ/٨٤٨ م).
- تاريخ يحيى بن معين، تحقيق: عبد الله أحمد حسن، دار القلم، بيروت.
❖ ابن مفلح، أبو عبد الله محمد (ت٧٦٣ هـ /١٣٦٢ م).
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
❖ ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١ هـ /١٣١١ م).
- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، وط٣، ١٤١٤هـ، ط٤، ٢٠٠٥م.
- مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، ط١، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤ م، دار الفكر للطباعة، والنشر.
❖ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت٢١٣ هـ /٨٢٨ م).
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفي السقا، إبراهيم الأبيارى، عبد الحفيظ شلبي، ط٢، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر،١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

❖ أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ /١٠٠٤ م).
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.

❖ أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير (ت٦٠٦ هـ /١٢١٠ م).
- النهاية في غريب الأثر، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
❖ أبو الشيخ، عبد الله بن حيان (ت٣٦٩ هـ /٩٧٩ م).
- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تحقيق : عبد الغفار البندري وسيد كروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.
❖ أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد (ت نحو ٤٠٠ هـ /١٠١٠ م).
- الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م.
❖ أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥ هـ /٨٨٩ م).
- سؤالات أبي داود لأحمد بن حنبل في جرح الرواة وتعديلهم، دراسة وتحقيق: زياد محمد منصور، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.
❖ أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤ هـ /٨٣٨ م).
- الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦،١هـ/ ١٩٨٦م.
❖ الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٥٦٠ هـ /١١٦٥ م).
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، مكتبة، القاهرة. وطبعة مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

❖ الأزرقي، أبو الوليد محمد (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م).

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط٥، دار الثقافة، مكة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، وطبعة بيروت، دار الأندلس، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

❖ الأسدي، أحمد محمد المكي (ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م).

- إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، تحقيق: غلام مصطفى، ط١، دار الصحوة، ١٩٨٥م

❖ الأسنوي، جمال الدين عبد الرحمن (ت٧٧٢ هـ /١٣٧٠ م).

- طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الله الجبوري، الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. وطبعة تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

❖ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠ هـ /١٠٣٨ م).

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، بيروت. وط٥، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤١٧هـ.

❖ الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت٣٤٦ هـ /٩٥٧ م).

- المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر، دار القلم، القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م. دار صادر، بيروت.

❖ الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦هـ/٩٦٦م).

- الأغاني، دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٠م.

- مقاتل الطالبين، تحقيق: السيد أحمد صفر، دار المعرفة، بيروت.

❖ الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن (ت٥٧٧هـ /١١٨١ م).

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

❖ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل(٢٥٦هـ/٨٦٦م).
- التاريخ الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م. وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
- صحيح البخاري، دار الشعب، القاهرة،١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
❖ البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت٢٩٤هـ /٩٠٧ م).
- مسند البزار"البحر الزخار"، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٩م.
❖ البغدادى، صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٩٣م).
- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، (تحقيق: علي محمد البيجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج٣، ص ١٤٦٤.
❖ البكري، حسين بن محمد (ت ٩٦٦هـ/١٥٥٩م).
- تاريخ الخميس في أحوال نفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت ط١.
❖ البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧ هـ /١٠٩٤ م).
- معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
❖ البلاذري، أبي الحسن احمد بن يحيى (ت٢٧٩ هـ /٨٩٢ م).
- أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، دار العلمي، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م. وطبعة تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، ط١، دار الفكر، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- فتوح البلدان، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م وطبعة منشورات المطبعة الحيدرية، بغداد، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م. وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

❖ البلوي، خالد بن عيسى (ت بعد ٧٦٧ هـ /١٣٦٥ م).

- تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق:الحسن السائح، مطبعة فضالة، الرباط.

❖ البيطار، عبد الرزاق (ت١٣٣٥ هـ /١٩١٦ م).

- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، حققه: محمد البيطار، دار صادر، بيروت.

❖ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨ هـ /١٠٦٦ م).

- السنن الكبرى، ط١، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد،١٣٤٤ هـ

- شعب الإيمان، تحقيق: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

- المدخل إلى السنن الكبرى ، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

- مناقب الشافعي، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث.

❖ التجيبي، القاسم بن يوسف السبتي (ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م).

- مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ.

❖ الترمذي، محمد بن عيسى (ت٢٧٩ هـ /٨٩٢ م).

- الجامع الصحيح "سنن الترمذي"، تحقيق: إبراهيم عطوه، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م، وطبعة تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

❖ التهانوي، محمد بن علي الفارقي (ت ٢٧٩ هـ /٨٩٢ م).

- كشاف اصطلاحات الفنون، دار صادر، بيروت.
❖ الثعالبي، عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت٧٩٤ هـ /١٣٩٢ م).
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محمد الدين عبد الحميد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
❖ الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥ هـ /٨٦٩ م).
- البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي،ط١،دار صعب،بيروت، ١٩٦٨م.
- الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت،١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- رسائل الجاحظ "المعلمين"، ط٢، بيروت، مكتبة الهلال،١٩٩١م.
❖ الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين يوسف (ت٧٣٢ هـ /١٣٣٢ م).
- السلوك في طبقات العلماء والملوك، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م
❖ حاجي خليفة، مصطفي بن عبد الله (ت١٠٦٧ هـ /١٦٥٧ م).
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني في تصحيحه: محمد شريف وَرفعت الكلبي، المطبعة الحكومة، اسطنبول،١٩٤١-١٩٤٣م. وطبعة دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
❖ الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله (ت٩٠٠ هـ/١٤٩٥ م).
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان،١٩٨٤م.
❖ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر (ت٤٦٣ هـ /١٠٧٢ م).
- تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية. وطبعة المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمد رأفت سعيد، ط١، الكويت، دار الفلاح، ١٤٠١هـ /١٩٨١م.
- شرف أصحاب الحديث، تحقيق:محمد سعيد أوغلي، أنقرة،١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- الكفاية في علم الرواية، حيدر أباد، ط٢، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

❖ خليفة بن خياط، أبو عمرو (ت٢٤٠ هـ /٨٥٤ م).
- الطبقات، تحقيق : سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.

❖ الخوارزمي، أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت٣٨٧ هـ /٩٩٧ م).
- مفاتيح العلوم، تحقيق: فان فلوتن.

❖ الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (ت٢٥٥ هـ /٨٦٩ م).
- سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وَخالد السبع، ط ١، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

❖ الداودي، محمد بن علي بن أحمد (ت٩٤٥ هـ /١٥٣٨ م).
- طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

❖ دحلان، أحمد زيني (ت١٣٠٤ هـ /١٨٨٦ م).
- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام،المطبعة الخيرية،القاهرة، ١٣٠٥هـ.

❖ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ /١٣٤٨ م).
- الأمصار ذوات الآثار، تحقيق : محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، القاهرة، ١٣٦٧هـ وطبعة تحقيق: عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١١هـ.
- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سير أعلام النبلاء، مجموعة من المحققين، إشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- العبر في خبر من غير، تحقيق: فؤاد السيد، التراث العربي ، الكويت، ١٩٦١م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق : بشار معروف ورفاقه، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

❖ الرازي: ابن أبي حاتم (ت٣٢٧ هـ /٩٣٨ م).
- آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.

❖ الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت بعد ٦٦٦هـ /١٢٦٨ م).
- مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. وطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة.

❖ الرافعي، عبد الكريم بن محمد القزويني (ت٦٢٣ هـ /١٢٢٦ م).
- التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاردي، المطبعة العزيزية، حيدر أباد، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

❖ الرامهرمزي، القاضي الحسن بن عبد الرحمن (ت نحو ٣٦٠هـ /٩٧٠ م).
- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، ط٣، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م.

❖ الرشيدي، أحمد (ت١٠٩٦ هـ /١٦٨٥ م).

- حسن الصفاء والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق: علي عبداللطيف أحمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.

❖ الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسين الأندلسي (ت٣٧٩هـ /٩٨٩ م).

- طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة.

❖ الزبيدي، محمد بن محمد (ت١٢٠٥ هـ /١٧٩٠ م).

- تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.

❖ الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٣٧هـ/٩٤٩ م).

- الأمالي، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، دار الجيل، بيروت،١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

❖ الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت٧٩٤هـ/١٣٩٢ م).

- البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: محمد محمد تامر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

- البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.

❖ الزهري، محمد بن أبي بكر (ت أواسط القرن ٦هـ/ ١٢م).

- كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

❖ سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م).

- مرآة الزمان وتاريخ الأعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م. وطبعة تحقيق: جنان جليل الحموندي، الدار الوطنية، بغداد،١٩٩٠م.

❖ السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١ هـ /١٣٧٠ م).

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة،١٤١٣هـ. وطبعة دار إحياء الكتب العربية.
- فتاوى السبكي، دار المعرفة، بيروت.
- معيد النعم ومبيد النقم، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٣م.
❖ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢ هـ/١٤٩٧ م).
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانز روزنتال، ترجمة: صالح العلي، بغداد. وطبعة بعناية : المقدسي، دمشق، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة الحياة، بيروت.
❖ السلامي، زين الدين عبد الرحمن.
- شرح علل الترمذي ، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
❖ السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢ هـ/١١٦٧ م).
- آداب الإملاء والاستملاء، تحقيق: أحمد محمد عبد الرحمن، المطبعة المحمودية، ط١، ١٤١٤هـ.
- الأنساب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م
❖ السمهودي، نور الدين على بن عبد الله (ت٩١١هـ/١٥٠٦ م).
- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفي، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، القاهرة ، مطبعة السعادة.
❖ السنجاري، علي بن تاج الدين (ت١١٢٥ هـ /١٧١٣ م).

- منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: جميل عبد الله المصري وآخرين، ط١، مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م.

❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥ م).

- الإتقان في علوم القرآن، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م. وطبعة دار الندوة الجديدة، بيروت.
- الأشباه والنظائر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت. وطبعة: دار المعرفة، بيروت.
- التحبير في علم التفسير، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، حققه وراجع أصوله: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، بيروت، دار إحياء السنة النبوية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، وطبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

❖ الشافعي، محمد بن إدريس (ت٢٠٤ هـ /٨٢٠ م).

- جامع العلم، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤ م.
- الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

❖ الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد بن علي (ت٩٧٣ هـ /١٥٦٥ م).

- الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط١، دار ابن زيدون للطباعة والنشر، بيروت.

❖ الشهرستاني، محمد عبد الكريم (ت٥٤٨ هـ /١١٥٣ م).
- الملل والنحل، تحقيق: محمد بن فتح الله بدران، مطبعة الأزهر، القاهرة، ١٩٤٧م.
❖ الشيباني، أحمد بن عمرو (ت٢٨٧ هـ /٩٠٠ م).
- الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، ط١، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

❖ الشيرازي ، إبراهيم بن علي (ت٤٧٦ هـ /١٠٨٣ م).
- طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٠.

❖ الصباغ، محمد بن أحمد المالكي المكي (ت١٣٢١ هـ /١٩٠٣ م).
- تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة الحرام وولاتها الفخام، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط١، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/٢٠٠٤م.
❖ الصفدي، صلاح الدين خليل ابن أيبك (ت٧٦٤ هـ /١٣٦٣ م).
- الوافي بالوفيات، بيروت، دار التراث العربي، وطبعة دار صادر، بيروت.
❖ طاش كبرى زاده (ت٩٦٨ هـ /١٥٦١ م).
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق: كامل بكري عبد الوهاب، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة.
❖ الطبري ، محمد بن جرير (٣١٠ هـ /٩٢٣ م).

- تاريخ الأمم (الرسل) والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، روائع التراث العربي، بيروت. ودار سويدان، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م. وطبعة تحقيق: دي نوجيه، بيروت، ١٩٦٥م.
- تهذيب الآثار، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤١٦هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن "تفسير الطبري" تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

❖ الطبري، علي (ت١٠٧٠ هـ /١٦٦٠ م).
- الأرج المكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والحلفاء، تحقيق: أشرف جمال، ط١، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، ١٤١٦هـ

❖ عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي (ت٧٧٥ هـ /١٣٧٣ م).
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق: مير محمد، كتب خانه، كراتشي.

❖ العصامي، عبد الملك بن حسين(ت١١١١ هـ /١٦٩٩ م).
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، القاهرة.

❖ السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين (ت٤١٢ هـ /١٠٢١ م).
- طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين شريبة، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩م.

❖ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني (ت٨٣٢ هـ /١٤٢٩ م).
- الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: علي عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، القاهرة ، ١٩٥٦، وط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م. وطبعة ط١، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

❖ الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت٣٥٣ هـ /٩٦٤ م).

- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط٢، دار خضر، بيروت، ١٤١٤هـ.

❖ الفسوي، يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧ هـ /٨٩٠ م).

- المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ.

❖ الفيرزو آبادي مجد الدين بن يعقوب (٨١٧ هـ /١٤١٥ م).

- القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

❖ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المعزي (ت نحو ٧٧٠ هـ /١٣٦٨ م).

- المصباح المنير، تحقيق: يوسف الشيخ، ط٢، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

❖ القاضي عياض ، (ت٥٤٤ هـ /١١٤٩ م).

- تراجم أغلبية، تحقيق: محمد الطالبي، المطبعة التونسية، ١٩٦٨م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، بيروت.

❖ القزويني، زكريا بن محمد (٦٨٢ هـ /١٢٨٣ م) .

- آثار البلاد وأخبار العباد، دار المعارف، القاهرة.

❖ القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١ هـ /١٢٧٣ م).

- الجامع لأحكام القران العظيم "تفسير القرطبي"، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط٥، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، دار الكتاب العربي، بيروت. وطبعة تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

❖ القزويني، أبو يعلى الخليل بن عبد الله (ت٤٤٦ هـ /١٠٥٤ م).

- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد إدريس ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

❖ القطبي، عبد الكريم(ت ١٠١٤هـ/١٧٠٢م).

- إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، تعليق: أحمد جمال وعبد العزيز الرفاعي، ط١، الرياض، دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ.

❖ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١ هـ /١٤١٨ م).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه: محمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م. وطبعة القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة.

❖ القنوجي، صديق بن حسن (ت١٣٠٧ هـ /١٨٩٠ م).

- أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، أعده للطبع وفهرسه: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، دمشق، ١٩٧٨م.

❖ القونوي، قاسم بن عبد الله (ت ٩٧٨هـ/١٣٧٣م).

- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، تحقيق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية،١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

❖ القيرواني، أبو محمد عبد الله (ت٤١٢ هـ /١٠٢١ م).

- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ ، تحقيق: محمد أبو الأجفان، وعثمان بطيخ، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

❖ الكافيجي، محيى الدين محمد (ت٨٧٩ هـ /١٤٧٤ م).
- المختصر في علم الأثر، تحقيق: علي ذوين، دار الراشد، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م.
❖ الكتبي، محمد بن شاكر (ت٧٦٤ هـ /١٣٦٣ م).
- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.
❖ الكندي، محمد بن يوسف (ت بعد ٣٥٥ هـ /٩٦٦ م).
- ولاة مصر، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
❖ مالك، مالك بن أنس (ت١٧٩ هـ /٧٩٥ م).
- المدونة الكبرى، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت.
❖ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٦ هـ /٨٩٩ م).
- الكامل في اللغة والأدب، مكتبة النصر، الرياض، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٥م.
❖ مجهول (من مؤرخي القرن ٣هـ).
- أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
❖ المزي: جمال الدين يوسف (ت٧٤٢ هـ /١٣٤١ م).
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
❖ المسعودي، علي بن الحسن بن علي (ت٣٤٦ هـ /٩٥٧ م).
- التنبيه والإشراف.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط٤، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. وطبعة، دار الرجاء، القاهرة.

❖ مسكويه، أحمد بن محمد (ت٤٢١ هـ /١٠٣٠ م).

- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، اعتنى به، هـ. ف. آموروز، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

❖ مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١ هـ /٨٧٥ م).

- الجامع الصحيح المسمى"صحيح مسلم"، دار الجيل، بيروت.

❖ المطري، جمال الدين (ت٧٤١ هـ /١٣٤٠ م).

- تاريخ المدينة الشريفة، "التعريف بما أنست دار الهجرة من معالم دار الهجرة"، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، ط١، مكة المكرمة، مطبعة الباز.

❖ المقدسي، محمد البشارى (ت نحو ٣٨٠ هـ /٩٩٠ م).

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، مطبعة بريل، ليدن،١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م. وطبعة تحقيق: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٧م.

❖ المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥ هـ /١٤٤١ م).

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، ط٢، تحقيق: محمد زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٧م.

- الخطط، "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"، مكتبة دار الثقافة الدينية، القاهرة.

❖ المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي (ت٦٥٦ هـ /١٢٥٨ م).

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تصحيح: مصطفي محمد عمارة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

❖ ناصر خسرو، ناصر علوي (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م).
- سفرنامة "رحلة ناصر خسرو القيادياني"، ترجمة: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠م، وطبعة ترجمة: أحمد خالد البدلي، ط١، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض،١٩٨٣م.
❖ النسفي: عمر بن محمد (ت٥٣٧ هـ /١١٤٢ م).
- القند في ذكر علماء سمرقند، تحقيق: نظر محمد القرياني، ط١، مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
❖ النهرواني، قطب الدين محمد بن أحمد الحنفي (ت٩٨٨هـ /١٥٨٠ م).
- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، مصر، المطبعة العامرة العثمانية، ١٣٠٣هـ، وطبعة تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، إشراف: سعيد عبد الفتاح، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
❖ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (٦٧٦هـ/١٢٨٨م).
- الإيضاح في مناسك الحج والعمرة، مكتبة انس بن مالك، مكة المكرمة، ط٤، ١٤١٧هـ /١٩٩٦ م.
- تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
❖ الهمدانى، أبو محمد الحسن بن علي (ت٣٣٤ هـ /٩٤٥ م).
- الجوهرتان العتيقتان المائعتان، الصفراء والبيضاء، أعده للنشر: حمد الجاسر، الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٦م.
- صفحة جزيرة العرب، تحقيق: محمد على الأكوع، طبعة بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
❖ الواسطي، أسلم بن سهل الرزار (ت٢٩٢ هـ /٩٠٥ م).

- تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
❖ ابن الديبع ، وجيه الدين عبد الله بن عبد الرحمن (ت٩٤٤هـ/١٥٣٧ م).
- بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمنى، ١٩٧٩م.
❖ وكيع، أبو بكر محمد بن خلف البغداي (ت٣٠٦ هـ /٩١٨ م).
- أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية، مصر، ط١، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.
❖ اليافعي، عبد الله بن أسعد المكي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
❖ ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ /١٢٢٩ م).
- معجم الأدباء، دار المستشرق، بيروت.
- معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م. وطبعة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م. وطبعة تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
❖ اليعقوبي، أحمد بن جعفر بن واضح (ت بعد ٢٩٢ هـ /٩٠٥ م).
- تاريخ اليعقوبي "تاريخ البلدان"، النجف، ١٨٩١م، وطبعة مع كتاب الأعلاق النفسية لابن رسته، ليدن، ١٨٩١م. وطبعة تحقيق: محمد أمين حناوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.

ثانياً: المراجع :

❖ إبراهيم القادري بوتشيش.

- العلماء المجاورين بمكة نموذج للملتقيات العلمية بمكة عاصمة الثقافة الإسلامية في العصر الوسيط، بحث ألقي بندوة الحج الكبرى عام ١٤٢٣هـ.

❖ إبراهيم أيوب.

- التاريخ الفاطمي السياسي، العالمية للكتاب، لبنان، ١٩٩٨م.

❖ إبراهيم بن عبد العزيز الجميع.

- النشاط العلمي في مكة والمدينة خلال مواسم الحج في العصر الأموي"٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م"، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ.

❖ إبراهيم بن محمد المزيني.

- الحياة العلمية في العهد الزنكي دراسة في الازدهار العلمي عند المسلمين، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

❖ إبراهيم فوزان الفوزان.

- إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٩هـ.

❖ إبراهيم مصطفى.

- المعجم الوسيط ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، طباعة دار الدعوة ، القاهرة.

❖ أحمد الإسكندري ومصطفي عثمانز
- الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف، مصر.
❖ أحمد الحضراوي.
- العقد الثمين في فضائل البلد الأمين، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية.
❖ أحمد الشريف.
- مكة والمدينة، القاهرة، دار الفكر العربي.
❖ أحمد أمين
- فجر الإسلام، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩م.
❖ أحمد باشا تيمور.
- المذاهب الفقهية الأربعة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٨م.
❖ أحمد بن محمد الخلال.
- الحث على التجارة والصناعة والعمل، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٠٧هـ.
❖ أحمد بن محمد السباعي.
- تاريخ مكة "دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران"، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م.
❖ أحمد سعيد.
- أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، بيروت، دار الشرق الجديدة.
❖ أحمد شلبي.
- التربية الإسلامية "نظامها فلسفتها تاريخها"، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٦، ١٩٧٨م.

- تاريخ التربية، ط٦، ١٩٧٨م، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
-موسوعة النظم والحضارة الإسلامية "التربية نظامها، فلسفتها، تاريخها"، ط٦، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م.
❖ أحمد عبد الباقي.
- من أعلام العلماء العرب في القرآن الثالث الهجري، سلسلة التراث القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، الإسكندرية.
❖ أحمد عمر الزيلعي.
- مكة وعلاقاتها الخارجية "٣٠١هـ -٤٨٧ هـ"، ط١، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض،١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
❖ أحمد فؤاد الأهواني.
- التربية في الإسلام دراسات في التربية، ط١، القاهرة، دار المعارف. وطبعة دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٥م.
❖ أحمد هاشم بدرشين.
- مكة والمدينة في القرنين السابع والثامن الهجريين في كتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين "دراسة مقارنة"، ط١، مركز البحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
❖ آدم متز.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الكتاب العربية، بيروت.
❖ الألباني، ناصر الدين.
- الترغيب والترهيب مكتبة المعارف، الرياض.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة، الرياض.
- صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض.
- مشكاة المصابيح، الرياض.

❖ إلهام البابطين.
- الحياة الاجتماعية بمكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي، ط١، الرياض، ١٤١٩هـ.
❖ أمال رمضان عبد الحميد.
- الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، القاهرة، قرطبة للنشر، ١٤٢٢هـ.
❖ أمير علي.
- مختصر تاريخ العرب، ط٥، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.
❖ أنستاس الكرملي.
- النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧م.
❖ بكر بن عبد الله أبو زيد .
- خصائص جزيرة العرب، جدة، دار ابن الجوزي: ١٤١٢ هـ.
- معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ.
❖ البلد الحرام فضائل وأحكام، كلية الدعوة وأصول الدين "جامعة أم القرى"، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٤هـ.
❖ تاج السراج أحمد حران.
- العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، ط٣، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
❖ تامر محمد عبد الرحمن رمضان.

- الاتصال العلمي في التراث الإسلامي من صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

❖ جميل حرب حسين.

- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، ط١، دار تهامة، جدة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

❖ حجازي حسن طراوه.

- دور الحج في إثراء الحركة العلمية في الحرمين الشريفين في عهد الراشدين والأمويين، ط١، مكتبة زهراء الشرف، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

❖ حسن إبراهيم حسن.

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،ط١٣، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ /١٩٩١م.

- تاريخ الدولة الفاطمية، ط٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨١م.

❖ حسن أحمد محمود وَأحمد إبراهيم الشريف.

- العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط٥، دار الفكر العربي، القاهرة.

❖ حسين حمادة.

- تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧م.

❖ حسين عبد العزيز شافعي.

- الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع مؤسسة مكة والمدينة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

❖ حسين مؤنس.

- تاريخ قريش، ط١، جدة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

❖ حمد الجاسر.

- أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ط١، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٨م.

❖ خالد محسن الجابري.

- الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

❖ خليل إبراهيم ملا خاطر.

- مكانة الحرمين الشريفين عند المسلمين، جدة، دار القبلة الإسلامية، ط١، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

❖ خليل داود الزرو.

- الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩١٨م.

❖ خير الدين محمود الزركلي.

- الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

❖ راشد سعد راشد القحطاني.

- أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

❖ رشاد بن عباسي معتوق.

- الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي"٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-٨-١٠٥م" ط١، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

❖ رضوان أحمد الليث.

- دراسات في تاريخ دول المشرق الإسلامي في العصر العباسي، مكتبة الإحسان، صنعاء، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٩م.

❖ زكى عابدين غريب.

- الحياة الأدبية في مكة في القرن الأول الهجري، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م

❖ سامح عبد الرحمن فهمي.

- المكاييل في صدر الإسلام، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ/١٩٨١.

❖ ستائلي لين بول.

- الدول الإسلامية، ترجمة : محمد صبحي فزرات، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

❖ سعد مرسي أحمد.

- تاريخ التربية والتعليم،عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٨م.

❖ سعيد إسماعيل.

- معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.

❖ سعيد الأفغاني.

- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، الطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٣٧م.

❖ سعيد الخوري الشرتوي.

- أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، دار الأسوة للطباعة والنشر.

❖ سعيد عبد الفتاح عاشور.
- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م.
- مصر في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
❖ سعيد عبد الله القحطاني.
- تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة التاسع والعاشر للميلاد، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٤ هـ.
❖ سليمان عبد المغني المالكي.
- بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٣م.
❖ سهيل زكار.
- أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن، دار الكوثر، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
❖ السيد عبد العزيز سالم.
- دراسات في تاريخ العرب "العصر العباسي"، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
❖ سيدة إسماعيل كاشف.
- مصر في عهد الإخشيديين، القاهرة، ١٩٥٠م.
❖ شاكر خصاك.
- كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٩م.
❖ شعبان محمد إسماعيل.

- التشريع الإسلامي ومصادره وأطواره، ط١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
❖ شوقي ضيف.
- تاريخ الأدب العربي "العصر العباسي الأول".
- تاريخ الأدب العربي "عصر الدول والإمارات . الجزيرة العربية، والعراق، وإيران" دار المعارف، مصر.
- الشعر والغناء في المدينة ومكة لعمر بني أمية، ط٤، دار المعارف، القاهرة.
❖ صالح أحمد العلي.
- تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م
- الحجاز في صدر الإسلام دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م
- الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في خُراسان.
- المعالم العمرانية في مكة المكرمة.
❖ صالح بن عبد الرحمن.
- الوقف في الإسلام، ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤٢٠هـ.
❖ صبحي الصالح.
- علوم الحديث ومصطلحه، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.
❖ ضيف الله بن يحيى الزهراني.
- زيف النقود الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
❖ طرفة بن عبد العزيز العبيكان.
- الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

❖ عاتق البلادي.

- معجم معالم الحجاز، دار مكة، مكة، ١٤٠٣هـ.

❖ عارف عبد الغني.

- نظم التعليم عند المسلمين، دار كتان، دمشق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

❖ عاصم محمد رزق.

- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

❖ عائشة عبد الله باقاسي.

- بلاد الحجاز في العصر الأيوبي، ط١، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

❖ عبد الحليم منتصر.

- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ط١٠، دار المعارف.

❖ عبد الحي الكتاني.

- التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت.

❖ عبد الرحمن أحمد فهمي.

- النقود العربية ماضيها وحاضرها، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية.

❖ عبد الرحمن حميدة.

- أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من أثارهم، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٨٤م.

❖ عبد الرحمن صالح عبد الله.

- تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ط١، دار الفكر، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م.

❖ عبد الستار إبراهيم الهيثمي.

- الوقف ودوره في التنمية، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
❖ عبد الستار الشيخ.
- عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م.
❖ عبد العزيز الهلابي.
- الحركة العلمية بمكة في العصر الأموي، الدارة، ربيع الأخر، جمادى الأول وجمادى الآخر، ١٤١٤ هـ.
❖ عبد العزيز بن راشد السنيدي.
- الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
❖ عبد العزيز بن محمد اللميلم.
- رسالة المسجد في الإسلام، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية وأثره في قيام مدينة سامراء، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- وضع الموالي في الدولة الأموية، ط١،جمعية عمال، الأردن ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
❖ عبد الغني حمادة.
- تاريخ مكة المكرمة، المطبعة السورية، حلب، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.
❖ عبد الغني عبود.
- التعليم مدى الحياة في الإسلام، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٧م.
❖ عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش.

- الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولها، ط٣، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م.

❖ عبد الله السيف.

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

❖ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام.

- علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٨٩٨هـ.

❖ عبد الله فياض.

- الإجازات العلمية عند المسلمين بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٧م.

❖ عبد الله قاسم الوشلي.

- المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلق العلمية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

❖ عبد الله محمود حسين.

- الدور الثقافي في الركب الحج، مجلة الحجة، سنة ٤٩، شعبان، ١٤١٦هـ.

❖ عبد الله منسي السعد العمري.

- تاريخ العلم عند العرب، الأردن.

❖ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.

- الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به، دراسة تاريخية ميدانية، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

❖ عبد الوهاب أبو سليمان.
- الحرم الشريف الجامع والجامعة، نادي مكة الثقافي الأدبي.
❖ عدي يوسف مخلص.
- المقدسي البشاري، حياته ومنهجه، ط١، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٩٣هـ.
❖ عصام الدين عبد الرءوف الفقي.
- الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
❖ عطية القوصي.
- تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٩٤م.
❖ على بن حسين السليمان.
- النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢،١٤٠٠هـ /١٩٨٠م.
❖ علي بن إبراهيم النملة.
- الوراقة وأشهر أعلام الوراقين، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
❖ علي بن الحسين السليماني.
- العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م.
❖ علي بن محمد بن سعيد الزهراني.

- الحياة العلمية في صقلية الإسلامية "٢١٢-٤٨٤هـ/ ٨٢٦-١٠٩١م"، مكة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامية،١٤١٧هـ/ ١٩٩٠م.

❖ علي محمد الصلابي.

- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – شخصيته وعصره، ط١، مكتبة الصحابة، الشارقة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

❖ عمر أفا.

- النقود المغربية في القرن الثامن عشر – أنظمتها وأوزانها– الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

❖ عمر رضا كحالة.

- التاريخ والجغرافيا في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م

- جغرافية شبه الجزيرة العربية، راجعه وعلق عليه : أحمد علي، ط٢، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

- معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ عمر عبد الجبار.

- دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، ط١، دار ممفيس للطباعة مصر،١٣٩٠هـ.

❖ عمر فروخ وَماهر عبد القادر حلاق.

- تاريخ العلوم عند العرب ، دار النهضــة ، بيروت ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

❖ غيثان بن علي جريس.
- دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري، ط١، نادي مكة الثقافي والأدبي، ١٤٢هـ/ ٢٠٠٤م.
❖ فرنارد توتل.
- المنجد في الأعلام، تحرير: لويس عجيل وآخرون، ط٢٥، دار الشرق، بيروت، ١٤٩٣هـ/ ٢٠٠٢م.
❖ فؤاد سزكين.
- تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازى، مراجعة: عرفة مصطفي وَسعيد عبد الرحيم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. وطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
❖ فؤاد محمد الصقار.
- دراسات في الجغرافيا البشرية، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٥م.
❖ فواز الدهاس.
- الوقف مكانته وأهميته الحضارية، ندوة مكانة الوقف وأثرة في الدعوة والتنمية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.
❖ كرستيان سنوك هوخرونيه.

- صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة: على عودة الشيوخ، صياغة وتعليق: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، وراجعه محمد إبراهيم علي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

❖ كي لسترنج.
- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير أنيس وآخرون، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

❖ ليلى عبد المجيد.
- التنظيمات في مكة.

❖ محمد أبو زهرة.
- تاريخ الجدل، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤م.

❖ محمد أديب غالب.
- من أخبار الحجاز ونجد من تاريخ الجبرتي، دار تهامة للنشر والترجمة، الرياض، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

❖ محمد الحسيني عبد العزيز.
- الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، ط١، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت.

❖ محمد سلام مدكور.
- القضاء في الإسلام.

❖ محمد السيد حسين الذهبي.
- التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.

❖ محمد السيد الوكيل.
- الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، ط٢، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م.

❖ محمد الطحان.
- أصول التخريج ودراسة الأسانيد، الرياض، مكتبة المعارف.
❖ محمد محمد حسن شراب.
- تأريخ الكتابة وتدوين العلم في العصر الجاهلي والقرن الهجري الأول ، ط١، دار الصديق، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
❖ محمد محمد عبد القادر الخطيب.
- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ط١، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
❖ محمد محمود محمدين وطه عثمان الفراء
- المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، (دار المريخ، ط٤، ١٤٢٢هـ.
❖ محمد المنوني.
- العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط٢، دار المغرب، الرباط، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
❖ محمد بن عبد الرحمن الحبشي.
- نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف، ط١، دار المنهاج، جدة، ١٩٩٧م.
❖ محمد بن عبد الله الخضيري.
- تفسير التابعين "عرض ودراسة مقارنة"، ط١، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
❖ محمد جمال الدين سرور.
- سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م.
- النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٦م.

❖ محمد حبيب الهيلة.
- التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، "جمع وعرض وتعريف"، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٤م.

❖ محمد حسن العمادي.
- التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن الرابع الهجري، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، إربد.
❖ محمد ضياء الدين الريس.
- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.
❖ محمد طاهر الكردي.
- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ط١، بيروت، دار خضر، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
❖ محمد عبد الرحمن الشامخ.
- التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، ط٢، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
❖ محمد عبد المنعم خفاجي.
- تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
❖ محمد عجاج الخطيب.
- أصول الحديث علومه ومصطلحه، ط١٠، دار المعارف، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م.
❖ محمد عطية الأبراشي.

- التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط٢، دار الفكر العربي.

❖ محمد علي السايس.

- تاريخ الفقه الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م.

❖ محمد كرد علي.

- الإسلام والحضارة العربية، دار الكتب العصرية، ١٣٥٣هـ/١٩٧٤م.

❖ محمد كمال عز الدين.

- الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، ط١، القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠ هـ.

❖ محمد ماهر حمادة.

- المكتبات في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

❖ محمد محمود العناقرة.

- الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

❖ محمد مكية.

- بغداد، دار الوراق للنشر، لندن، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

❖ مريزن عسيري.

- الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- تعلم الطب في المشرق الإسلامي، نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري، معهد البحوث العلمية، مكة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

❖ مصطفى الخطيب.

– معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

❖ مناع القطان.

– تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

❖ منير الدين أحمد.

– تاريخ التعليم عن المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة: سامي الصقار، دار المريخ، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

❖ منيرة بنت عبد الملك بن دهيش.

– دور المسجد في القرن الأول الهجري في الشام، ط١، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

❖ موريس ديمومبين.

– النظم الإسلامية، ترجمة: صالح الشماع وفيصل السامر، بغداد، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

❖ موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري وآخرون، عالم الكتب ، ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.

❖ موسوعة الفقه الإسلامي المقارن، القاهرة، وزارة الأوقاف.

❖ موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، إعداد: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، المجلد الثاني، ١٤١٣ هـ.

❖ ناجي معروف.
- أصالة الحضارة العربية،، بيروت، ط، دار الثقافة، ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م.
- عروبة العلماء المنسوبيين إلى البلدان الأعجمية في خراسان، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

❖ ناصر بن علي الحارثي.
- الآثار الإسلامية في مكة المكرمة، الرياض، ط١، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
❖ ناصر عقيل الطريفي.
- تاريخ الفقه الإسلامي، ط١، شركة العبيكان، الرياض، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
❖ ناصر محمد عبد الرحمن.
- الاتصال العلمي في التراث الإسلامي من صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي، تقديم: حشمت قاسم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
❖ هدى فهد محمد الزويد.
- التطور التاريخي للأسرة في الحجاز في القرنين الأول والثاني الهجريين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٨هـ.
❖ وهبي سليمان غاوجى.
- من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الأول، مكتبة التربية العربية لدول الخليج.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

❖ إلهام أحمد بن عبد العزيز البابطين.

- الحياة الاقتصادية في بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٧هـ .

❖ إلهام محمد هاشم الدجاني.

- تاريخ الحج من عهد الرسول حتى نهاية العصر العباسي الأول سنة "٢٣٢هـ/ ٨٤٣م"، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جدة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ أمال رمضان عبد الحميد.

- الحياة العلمية في مكة، رسالة دكتوراه غير منشورة، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦ م.

❖ بندر محمد رشيد الهمزاني.

- علاقات مكة المكرمة الخارجية في عهد أسرة الهواشم، رسالة ماجستير، غير منشورة ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، جامعة أم القرى.

❖ خيرية محمد آل سنة.

- الحياة العلمية في مكة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ.

❖ سعد بن عبد الرحمن العبيسي.

- الحالة السياسية في الحجاز خلال العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية العلوم الاجتماعية.

❖ سليمان كمال.

- إمارة الحج في العصر العباسي من سنة "١٣٢ إلى ٢٤٧هـ"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

❖ الصافي عبد العليم النجار.

- الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في خراسان في العصر السلجوقي الثاني "٤٨٥ – ٥٩٠هـ"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

❖ عائشة عبد الله عمر باقاسي.

- مكة والمدينة في منتصف القرن الرابع حتى منصف القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

❖ عبد الحفيظ بن حمدي السالمي.

- الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي "٦٤٨ . ٩٢٣هـ" ، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الشريعة ، قسم الدراسات العليا التاريخية الحضارية، جامعة أم القرى، ١٤٢٤هـ . ١٤٢٥هـ.

❖ عبد الرحمن أحمد حفظ الدين المصنف.

- الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

❖ عبد الله بن صالح الرقيبة.

- الحج إلى مكة المكرمة– دراسة جغرافية، لمنطقة الحج وأعداد الحجاج، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ.

❖ عبد الودود مسلم الرحيلي.

- مكة المكرمة في العصر الأموي "٤١-١٣٢هـ /٦٦١-٧٥٠م"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، تموز/٢٠٠٥ م.
❖ عبد الرحمن أبو الخيور .
- تحقيق كتاب: بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، "من ٩١٠ هـ - ٩٢٢هـ" العز بن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى،١٤٢٢هـ.
❖ عطية طه عبد العزيز.
- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الحجاز من القرن الثالث حتى منتصف القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه في الآداب، غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
❖ فاطمة حمدان حمود اليماني.
- الحياة السياسية والثقافية في مكة والمدينة المنورة في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم التاريخ كلية التربية للبنات، جدة، ١٤٠٥هـ.
❖ فائقة إدريس عبد الله.
- التفسير في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ.
❖ فريال عبد المجيد الشريف.
- مكة المكرمة في كتب الرحالة المسلمين منذ القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
❖ محمد الفاجالو.

- الحياة العلمية في نيسابور خلال الفترة "٢٩٠ - ٥٤٨هـ / ٩٠١- ١١٥٣م"، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
❖ محمد حسن الحارثي.
- الثغور البحرية الحجازية من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي، رسالة ماجستير، غير منشورة، مكة المكرمة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، ١٤٢٢ هـ
❖ مشعل نايف الدهاس.
❖ - الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة ماجستير، غير منشورة، مكة المكرمة، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
❖ منى حسن المشاري.
- المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي "٦٤٨. ٩٩٢هـ/ ١٢٥٠ . ١٥١٧م"، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
❖ منيرة داوود العلي.
- الحياة العلمية في دمشق "٣٥٩-٥٩٤هـ / ٩٦٩-١١٥م"، رسالة دكتوراه،جامعة الملك سعود، الرياض ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م.
❖ نادية بن عبد الصمد مقلية.
- إقليما الري والجبال في العصر البويهي "٣٣٠- ٤٢٠هـ/ ٩٤٢ - ١٠٢٩م" دراسة سياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
❖ نجلاء قاسم الصباغ.

- بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير في الآداب، غير منشورة، جامعة القاهرة، سنة ١٩٦٩م

❖ هدى بنت جبير السفياني.

- الحياة العلمية في الري وإقليم الجبال في العصر البويهي"٣٣٠/ ٤٢٠هـ -٩٤١م/١٠٢٩م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإسلامية قسم التاريخ والحضارة، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.



رابعاً: الدوريات والمجلات:

❖ أبو بكر أحمد باقادر وَحسين محمد بافقيه.
- الحج ومكة المكرمة في كتابات المكيين، بحث منشور في مجلة التجديد، السنة السادسة، أغسطس، ٢٠٠٢م، جمادى الأولى، ١٤٢٣هـ، العدد الثاني عشر، الجامعة الإسلامية، ماليزيا.

❖ إسماعيل حافظ.
- أسماء مكة ، مجلة الدارة، س٤، ع٤، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م.

❖ أميرة مداح.
- دور المجاورين في إثراء الحركة العلمية بمكة المكرمة خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، جامعة أم القرى.

❖ أمينة أحمد حسن
- رسالة المعلم في الإسلام، بحث مقدم إلى مؤتمر المناهج التربوية والتعليمية، القاهرة، ٢٩-٣١ يوليو، ١٩٩٠م.

❖ بندر محمد الهمزاني.
- أثر السلاطين والأمراء والأعيان في تنشيط الحركة العلمية في مكة في القرنين السابع والثامن الهجريين، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية، العدد العشرون، ١٤٢١هـ/٢٠٠١.

❖ حاتم بن عارف العوني .
- بيان الحد الذي ينتهي عنده أهل الاصطلاح والنقد في علوم الحديث، بحث مقدم لندوة علوم الحديث علوم وآفاق ، جامعة أم القرى.

❖ حسين الكساسبة.

- معلمو الكتاتيب في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري "مكانتهم الاجتماعية"، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد، مجلد ٢٤، شباط/ ١٩٩٧م، شوال/ ١٤١٧هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية.

❖ حسين سيد عبد الله مراد.

- المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين"٥٦٧ . ٦٤٨هـ/ ١١٧١ . ١٢٥٠م"، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٣٨، ١٩٩١ . ١٩٩٥م.

❖ حميدان بن عبد الله الحيدان.

- المراكز العلمية ومشاهير الفقهاء خلال عصر التابعين "الحجاز"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الملك عبد العزيز،جدة، المجلد الخامس، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.

❖ ريتشاد مورتيل.

- مصادر التموين الغذائي لإمارة مكة المكرمة "٣٥٨هـ/ ٩٢٣م"، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد ١٢، العدد الأول، ١٩٨٥م.

❖ سليمان بن صالح القرعاوي.

- مكة المكرمة إعجاز موقعها وحرمتها و منزلتها وتوسعتها، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، عدد خاص بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م.

❖ عباس حلمي.

- المدارس الإسلامية ودور العلم وعمرتها، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، العدد الثالث، السنة الثالثة، ١٣٩٨م.

❖ عبد الرحمن السنيدي.
- التأديب والتسقيف الموجه نحو الخلفاء العباسين وأبنائهم في مرحلة ما قبل العهد البويهي "٢٧٩ – ٣٣٤هـ" ، مجلة العصور، المجلد الثاني عشر،ج١ ، شوال ١٤٢٢هـ/ يناير ٢٠٠٢م، دار المريخ للنشر ، لندن.
❖ عبد الرحمن الفريح.
- العرب في خراسان وبلاد ماوراء النهر في العصر الأموي، مجلة الدرعية، العدد الأول، محرم ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٩٨م.
❖ عبد الرحمن بن سليمان المزيني.
- الحياة العلمية في مكة والمدينة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، مجلة مركز البحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثالث، شوال – ذو الحجة ١٤٢٣ هـ، ديسمبر – فبراير ٢٠٠٣م.
❖ عبد العزيز بن راشد السنيدي.
- أثر الأوضاع البيئية على الحياة الاجتماعية في مكة منذ بداية القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري "دراسة تاريخية حضارية"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٩، العدد ٤٠، ربيع الأول ١٤٢٨ هـ.
❖ عبد العزيز صالح الهلابي.
- الأسواق في مكة حتى نهاية العصر الأموي، بحث منشور في مجلة العرب، الرياض، دار اليمامة.
❖ عبد اللطيف بن دهيش.
- التعليم في الحرمين الشريفين عبر العصور، سلسلة مداولات اللقاء العلمي السنوي الثالث لجمعية التاريخ والآثار لدول مجلس التعاون، مسقط، جامعة قابوس، محرم – صفر ٤٢٢هـ/ إبريل ٢٠٠١م.

❖ عبد الله محمود حسين.
- الدور الثقافي في الركب الحج، مجلة الحج، سنة ٤٩، شعبان، ١٤١٦هـ.
❖ العرب سالم الشرف.
- مكة والمجارون الأندلسيون من العلماء والفقهاء والقراء عبر التاريخ، بحث في ندوة الحج الكبرى عام ١٣٢٣هـ.
❖ علي أبا حسين.
- صفحات من التاريخ الاجتماعي في مكة المكرمة أيام العباسين، مجلة الوثيقة دورية الخمسون، السنة الخامسة والعشرون، جمادى الثانية ١٤٢٧هـ/يوليو ٢٠٠٦م.
❖ محمد البيومي.
- الحج مجمع علمي، مقال في مجلة الحج، ص ٥٢، ج٦، ذو الحجة، ١٤١٧هـ.
❖ محمد الصادق عبد اللطيف.
- الرباطات دورها وأهميتها التاريخية ، مجلة المنهل، م ٦١، س ٦٦، ع ٥٧١، شوال ذو القعدة ١٤٢١هـ / يناير – فبراير ٢٠٠١م.
❖ محمد ربيع مدخلي.
- الإمارة العجلية في إقليم الجبال، مجلة كلية الشريعة واللغة العربية، ١٦٨، العدد ٢٩.
❖ محمد صالح الطاسان.
- التعليم في مكة في العهد المملوكي، بحث منشور في مجلة جامعة الملك عبد العزيز، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، م ٨.

❖ محمد عيسي صالحية.
- مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد الثالث، المجلد الأول، ١٩٨١م، الكويت، جامعة الكويت

❖ مكة المكرمة مركز الأرض مجلة الفيصل، س١،ع١، ١٣٩٨/١٩٧٧م.

❖ هشام فوزي.
- السيول في مكة بين عامي "٩٢٣ - ١٠٩٩هـ"، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد الحادي والعشرون، ١٤٢٨هـ.



فهرس الموضوعات